

حياة النقاء الجنسي
(بلا دنس)

إعادة العلاقات المنهدمة بالفداء من الخطايا الجنسية

هاري شومبرج

حياة النقاء الجنسي
(بلا دنس)

هاري شومبرج

Originally published in United States of America by Moody publishers under the title:
«Undefiled»

حياة النقاء الجنسي (بلا دنس)

الترجمـة: د. رضا الجمل
المطبعة: سان مارك - ت: ٢٣٤١٨٨٦١
الطبعة العربية الأولى ٢٠١٠

P.T.W. للترجمة والنشر
تليفاكس : ٢٦٦٧٨٩٨٠ـ ٢٦٦٧٨٩٨١ - (٢٠٢ +)



E-mail: ptw@ptwegypt.com

www.ptwegypt.com

رقم الإيداع : ١٩٣٦٧ / ٢٠١٠
ISBN: 978 - 977 - 443 - 094 - 7

قالوا

ينطبق القول الشائع «عندما يستعد التلميذ سيظهر المعلم» على هذا الكتاب الذي كتبه دكتور هاري شومبرج. إن كنيسة الرب يسوع المسيح، تواجه أزمات أخلاقية الواحدة تلو الأخرى، ونحن في أمسّ الحاجة إلى إجابات كتابية صحيحة لمواجهة هذه الأزمات. منذ آلاف السنين ذكر أيوب أن «كَثْرَةُ السِّنِينَ، تُظْهِرُ حِكْمَةً». من الواضح أن خبرات دكتور شومبرج لسنوات عديدة والتزامه الكتابي الواضح، في تناوله لهذا الموضوع أثمر عن عمل سوف يشرق بنوره الساطع ليخترق أحلك المناطق ظلمة في القرن الحادي والعشرين. أنا أوصي أن كل كنيسة تضع من ضمن برامجها دراسة هذا الكتاب، وأن يكون مصدرًا يساعد كل راعٍ يقوم أو سوف يقوم بهذه النوعية من الخدمات. كما أنه من الممكن أن يُستخدم هذا الكتاب كوسيلة فحص لكل شخص ليقيّم حياته وسلوكه. لا ينبغي أن تخلو مكتبة أي راعي من مثل هذا الكتاب. إن تناولنا كتاب «حياة النقاء الجنسي» بجدية، فمن الممكن أن تحدث تغييرات جذرية في سلوك المؤمنين.

الأسقف جوزيف ل. جارنجتون، خدمة المصالحة العالمية.

تظهر أهمية مثل هذا الكتاب عندما تبدأ صحوة في كنائسنا تواجه الخطر المتزايد للخطايا الجنسية. لم يتوقف دكتور شومبرج على لفت أنظارنا إلى ما سرده من قصص مؤلمة، لكنه وجهها إلى التحدي الحقيقي، وهكذا قدم لنا المؤلف ما نحتاج أن نعرفه عن الفكر الكتابي عن الجنس ليكون جزء من إيماننا الذي نطبقه يوميًا. لكن الأهم من ذلك، ركز دكتور شومبرج على أن الخطايا الجنسية هي خطية، بالمباينة مع الاتجاه العام الذي يضعها في قالب مرض. وعندما ننظر إلى الخطايا الجنسية على أنها خطية، فنستطيع أن نجد في إنجيل المسيح الرجاء والقوة. كتاب «حياة النقاء الجنسي» هو كتاب حيوي، كُتب بطريقة من الممكن أن يستوعبها الناس. أصلي أن يقرأه الكثيرون، ويؤدي إلى التوبة والإيمان وأن تحل بركة الله على الناس وعلى الأسر.

القس جوزيف ويت (PCA)

من إحدى خريجات البرنامج

قبل أن أذهب لمقابلة دكتور شومبرج، كنت أعيش في حالة رعب، لا فقط لأن حياتي الزوجية كانت في انهيار، لكن لأني كنت أود أن أعرف بعض الإجابات على تساؤلاتي الداخلية عن لماذا فعل زوجي هذه الأمور: هل هو لا يهتم بزواجنا؟ هل هو لا يبالي بأسرتنا؟ تُرى ما هو الخطأ الذي فيَّ جعله يذهب إلى الأخريات؟ وبينما كانت هذه الأفكار تدور في ذهني، بدأت أفكر فيما ينبغي أن أعمله مستقبلاً: هل يجب أن ندفع أموالاً إضافية أكثر وقد لا نمتلكها في الذهاب إلى أحد المشيرين بالرغم من أننا لجئنا من قبل إلى المشورة «المسيحية» لكنها لم تجدي.

الآن وأنا إحدى خريجات البرنامج المكثف للدكتور شومبرج، أستطيع أن أقول لكم أن هذا الكتاب يقدم الإجابات الواقعية لكل التساؤلات التي كنت أواجهها والتى تواجه كثير من الأسر المنهارة في هذه الأيام. إن الحل الحقيقي ليس في المشورة، أو برامج الشفاء، أو البحث عن المتسبب في المشكلة – لقد حاولنا كل هذه الطرق لكنها لم تؤدي إلى تغيير حقيقي. إن طريقة دكتور شومبرج تذهب مباشرة إلى قلب المشكلة، فهو يساعد كل شخص أن يفحص قلبه خطوة خطوة، ويرى هل هو متوافق مع إرادة الله في حياته. إذا قرأت واتبعت إرشادات هذا الكتاب ستتغير، وتصبح شخصًا جديدًا، فستجد فيه المفاتيح التي تؤدي إلى الفداء الجنسي.

من أحد خريجي البرنامج

إن المصادر الذي جعلها دكتور هاري في متناول الكنائس المحلية سوف تغير أذهان وقلوب الناس. أنا مقتنع بأن الحقائق التي ذكرها دكتور هاري في هذا الكتاب سوف تحطم الحصون التي أسرت الكثيرين لعدة سنوات. أعتقد أن الكثيرين سيجدون العون من خلال هذا الكتاب، الأمر الذي سيتمخض عنه نقاء القلب والذهن.

الفهرس

مقدمة

سأقدم لكم هنا القليل من الحالات الكثيرة التي تحتاج إلى الفداء الجنسي

- تشعر أنك في وحدة، في العلاقة زوجية، وفيها بقليل من الألفة.
- زوجك يعاملك كأنك لعبة جنسية أو أداة
- زوجتك ليس لديها ميول لممارسة الجنس
- لديك بعض الشكوك أن شريكك متورط في علاقة عاطفية أو جنسية مع طرف آخر
- لا تستطيع الإقلاع عن العادات الجنسية المخْجِلة مثل إدمان الأفلام الجنسية، المحادثات الجنسية في الإنترنت، ممارسة العادة السرية بكثرة، أو أي من الأمور الأخرى التي تندرج تحت هذا الإطار

ولهذا الكتاب غرضان.... أولاً: أريد أن أقدم للناس بعض الحقائق المستمدة من كلمة الله، والتي اكتسبتها من خلال عملي في مجال المشورة، لأساعد الكثيرين وهم يواجهون الأفكار العصرية عن الجنس، لكي يميزوا بين ما هو حقيقي وما هو مزيف.... ثانيًا: أريد أن أمسك بيديك وأنت تسير في طريق الفداء الجنسي وأساعدك لكي تواجه مشاكلك الجنسية بشجاعة، وقوة، وبصيرة روحية، وكلما تقدمت في قراءة هذا الكتاب، كلما اكتشفت أن الطريق طويل، وأعتبر أن أول ثمانية فصول في هذا الكتاب هامة جدًا لأنها تقدم لك الأساس الضروري لإحداث تغيير مستمر، إذ هي تشرح أساس المشكلة، والإمدادات العملية التي تساعدنا لفهم ومساعدة الآخرين، وإن شعرت بالملل وأنت تقرأ الفصول الأولى من الكتاب، أنصحك أن تتحلى بالصبر فستدرك أهميتها القصوى عندما تصل إلى الفصول الأخيرة.

وسيبدأ كل فصل من الكتاب باقتباس من كتاب (Valley of vision) «وادي الرؤى» وهو عبارة عن مجموعة من صلوات و تأملات شخص مدقق روحيًا. أصلي أن يستخدم الله هذه الكلمات لتهيئ قلبك لما تقرأ، وفي نهاية كل فصل كتبت بعض الأسئلة لتساعدك على التفاعل مع ما كُتب، وتطبيقه على حياتك الشخصية.

ولقـد اجتهـدت لأؤسس هذا الكتاب على تعاليم الكتـاب المقدس، إلا أنه ليس كتابًا لاهوتيًـا. ولقـد استعنـت بكتابات أشهـر اللاهوتيين عندمـا كان يعترضنـا موضوعًا لاهوتيًا له علاقـة بما نتطرق إليه، وأشجعك أن تبحث في مثل هذه المواضيع اللاهوتية من خلال القراءة والبحث.

بعـد ثلاثيـن عامًا من العمل فـي مجال المشورة مـع أكثر من ثلاثـة آلاف شخص يعانـون مـن مشاكل جنسية، أعتقد أنه يوجد حل واحد جذري، ودائم، الحل الذي أقدمه في هذا الكتاب واسميه «الفداء من الخطايا الجنسية».

الفصل الأول

الفداء الجنسي

أعطني أن أكتشف الخطية

لأدرك أنه بالرغم من أن خطاياي قد صلبت

لكنها لم تمت بالكامل [1]

كيف تحول الجنس إلى مشكلة بالنسبة للكثيرين؟

تتركز خدمتي وسط أشخاص يعانون من مشاكل في موضوع العلاقات الجنسية. وبالرغم من أن الكثيرين منهم يلجأون إليّ عندما يواجهون الأزمات والمحن بخصوص هذا الأمر، إلا أن تحدياتهم، وأمنياتهم، وخبراتهم تتشابه إلى حد كبير بما تمر أنت وأنا به. فليس من السهل أن نشبع رغباتنا، وحتى عندما تتحقق كل أحلامنا، فأننا نصحو أحيانًا على كوابيس تهاجمنا أو بسبب شعورنا أنه مازال هناك شيء نبحث عنه.

أريدك أن تتقابل مع زوجين يعانون من مشاكل بسبب الأمور الجنسية، وقصتهم ستوضّح لنا أن هذا العصر ليس من العصور المثلى في مجال الجنس، فنحن نحتاج بشدة إلى الفداء الجنسي.

تعرفت بكل من كاري وجيم (وهي ليست أسماؤهم الحقيقية) من خلال محادثة تليفونية. ففي أمسية يوم من الأيام دق جرس تليفون مكتبي في كلورادو، وكانت كاري هي المتحدثة، كان كلامها واضحًا ومسلسلاً، إلا أن نبرات صوتها التي كانت تعبر عن شخصية محطمة، وصوت بكاؤها وضّح لي سبب مكالمتها. وقصتها تتشابه مع قصص كثيرة سمعتها من قبل، وبدأت حديثها قائلة: «دكتور شومبرج: لقد حصلت على اسمك من (Focus on the Family) هل من الممكن أن تساعدني؟»

ومثل كثير من الزوجات، كان كل كلام كاري منصبًا على برود العاطفة وانعدام

المودة في علاقاتها الزوجية، ولقد دفعها الشك لتراجع الكمبيوتر الشخصي لزوجها چيم واكتشفت أنه في الفترة الأخيرة يدخل على المواقع الجنسية على شبكة الإنترنت.

واصلت كاري حديثها وقالت «أرجو أن تفهمني، فكلانا مسيحيين حقيقيين! وزوجي محبوب من الأولاد ومن كل شخص يعرفه، فهو رجل صالح».

توقفت عن الحديث برهة وبدأت تتحدث بصوت منفعل متحشرج وقالت «ما الذي يحدث هنا؟ لقد استيقظت على كابوس يا دكتور شومبرج، إن هذا ليس هو الرجل الذي تزوجته! لا أعلم ماذا أعمل، لكني لا أستطيع أن أعيش في هذه الظروف، هل تستطيع أن تعينني؟».

وقبل أن أجيب على أسئلتها طلبت منها أن تتحدث بأكثر تفصيلاً عن نفسها وعن چيم، لقد تقابلا منذ أكثر من ثلاثين عاما في الكلية، وأحبا بعضهما البعض، وتزوجا وأنجبا ثلاثة أطفال – ولدين وبنت. وكانا من الخدام النشيطين في الكنيسة، من قادة مجموعات للمتزوجين، يلتقون لدراسة الكلمة وقضاء وقت للشركة، وفي كل مجموعة من المجموعات كان چيم وكيري يقدمان المشورة لكثير من الأزواج الذين يعانون من مشاكل في حياتهم الزوجية.

وعندما تكتشف زوجة مثل كاري مثل هذه الخيانة، سواء كانت خيانة قلبية أو جسدية، فيبدو أمامها أن الحلول المنطقية مستحيلة. واصلتُ حديثي وقلت لها «كاري، يبدو أن هذا الوقت من أكثر الأوقات المظلمة في حياتك، لقد أطاحت خيانة چيم بكل الذكريات الجميلة والأوقات الرائعة التي مرت بكما، وشناعة خطيته قلبت الأمور رأسًا على عقب، لكن صدقيني، في وسط كل هذا الخراب، الله يعمل ... نعم فالمشكلة خطيرة، لكن هناك رجاء على الرغم من أنه من الصعب أن تصدقي ذلك الآن.»

«إن هذا الكلام يبدو جيدًا الآن يا دكتور شومبرج، لكنني لا أستطيع التفكير في هذه اللحظة»

تعاطفت مع كاري وبدأت أشرح لها باختصار كيف أن بعض الأزواج يأتون إلينا لحضور ورش العمل المشورية لمدة أسبوع وفيها يتلقون تعليمًا مكثفًا، وقلت لها «هل تعتقدين أن چيم يقبل أن يحضر معك لمثل هذا البرنامج المكثف؟»

قالت « چيم شخص منغلق ومعتد بذاته! ولا أدري كيف أستطيع أن أواجهه بكل ما حدث منه حتى نستطيع أن نحصل على المساعدة التي نحتاجها! إنه ليس على استعداد أن يذهب إلى أي مشير، لقد توسلت إليه مرارًا»

وأكملت كاري حديثها معبرة عن ارتباكها من هذا التضاد الذي تراه في چيم كونه يشاهد الأفلام الجنسية وفي ذات الوقت يتمتع بصيت حسن في الكنيسة وقالت «أنا لا أستطيع أن أستوعب ما يحدث .. إنه أب رائع، ونحن قادة في الكنيسة. أشعر وكأني لا أعرف من هو هذا الرجل!».

قلت لها «أنا أدرك أن ثقتك تحطمت، لكن دعي قلبك يتحدث برقة ويلطف.. إنه زوجك، أب أولادك، وهو يحتاج إليك الآن أكثر من أي وقت مضى، لا تهربي من الألم ، وكل محاولة لقتل مشاعر الألم ستؤدي إلى مزيد من الألم».

وهنا صمتت كاري. وكل ما سمعته هو عبارة عن شهيق يعبّر عن انفعالها.

وأكملت حديثي قائلاً: «عندما يعود چيم في هذا المساء، افتحي قلبك له، تحدثي عن الألم الذي تشعرين به، والمخاوف التي تعتريك من جهته ومن جهة حياتكما الزوجية. قدمي له الدعوة لتحضرا معا برنامج المشورة المكثف، وإن كان لديه أية أسئلة أطلبي منه أن يتصل بي تليفونيًا»

أجابت «وهو كذلك يا دكتور شومبرج ، سوف أحاول» وبينما نحن ننهي الحديث، شجعتها لتتصل بي سريعًا وتخبرني بما حدث.

وبعد عدة أيام اتصلت بي كاري، ولم تكن تبكي كالمرة الأولى، لكنها كانت تتحدث بغضب شديد.

وقالت : «دكتور شومبرج لقد طردته من المنزل! لقد نفذت ما قلته لي، ولم يستطع أن ينكر ما حدث، وأعترف، لكنه لم يبد أي نوع من الندم! بل على العكس، بدأ يوجه لي اللوم لأنه ليس لدي ميول لممارسة الجنس، وقال أنه خطأي بالكامل، وعندما قال هذا استشطت غضبًا، وبدأنا في الصياح معًا، كان أمرًا فظيعًا، وقضيت الليلة على

الكنبة في غرفة المعيشة، وفي الصباح كان شخصًا مختلفًا، واعترف لي بأن لديه مشكلة، فهو يشاهد الأفلام الجنسية ويمارس العادة السرية منذ أن كان في الحادية عشر من عمره... إن هذا أمر غير معقول!»

قلت لها: «آسف، الأمر صعب»

«لقد كذب عليَّ، ولا أدري ربما هناك أمور أخرى لم يخبرني بها، لا أستطيع أن أحتمل وجوده معي، ولقد قالت لي ابنتي المتزوجة أن هذا أمر فظيع، وعليَّ أن أطلقه، أنا لا أعلم هل عندما طلبت منه أن يترك المنزل كان هذا الأمر صحيحًا أم لا... ماذا أفعل؟»

«هل هناك أي فرصة تستطيعان فيها أن تحضرا للمساعدة؟»

«دكتور شومبرج: لقد نسيت أن أخبرك بهذا! لقد ذكر أنه سيفكر في الذهاب إلى ورشة العمل الخاصة بكم، ترى متى نستطيع الحضور في هذه الدورة المكثفة؟»

قلت لها أنه ليس لدينا أي فرصة قبل شهرين، وشعرت بالإحباط عندما سمعت هذا، لكنها وافقت أن تنتظر مدركة أنه ربما يكون الانتظار أمر مفيد، ولم نكن ندرك أن هناك مزيد من الألم آتٍ في الطريق.

ومن خلال الاستمرار في كتابتي لهذا الكتاب، سأتعرض لقصة چيم وكاري، والمراحل التي مرت بهما، حتى نالا الشفاء كل على حدى وكزوجين معًا.

وأنا أدرك أن لكل إنسان شخصيته المختلفة عن الآخر، بل ولكل شخص اهتماماته وتجاربه الخاصة. كما أن له مستوى من النضوج الروحي وإدراكه لكلمة الله، وبالتالي أتوقع أن يكون هناك اختلافًا في مدى تقبل الكلام الذي أقدمه... وعلى مدى الثمانية عشر عامًا التي تقابلت فيها مع أكثر من ثلاثة آلاف شخص، وجدت أن الفداء الجنسي الذي ناله كل من چيم وكاري متاح لأي شخص يعطي فرصة لله أن يعيد صياغته من جديد.

▬ ▬ ▬ ▬

ونحن نعيش في مجتمع الإباحية الجنسية، وجدت من خلال عملي في مجال

المشورة أن هناك الكثيرين يجهلون الأمور المتعلقة بالحياة الجنسية، ويعانون من عدم الإشباع الجنسي[٢]، بل واختلال في الوظائف المتعلقة بالجنس[٣] ولقد أدركت منذ زمن بعيد أن وظائفنا الجنسية أكثر تعقيدا من إدراكنا، وعلينا أولاً أن نتأمل المعجزة الإلهية التي صاغت هذا الأمر، بل ونقف معجبين وبقلب يمتلئ بالشكر أمام فكر الله بالنسبة للجنس. لقد وضع الله مستقبِلات عصبية في القضيب وفي البظر أكثر من أي مكان آخر في جسم الإنسان باستثناء اللسان، ومن هذا يتضح أن الله يريدنا أن نستمتع بالطعام الجيد والجنس المقدس.

وهناك أفكار كثيرة تتعلق بالعلاقات الجنسية، سمعتها مرات كثيرة في أثناء عملي في مجال المشورة، أقدم بعضا منها:

المرأة: «لا توجد أي مودة في علاقاتنا الزوجية. وكان هذا هو الحال مع والديّ، لكني أرفض أن أعيش هكذا».

الرجل: «طوال حياتي الزوجية كنت أنانيًا. ولم تشعر زوجتي بمحبتي الحقيقية لها، وفي علاقتنا الجنسية كانت تشعر وكأنها أداة. ومن خلال هذا الموجز الذي يعبر عن ضعف علاقتنا، فإن زوجتي لن تجد لديها أي رصيد لإعادة بناء حياتنا الزوجية».

المرأة: «أريد أن ألفت نظر الناس وأشعر برضا عن نفسي، أحب أن أكون جذابة عندما أكون خارج البيت، فهذا يشعرني بالقوة»

الرجل: «لقد حضرت مؤتمرات متخصصة عن الإدمان الجنسي، وقرأت بعض الكتب في هذا الموضوع، لكن لم يتغير شيئًا».

المرأة: «الرجال هم الخاسرون، فكل ما يهمهم هو الجنس، لذلك انس هذا الأمر! وفوق كل هذا يسوع هو حبيبي»

الرجل: «قالت لي أنت أحمق، ولا تستطيع أن تعمل أي أمر على الوجه الصحيح، أشعر وكأني طفل، وفقدت احترامي».

المرأة: «حفيدي عمره أثنا عشر عامًا، وهو يتصفح المواقع الجنسية على شبكة الإنترنت، إلى أين نحن ذاهبون؟»

الرجل: «لم أقدم الدعم الكافي منذ أن بدأت صراعاتنا حول هذه المشاكل، وفي بعض الأحيان أشعر وكأنه حمل ثقيل عليَّ لأذهب للمشورة طالبًا العون»

المرأة: «عندما بدأت العلاقة، لم تكن علاقة جنسية، كنا مجرد أصدقاء،

وكنت أحتاج للبعد قليلاً عن زوجي. بدأنا نقبل بعضنا، وتطورت الأمور، والآن لا أستطيع أن أتخيل أني سأبتعد عنه».

الرجل: «في الليلة الماضية اتفقنا معًا أن أترك المنزل، وفي هذا الصباح، وافقت أن تعطيني فرصة أخرى».

المرأة: «إذا كانت العلاقة مع امرأة أخرى، أنا أستطيع أن أتعامل مع هذا الأمر، لكنه رجل! ما الذي أقوله لأولادي؟»

الرجل: «تماديت في الكذب وإنكاري وجود مشكلة، وفي حماقتي حاولت أن أجعلها تقتنع أن المشكلة هي مشكلتها، لأن مشاهدة المواقع الجنسية ليس بمشكلة، وأن عليها أن تقبل الأمر».

المرأة: «لو كان يتحمل أي جزء من المسئولية في الأسرة.... كيف أستطيع أن أحترمه، وأنا أشعر وكأني أمه؟»

وراء كل عبارة من هذه العبارات، هناك رجل أو امرأة يعبرون عن أنفسهم روحيًا وجنسيًا.

ومن خلال خبرتي، واستماعي لقصة تلو الأخرى في مكتب المشورة الخاص بي، أدرك أن بداخل كل شخص منا بعض الخطايا وحياة جنسية غير سليمة، إلا أن الحقيقة ليست واضحة أمامنا.

فعلى سبيل المثال، سأقدم لكم قصة چون وكاثي، اللذين كان لكل منهما علاقاته الجنسية قبل أن يلتقيا ويتفقا على الزواج، وعندما التقيا صمما على أن يحفظا علاقاتهما نقية حتى ليلة الزفاف... وحجزا غرفة من خلال شبكة الإنترنت في فندق في جبال كلورادو، وعندما وصلا إلى الفندق والفرحة والشوق تملأ قلبيهما وكانت الساعة الواحدة صباحًا، فوجئا أن هناك فئران في الغرفة، وبسبب الإرهاق ووجود أقرب فندق على بعد حوالي خمس ساعات من القيادة، قررا أن يقضيا ليلتهما في هذا الفندق دون أن يناما، أو يمارسا الجنس. وفي صباح اليوم التالي ذهبا إلى فندق آخر نظيف، إلا أن كاثي كانت تعاني من التهاب مهبلي فطري، الأمر الذي جعلها تتألم من المعاشرة الجنسية... وأما چون فكان قد تعافى مما يسميه البعض الممارسة غير الضارة للعادة السرية[٤] منذ أن التقى بكاثي، وبسبب إحباطه عاد چون على الفور إلى عادته القديمة المريحة وبدأ ينسحب من زوجته.

مرت ستة أشهر، وكل من يتقابل مع چون وكاثي يعتقد أنهما زوجان مثاليان، لكن بسبب اختلال علاقاتهما الجنسية كانا في حاجة ماسة للمساعدة. وإن كانت ظروفهما تختلف عن ظروف چيم وكاري، إلا أنهما كانا في حاجة إلى الفداء الجنسي.

بعد حوالي ثلاثة عقود من مساعدة الأشخاص والأزواج، وبناء على دراستي المستمرة لكلمة الله، تكونت لديَّ هذه القناعة: لكي تكون ناضجًا روحيًا، ينبغي أن تكون ناضجًا جنسيًا. ولكي تكون ناضجًا جنسيًا، ينبغي أن تكون ناضجًا روحيًا. وهذا باختصار هو رسالة هذا الكتاب، بل وأساس الفداء الجنسي.

ويحوي الفداء الجنسي أكثر من مجرد حل للمشاكل والتحديات الجنسية.. فعلى سبيل المثال، يدرك معظم المؤمنين أن الله خطط أن يكون الزواج هو الوسيلة لإشباع الغريزة الجنسية، لكن فشل الكثيرون في اختبار هذا الأمر. فمحاولة أن تتبع الخطوات التي ذكرت في كتاب «سبع خطوات للسعادة الجنسية» قد يقودك إلى الاستمتاع الجنسي، إلا أنه هناك ما هو أعمق من مجرد الرومانسية في العلاقة الجنسية. الفداء الجنسي مفهوم أشمل بكثير من الإشباع الجنسي في الزواج.

كيف يمكن أن يكون للفداء الجنسي علاقة بالإيذاءات الجنسية في فترة الطفولة؟ بدأت عملي في المشورة وسط العائلات التي تعاني من زنا المحارم، ومنذ ذلك الحين كنت أقدم مشورة لمئات الرجال والسيدات الذين تعرضوا لإيذاءات جنسية أثناء طفولتهم، ويتسبب الاستغلال الجنسي لأي شخص في الصغر لأضرار شديدة، وأولى الخطوات الهامة في الشفاء هي الغفران للمسيء، إلا أن هذا ليس كافيًا، لكن هناك المزيد من الخطوات التي ينبغي أن نفهمها.

ويأخذنا موضوع الفداء الجنسي إلى أبعد من مجرد الشفاء من الجروح القديمة، حيث يدعونا لنمجد الله روحيًا بل وحتى من خلال علاقاتنا الجنسية.

والفداء الجنسي يتعامل مع أي ذكريات مخجلة تتعلق بحياتنا الجنسية قبل الزواج. وكما ذكرت من قبل لقد تعاملت في مجال المشورة مع أكثر من ثلاثة آلاف شخص، وكان ٤٠٪ منهم من الخدام المتفرغين في الكنائس، وأقول بكل تحفظ أن أقل من ٢٠٪ من كل من تلاقيت معهم لم يكن لهم علاقات جنسية قبل الزواج.

أن تحتفظ بالعذرية حتى الزواج، الأمر الذي من المفترض أن يكون موجودًا في كنائسنا، لكنه ضاع منها، لا يزال مقياس الله. لكن أن تحتفظ بعذريتك جسديًا حتى يوم الزفاف، ليس هذا كل ما يطلبه الله، فالفداء الجنسي هو أن تحيا روحيًا وجنسيًا ليس لإرضاء ذاتك.

ويشير القس والكاتب جون بيبر إلى نقطتين أساسيتين في علاقاتنا الجنسية

أولاً أن العلاقة الجنسية التي رسمها الله لنا تساعدنا لنعرف الله من خلال المسيح بطريقة أفضل... ثانيًا أن معرفة الله في المسيح بطريقة كاملة تساعدنا لنعيش حياة الانضباط في علاقاتنا الجنسية، وأستطيع أن أصيغ هذه الكلمات بلغة أخرى وأقول أولاً أن كل انحراف في حياتنا الجنسية يشوه معرفتنا الكاملة للمسيح وثانيًا أن كل استخدام سيئ لحياتنا الجنسية ناتج عن عدم معرفتنا للمسيح المعرفة الحقيقية (٥)

والطريقة التي نتناول بها حياتنا الروحية والجنسية تعبر عن مدى سيادة الرب يسوع على حياتنا، ونحن نعلم – أو ينبغي أن نعلم– أن هذه حقيقة، لكن هل نحن فهمناها وطبقناها في قلوبنا؟ كل إنسان هو كائن جنسي، خُلق علي صورة الله، هذا كلام رائع....لكن هناك حقيقة أخرى وهي أننا أيضا خطاة ساقطون. وإذا فصلنا حياتنا الجنسية عن حياتنا الروحية واعتبرناهم أمرين مختلفين، فنحن لا نقلل من جمال الحياة الجنسية ونقاؤها ومعناها فحسب، بل نقلل من كياننا الإنساني. فنفوسنا وحياتنا الجنسية مرتبطتان ارتباطًا وثيقًا، وبالرغم من ذلك نحن فقدنا هذا الارتباط بين علاقتنا بالرب يسوع وحياتنا الجنسية.

إن معرفة المسيح المعرفة الشخصية معناها أن تتحكم في حياتك الجنسية والروحية بالطريقة التي تُظهر فيها صورة الله وتشهد بأنك تسلك كما يحق للدعوة التي دعيت إليها، وعندما نفقد الحياة الروحية المقدسة والجنس المقدس، هذا يجعلنا نتساءل ونقول هل نحن حصلنا على الفداء الجنسي وهل نحن نعرف الله كما ينبغي؟

هذا الكتاب يتحدث عن الجنس الناضج والحياة الروحية الناضجة اللذان يجدان شبعهما في الله والله وحده، وهذا الكتاب أيضًا يتحدث عن كيف تكرس حياتك الجنسية،

وحياتك الروحية، بل وحياتك ككل لله. إن الفداء الجنسي يبدأ في الصليب، وتمتد جذوره لتتأصل في قلب مستعد للتغير، وتظهر ثماره في علاقة تربط اثنان قالا «نحن نقبل»

لكن قد يطرأ على ذهنك سؤال «إذا كنت أنا وشريكي لا نستطيع الذهاب إلى كلورادو لنشارك في ورشة عمل مكثفة في المشورة، ألا يوجد أمل لنا؟»

نعم بالتأكيد!... لقد نجح هذا البرنامج مع أزواج كثيرين، لكن أقول إن الأمر ليس سحرًا...إن سر النجاح هو أن يمتزج ما نقدمه من حقائق إلهية بالالتزام بالسير في طريق التوبة، الغفران، والفداء الجنسي الأمور التي رتبها الله. وتستطيع أن تفعل هذه الأمور، في أي مكان تعيش فيه، وتحت أي ظروف تجتاز فيها. إن الحل هو في كلمة الله وفي رغبة قلبه الصادقة بأن يشفي القلب الكسير، ويرد الخاطئ البائس المفقود... وأقولها بصراحة كلنا هذا الشخص المحتاج.

يضع أمامنا هذا الكتاب الخطوط الرئيسية للخطوات التي يمر بها الأشخاص الذين يحضرون برنامج المشورة المكثف[٦]، ونحن نركز أساسًا على أن يعرف كل من يشارك في هذا البرنامج الحقائق عن حياتهم الجنسية، فهو يسير في خط متواز مع الحقائق التي نواجهها في أي برنامج مشوري كتابي، التي قد يراها الكثيرين طريقة جديدة للنظر للحياة ولأوضاعهم.... وأنا لا أقضي ساعات طويلة مع طالبي المشورة، لكن ما أفعله هو أن أقود الأشخاص ليقوموا هم بالدور الأساسي دون تدخلي، ويكون كل منهم في خلوة شخصية مع الله ومع شريكه.

أقول هذا لأبعد الفكرة بأن الطريقة الوحيدة، التي من خلالها تُطبق مبادئ هذا الكتاب هي أن تقضي أسبوعًا في مكان منعزل مع «مشير متميز» صدقني، إن هذه ليست الطريقة. أنا أدرك هذا جيدًا! فأنا لا أمتلك عصا سحرية، لكن كل ما أمتلكه وأقدمه هو كلمة الله وإرادته وقوته التي تتدخل في عملية الشفاء، لكن هناك أمر هام هو أن يختبر الزوجان الفداء الجنسي الذي يستمر معهما بعد أن يتمما البرنامج المكثف.

لا يوجد طريق سهل مختصر نستطيع أن نسير فيه منذ إدراكنا للخطية إلى أن نختبر الفداء، لكن علينا أيضًا أن لا نعتقد أن الأمر يحتاج إلى سنوات قبل أن يبدأ

التغيير الحقيقي! ولا ينبغي أن يقول أتباع المسيح عن أي مشكلة «أظن أني سأظل مدمنًا أو مقيدًا بالخطية» لا، لا، لا، لا إن هذه ليست رسالة الإنجيل.

اسمح لله أن يعمل، بغض النظر عن ما حدث لك وأوصلك إلى ما أنت عليه الآن، لا تجدّ الله الآن بسبب مخاوفك، نعم قد يكون زواجك معلق على خيط رفيع، وأنا أعلم أنه ربما تفكر وتقول، لقد حاولنا كل شيء، لكن لم يحدث أي تقدم، لماذا يختلف الأمر الآن؟ لن يتغير شيئًا! كل ما أطلبه منك هو أن لا تجدّ الله، إنه يهتم بك، وأقول بصدق لقد رأيت تغييرًا حقيقيًا مستمرًا قد لا يصدقه العقل في كثير من الأزواج.

سأقدم لكم على سبيل المثال قصة ليزا، و ستيف، فقصتهم وإن كانت غريبة، إلا أنها توضح ما الذي يمكن أن يعمله الله. لم تكن تعرف ليزا أن ستيف يعاني من الشذوذ الجنسي لمدة سنوات. لقد تزوجا لكنهما لم يمارسا الجنس نهائيًا. إلا أن قصة ستيف أُكتشفت عندما أتهم أنه مارس الجنس مع شاب صغير، وأدين وحكم عليه بالسجن، وفقد ستيف كل شيء ولكن ليزا وقفت بجواره في كل فترة السجن التي امتدت لخمسة أعوام.

وقبل أن يخرج ستيف من السجن، اتصلت ليزا بمكتبنا ورتبت أن يحضرا معًا جلسات المشورة. وعندما أتت ليزا وستيف إلى جلسات المشورة، كان قد مضى على زواجهما خمسة عشر عامًا.. وأعلم أن هذا من الصعب تصديقه، لكن الحقيقة هي أن طوال هذه السنوات لم يمارسا الجنس.

مضى وقت الدراسة المركزة على ما يرام، وتدخل الله في حّياتهما وفي زواجهما، وقبل أن ينتهيا من برنامج المشورة، مارسا الجنس لأول مرة في حياتهما، وفي اليوم التالي لهذا الأمر، أتيا إلى مكتبي للزيارة، ولم أر طوال حياتي زوجين بهذا الكم من السعادة، وشكرنا الله معا، وما لم نكن نعرفه أن ليزا في هذا اليوم حبلت بالطفل الأول. والآن هل تدرك أنني لست محتاجًا لمن يقنعني أن كل شيء مستطاع لدي الله.

لكن ما يزين هذه الكعكة الجميلة أنني أستلم كارت الكريسماس من هذه العائلة كل عام، ومن خلال ابنتهم التي تكبر سنة بعد الأخرى، أتذكر عمل الفداء الجنسي الرائع الذي اختبراه من خلال نعمة الله.

وإن كان الله في خلال أسبوع غيّر حياة كهذه، ترى ما الذي في جعبته لك أنت؟

وفي هذا الكتاب أود أن أقدم مبدأً جوهريًا، ألا وهو أنه مع كل الشر الذي يصاحب الخطايا الجنسية، لا ينبغي أن نشك في محبة الله، وقدرته على التطهير. وما ينطبق على يوسف منذ زمن بعيد عندما خانه أخوته، ينطبق على كل حالات عدم الأمانة «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا» (تك ٥٠ :٢٠) .

أتقابل مع أزواج كثيرين بعد سنوات من حضورهم جلسات المشورة، وكثير من الزوجات يهمسن في أذني ويقلن «دكتور شومبرج، إنه الآن شخص مختلف!»

أرجو أن تسمعني جيدًا: هناك أمل.... إنه الأمل المؤسس على كلمة الله وقوته. أنت أيضًا من الممكن أن تختبر الفداء الجنسي.

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. ما هو وجه الشبه، إن وجد، بين قصة جيم وكاري وقصتك الشخصية؟

٢. هل هناك عدم إشباع جنسي أو اختلال في الوظائف الجنسية في علاقتكم الزوجية؟ إذا كانت إجابتك بنعم، هل لديك الجرأة لكي تواجه المشكلة مع شريك حياتك؟ وإذا كانت إجابتك لا، فلماذا؟

٣. هل تتفق أم لا مع هذه العبارة: لكي تكون ناضجًا روحيًا ينبغي أن تكون ناضجًا جنسيًا، ولكي تكون ناضجًا جنسيًا ينبغي أن تكون ناضجًا روحيًا؟ لماذا تتفق أو لا تتفق؟

٤. ما نوع الفداء الجنسي الذي تريد أن تراه في حياتك وفي زواجك؟

الفصل الثاني

كشف الظلام

إذا عشقت الجمال فقد يكون هذا هو الطعم الذي يقودني للشهوة .....

لذلك يارب احفظني دائما واعيًا لأهوائي الطبيعية

ودعني لا أنسى مقامي السمائي

أو النعمة التي تستطيع أن تتعامل مع كل خطية

بعد حوالي شهر من حديثي الأخير مع كاري، تلقيت رسالة غاضبة من چيم على جهاز تسجيل المكالمات بتليفوني وقال «دكتور شومبرج، أنت لا تعرفني، فأنا چيم .. زوج كاري ..أنا محتاج أن أتحدث معك! لقد هددتني كاري بالطلاق، وهي ترفض أن تأتي معي لجلسات المشورة».

بمجرد ما سماعي الرسالة اتصلت به، وكان في حالة ارتباك. وشرح لي أنه بالرغم من كل المشاكل إلا أنه يحب كاري. وقال «لقد كنت أحمقًا، لقد فحصت كاري جهاز الكمبيوتر الخاص بي واكتشفت أن الأفلام الجنسية ليست هي المشكلة الوحيدة.»

أجبته «ياه ... حقًا»

«لقد كنت أتحدث عبر الإنترنت مع ثلاث أو أربع سيدات وكنت أرسل لاثنتين منهن رسائل عبر البريد الإلكتروني، ولقد قرأت كاري هذه الرسائل، وهي تحوي على أمور جنسية كثيرة، لا أصدق كم كنت غبيًا، ماذا أفعل؟ فهي الآن ترفض أن تحضر جلسات المشورة الكتابية المكثفة وهددتني بأنها ستتحدث مع محاميها، أعتقد يادكتور شومبرج أن زواجنا انتهى».

للأسف لقد تلقيت مكالمات كثيرة مماثلة ... فالأفلام الإباحية، وما تشجع عليه

من سلوك مثّل وباءً خطيرًا في مجتمعنا – واخشى أن يكون الوقت القادم أسوأ. وبسبب كثرة الإباحية، خصوصًا عبر الإنترنت، يستطيع ملايين من الرجال بل وأعداد متزايدة من النساء أن يقصوا علينا قصصًا شبيهة بقصة چيم.

وسأشارككم أكثر بما قلته فيما بعد لچيم، لكن وجدت أنه من المناسب قبل أن نكتشف ونبحث عن الطريق إلى الفداء الجنسي أن ندرك كيف نحن في أمس الحاجة له... فسواء كنت مكبلاً بالخطايا الجنسية، أو شريكًا يعاني من هذه الخطايا، أو قائدًا قد يستعين بك البعض في حل مشاكلهم، ففي هذا الفصل سأركز على بعض الإحصاءات والمؤشرات الأخرى التي تكشف مدى الخطر الذي نواجهه بسبب الخطايا الجنسية، وسيتعمق فهمنا لهذا الأمر في الفصول التالية في هذا الكتاب.

أيام مظلمة

منذ حوالي عشرين سنة، عندما كنت أكتب أول كتاب لي عن «الحميمية الكاذبة»، وفيه قدمت المنظور الكتابي عن الإدمان الجنسي، ويبدو أن الجميع لم يكن لديهم أي مؤشرات أن كثير من الناس يصارعون مع مشاكل جنسية. وعندما كنت أقول لأحد إني أكتب كتابًا عن «الإدمان الجنسي» يكون رد فعله «عن ماذا!!!؟» لكن أحد لا يسأل هذا السؤال اليوم. فنحن نعيش في وقت مظلم، من الصعب علينا أن نهرب من الإغراءات الجنسية، النهم الجنسي، اختلال الوظائف الجنسية، الانحراف الجنسي.

هناك دلائل كثيرة تبرهن على أن المشكلة كبيرة وعويصة منها: ممارسة الجنس قبل الزواج، الممارسة الجنسية غير الشرعية، اختلال الوظائف الجنسية، عدم الإشباع الجنسي، العلاقات غير المُشبعة، زيادة نسبة الطلاق، عدم وضوح دور كل شريك في البيت[٢]، زواج الشواذ جنسيًا، زواج المثليين، التخنث، انعدام الهوية الجنسية (من حيث الذكورة والأنوثة). ضياع الدور القيادي للرجل، تسلط المرأة، ضرب الأزواج، النظرة للمرأة كأنها أداة جنسية، عدم الاحتشام (العري ٣)، الجنس في الإعلانات، الأفلام الإباحية، وأفلام الإباحية للأطفال، الزنا الجسدي، الزنا الفكري، علاقات الاصطياد بين البنات والأولاد، كشف العورات، الدعارة، السياحة الجنسية، الاغتصاب، زنا المحارم ... وأكثر.

وبالطبع فالمشاكل التي تسببها الأفلام الإباحية أخذت اهتمامًا بالغًا، لأنها هي

عامل مشترك لأغلب المشاكل الجنسية. هل تتخيل أنه على مدى الأربعة وعشرين ساعة يوميًا، ينفق المشاهدون للأفلام الإباحية ٦٣. ٣٠٧٥ دولارًا أمريكيًا كل ثانية![٥] ومجموع من يدخلون على هذه المواقع في الانترنت هو ٢٨٢٥٨ شخص كل ثانية، وكل ٣٩ دقيقة يتم إنتاج فيلم جنسي جديد[٦] في الولايات المتحدة الأمريكية[٧].

وفي عام ٢٠٠٦، بلغ الدخل العالمي من الأفلام الجنسية ٩٧ بليون دولارًا أمريكيًا، وهو دخل أكبر من مجموع دخل كل المواقع الإلكترونية الشهيرة مثل جوجل، ميكروسوفت، أمازون، ياهو .... وكانت الصين هي الرائدة في هذا المجال، حيث بلغ دخلها ٢٧,٤ بليون دولار، تلتها كوريا الجنوبية التي بلغ دخلها ٢٥,٧ بليون دولار، ثم اليابان التي بلغ دخلها ٢٠ بليون دولار، أما أمريكا فكان ترتيبها الرابع وبلغ دخلها ١٣,٣ بليون دولار[٨]. ولسوء الحظ، إن هذه الأرقام توضح مدى الدمار الذي نراه في الأشخاص، في الحياة الروحية، في العلاقات الزوجية، في الأسر، في الأطفال، في الكنائس، وفي المجتمعات. وهذه المعدلات الرهيبة التي توضح مدى انغماس الرجال (بل وأيضًا النساء) بالشهوات الجنسية عن طريق النظر، هي دليل مفزع لوجود خطأ روحي وجنسي.

وأقدم لكم هنا بعض الإحصاءات المنذرة بالخطر عن الإنترنت، من خلال تقرير موثق وصادق عن معدل التغيير الذي حدث من عام ٢٠٠٥ إلى عام ٢٠٠٦:

- ٦٢٢٪ زيادة في البحث عن مواقع «المواعدة بين الجنسين»
- ٣٨٢٪ زيادة في البحث عن مواقع «الإعلانات الجنسية»
- ٣٠١٪ زيادة في البحث عن مواقع «الجنس عند البالغين»

وأصبحت المواقع الإباحية في الإنترنت بمثابة طوق يخنق المجتمع الأمريكي، وكنا لسنوات نعتقد أن البالغين من الذكور فقط هم الذين يزورون هذه المواقع، إلا أن الإحصاءات تدل على أن هذه المشكلة أخذت أبعادًا أخرى، فلم تعد مشكلة الشباب من الذكور فقط. ففي عام ٢٠٠٦، كان هناك أكثر من ٧٥ مليون باحث على شبكة الإنترنت وكانت الكلمة المفتاحية لبحثهم هي كلمة «جنس»، وكان ٥٠٪ منهم من الرجال، ٥٠٪ من السيدات. ومن ٥٠ مليون باحث في موقع «المواعدة بين الجنسين» كان ٣٦٪ من الرجال، ٦٤٪ من السيدات، ومن بين ١٣,٩٨٢,٧٢٩ باحث في موقع

«الجنس في مرحلة المراهقـة» كان ٤٤٪ من الرجال، ٥٦٪ مـن السيدات، وبين أكثر مـن ١٣ مليون باحث فـي موقـع «الجنس عند البالغيـن» كان ٣٦٪ من الرجال، ٦٤٪ مـن السيدات، وإن كان اهتمـام المرأة بالمواقع الإباحية ازداد هـذه الزيادة الرهيبة، تـرى ما الذي يحمله لنا المستقبل من ضعف في العلاقات الزوجية وتلوث في الحياة الروحية في كنائسنا؟

لكـن هنـاك أمـر مزعج ينبغي أن يلفت أنظار الآباء، وهـو أن حوالي ٢٠٪ من الذين يتصفحـون هذه المواقع الجنسية هم أطفـال دون الثامنة عشر، وأن هنـاك ٢٠٪ أخرى مـن الجنسين ما بيـن الثامنة عشر والعشريـن[١١]، والمحزن أكثر من هـذا أن ٩٠٪ من الأطفـال بين الثامنة والستة عشر عامًا، شاهـدوا الأفلام الجنسية من خلال الإنترنت، ومتوسـط عمـر الطفـل الـذي يرى هـذه المواقـع لأول مرة هو أحـد عشر عامًـا. وبينت أيضًـا الإحصاءات أنه ما بين سن الخامسة عشـر والسابعة عشر، أن ٨٠٪ من الأطفال يـزورون هذه المواقع كثيرا[١٢]. إن لم يتمكـن الأطفال من زيارة شبكات الانترنت، فلن يتعرض معظمهم إلى مشاهدة المواقع الإباحية. وإن كان الأولاد والبنات يبحثون عن معلومـات عـن الجنس في عالم الإنترنـت، لكن الأمر في هذا الجيـل اختلف، حيث أننا نجد أن الجنس هو الذي يبحث عنهم.

وعلـى نمـط فكـرة «التوصيـل للمنازل» نجـد أن أحـدث وسيلة لمشاهـدة المواقع الإباحيـة هـو التليفون المحمول، وهو مجال مربح في عالـم الإباحية، من المتوقع أن يصـل دخله حوالي ١,٥ مليون دولار فـي عام ٢٠١٢ في أوربـا. وبلا شك، لن تتخلف أمريـكا عن هـذا الزحف[١٣]، وبينمـا كنت أتحدث فـي المكسيك عـام ٢٠٠٨، علمت أن طـلاب المدارس الإعدادية يستخدمـون تليفوناتهم المحمولة ليلتقطـون صورًا عارية بعضهم لبعض، ثم يرسلوها لبعضهم عبر الإنترنت.

وانتشـار الخصوصيـة في إمكانية البحث فـي مواقع الإنترنـت، أدت إلي مثل هذه الأعـداد الرهيبـة التي ذكرتهـا، فمنذ عشر سنـوات تقريبًا، كانت العـادات الاجتماعية والتقاليـد الدينيـة تقـف حائـلاً أمـام الحصول علـى أفلام الفيديـو الجنسيـة أو شراء المجـلات الجنسيـة، ومـا قدمـه الإنترنت مـن فرصة للدخـول المباشر علـى مثل هذه المواقع، غيّر الوضع تمامًا. عندما أصبحت المواقع الإباحية في الإنترنت هـي الوسيلة المفضلـة لإشباع الشهوات، لم يدرك معظم النـاس أن هذه الزيارات تسجل عليهم على

الموقـع ومـن الممكـن اكتشافهم ، ولقد قمـت بتقديم المشورة لمئـات مـن النـاس الذين أُمسكـوا فــي خطايا جنسية، حيـث أن زياراتـهم لهـذه المواقع مسجلـة دون أن يدركوا أنهم معرضين أن يُكتشفوا. وأعتقد أن الله استخدم جهلهم، ليحصلوا على المعونة. لكن هناك برامج موجودة الآن تستطيع أن تمحو تتبع تاريخ دخول أي شخص على المواقع الجنسيـة، وإن كـان من الممكـن أن نمحو تاريخ دخول الشخص على المواقع الجنسية، إلا أن الأسرار الدفينة في قلوب وحياة الأعداد الغفيرة من الأطفال والشباب لا يمكن أن تُمحى، لكنها ستدمر حياتهم جنسيًا وروحيًا.

لقـد عرف التاريخ منذ زمن بعيد السياحة الجنسية وتجارة الرقيق الأبيض، لكن بينمـا كنت أكتب هـذا الكتاب أصابني الفـزع عندما قرأت علـى صفحات الصحف إن تجـار الجنسـ بدأوا يصطادون الأطفـال الذين تبقوا أحياء بعـد إعصار ماينمار المدمر.

إغراء الأفلام الإباحية

لمـاذا تعتبـر الأفلام الجنسية تجربـة إغراء ناجحة جدًا؟ إن أبسـط وأصدق جواب لهـذا السـؤال هو «بسبب الشهوة الشريرة في القلب». فالدوافع الشريرة الكامنة في قلب الإنسـان منـذ سقـوط البشرية، هـي التـي تحرك كل سلـوك شرير. فقد أعلـن الله غضبه الشديد في أيام نوح لأن كل تصور فكر قلب الإنسان كـان يتسم دائمًا بالإثم (تك ٦ :٥). فقـدرة الإنسان على رسم صورًا إباحية جنسية ليست هي المشكلة، لكن جذور المشكلة هـي الشر الكامن في قلب الإنسان.

تأثـر مجتمعنا المعاصر بذات دوافع وتصـورات القلب، فالأفلام والصور الإباحية هي أكثر من مجرد صور مثيرة، فالأمر تطور من مجرد رسم الصور بالأبيض والأسود إلـى رسمهـا بألوان جذابة إلى التقـاط صور فوتوغرافية لنساء فـاتنـات، إلى استخدام الكمبيوتـر لعمـل صور جنسية، وفـي كل هذه الأحوال نجد أن المحـرك الداخلي واحد. فـكل تقنية جديدة تضع في اعتبـارهـا التفاعل بيـن العارض والمتفرج، والمحرك لكل منهمـا هـو الشهـوة الشريرة، فكل منهمـا له شره الكامـن في داخله. فبـدون المتفرج، سيُترك العارض لأفكاره الشريرة، وبدون العارض ، سيُترك المتفرج لخيالاته الشريرة.

بـدأت الصـور الإباحية في الظهور في القـرن السادس عشر ، لكـن نوعيتها كانت

متواضعة، وفي القرن السابع عشر بدأت بعض الصور الإباحية المطبوعة تنتشر من أمستردام إلى بقية الدول الأوربية. وفي عام ١٨٣٩ بدأت تقنيات التصوير في التحسن وبذلك تحسنت نوعية.الصور الإباحية، وفي بداية القرن العشرين حدثت ثورة في فن التصوير والطباعة الأمر الذي استتبعه ظهور مجلات الجنس والإباحية.

تطورت التكنولوجيا بسرعة، وحدثت طفرة جديدة مع ظهور الصور المتحركة. بدأ إنتاج مئات من الأفلام الإباحية، وكانت تُوزع بطريقة سرية. إلا أن تغييرًا هائلاً حدث في بداية الثمانينات من القرن الماضي عندما ظهرت أجهزة الڤيديو على نطاق واسع، وبدلاً من إنتاج مئات الأفلام كل عام، يتم إنتاج الآلاف. أي شخص يريد أن يشاهد هذه الأفلام من الممكن أن يطلبها عبر البريد، ويشاهدها في خصوصية في بيته.

في أعقاب ثورة الفيديو أتى الإنترنت، الذي سرعان ما أصبح المصدر المفضل للأفلام الإباحية. الآن من الممكن أن تطلب أو تشاهد الأفلام الإباحية على مدى الأربع وعشرين ساعة بدون أي حرج. وبفضل التقدم في تقنية المحادثات الحية، أصبحت المحادثات عبر الانترنت مع أي شخص أمرًا سهلاً.

تطور كاميرات الفيديو والكاميرات الرقمية جعلت «المحترفين» ينتجون ويوزعون أفلامًا إباحية من إنتاجهم. في الواقع معظم الأفلام الإباحية المتاحة في هذه الأيام هي من إنتاج هؤلاء المحترفين. تقدم الكمبيوتر سمح لهؤلاء الناس أن يخزنوا الصور في ملفات إلكترونية، ومن خلال برامج معينة من الممكن أن يخرجوا أفلامًا إباحية عديدة، ومن الغريب أن مثل هذه البرامج تُستخدم أكثر في إنتاج الأفلام الإباحية عن استخدامها في الموسيقى. وطبقًا للتحليل الإحصائي[١٤] الذي استهدف أكثر من ٢٢مليون باحث في الإنترنت وجد أن:

- ٧٣ ٪ من كل الباحثين عن الأفلام كانوا يبحثون عن الأفلام الجنسية.
- ٢٤ ٪ من الباحثين عن الصور كانوا يبحثون عن الصور الإباحية للأطفال.
- ٦ ٪ من كل الباحثين كانوا يبحثون عن الأفلام الإباحية للأطفال.
- ٣ ٪ من الباحثين كانوا يبحثون عن أمور غير جنسية أو أمور تعليمية.

فالتقدم التكنولوجي ليس هو لب المشكلة، لكن الشر الذي في قلب الإنسان

واستخدامه هذه الوسائل التكنولوجية في أغراض شريرة هو الذي يظهر اتجاهات قلب الإنسان الشريرة.

الثورة الجنسية:

ولعل أحد أسباب الظلمة الجنسية التي تحيط بنا هو ما أسميه «الثورة الجنسية»، هذه الثورة التي شملت أحداثًا كثيرة وعوامل متعددة في ستينات وسبعينات القرن الماضي، لكن تاريخيًا نستطيع أن نتتبع مصدرها من خلال ما كتبه ألفريد كينسي في التقرير الذي سُمي «تقرير كينسي» في الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي، الذي يقدم فيه تفاصيل الحياة الجنسية للشخص الأمريكي، وقد اعتبره البعض متحررًا لكن البعض الآخر اعتبره فاسدًا.

لكن هناك عامل آخر للثورة الجنسية وهو إصدار الطبعة الأولى من مجلة الجنس «Playboy Magazine» في عام ١٩٥٣ والتي أصدرها هاج هفنر.

أخذت الثورة الجنسية بعدًا آخر في عام ١٩٦٠ عندما بدأت أقراص منع الحمل في الانتشار، الأمر الذي جعل بعض السيدات يشعرن بحرية في ممارسة الجنس مع أي شخص وفي أي وقت، ورحبت كثير من الحركات النسائية بالحرية الجنسية، بل أعتبرها البعض جزء لا يتجزأ من حقوق المرأة.

حدث تطورًا آخر في هذه الثورة الجنسية عندما تم مزج فكرة نبذ الحرب ونبذ المؤسسات العسكرية الذي نشأ عنه هذا الشعار الشائع «أصنع حبًا لا حربًا»، و«افعل ما تشاء»... وبناء على هذه الدعوة بدأت بعض السيدات في حرق حمالات الصدر، وبدأ توزيع أفلام الجنس وأفلام الجنس عن طريق الفم في المسارح الرئيسية، وسرعان ما ظهرت نوادي الجنس.

غيرت الثورة الجنسية مفهوم العلاقة الجنسية إلى مجرد اللذة الجنسية المتاحة لأي شخص سواء كان متزوجًا أم لا، وامتزجت هذه الأفكار بالمعتقدات السائدة في بعض المجتمعات والتي تقدس حرية إشباع الرغبات، والاستقلالية الفردية، الأمر الذي أدى إلى زيادة معدل الطلاق، وزيادة نسبة الشباب الذين يعيشون معًا بلا زواج.

عندمـا تخرج العلاقـة الجنسية عن إطار رجـل واحد لامرأة واحـدة، وامرأة واحدة لرجل واحد، فمن البديهي أن تزداد معدلات الإصابة بـالأمراض الجنسيـة... إلا أن الثورة الجنسيـة أخـذت بعدًا أكثر في هـذه الأيـام، حتى أن البعض يريد إعـادة صياغة بعض المفاهيـم لتصبـح أمـورًا جنسية طبيعيـة، مثـل زواج المثليين (ذكورًا بذكـور، وإناثًا بـإناث).

إن مواقـع الجنس الشريـر المحرّم بدأت تخترق حتى ما يبدو أنـه مواقع بريئه أو إعـلام بريء، فعلى سبيل المثـال، نجد أن موقـع كريجاسليست (Craigslist)، الذي بدأه كريـج نيومـارك في عـام ١٩٩٥ كنوع من الهوايـة وانتشر الآن فـي ٤٥٠ مدينة على مستـوى العالم، وبينما أكتب هذا الكتـاب، هنـاك حوالي ١٧ مليون زائر لهذا الموقع كل شهـر. كثيـر منـا زار هـذا الموقـع إما ليبيع أو يشتري شيئًا مـا، أو ليبحث عن وظيفة أو يبحث عن نوع من الخدمات، وبينما يتصفح الناس هذا الموقع، يبدأون في البحث عن أشياء أخرى بخلاف شراء سيارة، أو البحث عن عمل. في أحد التقارير عن ثمانية مدن كبرى وجد أن أكبر عدد من زوار هذا الموقع يبحثون عن أمور جنسية، وهذا العدد يمثل ضعـف العدد الذي يأتـي في المرتبة الثـانية. وفي بداية عـام ٢٠٠٧، كان متوسط من يبحثون عن أمور جنسية هو ٢٦٥٠٠٠ شخص في كل مدينة، أي ما يزيد على مليوني شخص شهريًا في هذه المدن الثمانية![١٥]

ولا يصدمنـي بحث الإنسان عن الجنس فـي الإنترنت، عندما أدرك من كلمة الله أن «أهـواء قلب الإنسان شريرة منذ حداثته» (تك ٨ :٢١) والجنس عبر الإنترنت يقدم لك أشخاصًا مجهولين، وطالما أنك تعيش في خيالاتك الشهوانية في بيتك في خصوصية، لا يهم إن كنت تتعرى أو تمارس أي تصرفات مخجلة.

منـذ زمـن غير بعيد، إن كنت تريد أن تمارس «الجنس الغيبي»، كان عليك أن تذهب بسيارتـك إلـى مكان بعيد عـن المدينة، أو تذهب إلـى أحد الأندية الليليـة، على أمل أن تشبـع رغباتك. لكن في أيامنـا هـذه، الأمر لا يستلزم منك أن تترك منزلك، ومن الممكن أن تغذي رغباتك الجنسية كل ليلة إن كنت تريد! إن الوضع في أيامنا يدعو إلى اليأس، حيـث أن القيـم تتغير بمعدل سريـع، والبعد عن الله ينتشر بطريقـة مفزعة. إن البشريـة تنـادي بصوت عال يملأه الغضب وتقول «أريد أن أُشبع رغباتي الجنسية»، وأمـام هذه الرغبة وجد الجشع والتكنولوجيا مرتعًا خصبًا للنمو.

درس عالم الاجتماع البريطاني ج. د. يونون ثمانية وستين حضارة على مدى خمسة آلاف سنة من عمر البشرية، وتوصل إلى أنه بدون استثناء، تزدهر الحضارة في المجتمعات التي حددت ممارسة الجنس في إطار الزواج، كما أنه وجد أن الحضارات التي تجاهلت هذا الأمر لم تعش لأكثر من ثلاثين عامًا.

ما هو وضع مجتمعاتنا الآن؟ وإن كان من الحماقة أن نتجاهل هذه التهديدات، إلا أنه لا يجب أن نستسلم ونعلن أن مجتمعاتنا على حافة الانهيار. لكي يكون هناك فداءًا جنسيًا، ينبغي أن نعترف أولاً أن هناك مشكلة خطيرة، وعلينا أن نفهم طبيعتها.

لا أحد ينكر أنه من الأمور السيئة أن نجد هذا الظلام الجنسي منتشرًا على نطاق واسع في مجتمعاتنا، لكن الأمر الذي يدعو إلى الدهشة هو أن انغماس المؤمنين في هذا الوحل قد وصل إلى مدى خطير، الأمر الذي سوف نناقشه في الفصل القادم.

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. مـا هي دلائل «الظلمة الجنسية» التي تراهـا في الآخرين؟ وبأمانة هل تراها في نفسك؟

٢. هل كنت تدرك أن أفكار القلب الشريرة هي أساس الخطايا الجنسية؟

٣. قـال يسـوع «إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ ذلِكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. لأَنَّهُ مِـنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الأَفْـكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً، فِسْقٌ، قَتْـلٌ، سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، خُبْثٌ، مَكْرٌ، عَهَارَةٌ، عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ، تَجْدِيفٌ، كِبْرِيَاءُ، جَهْـلٌ. جَمِيعُ هذِهِ الشُّـرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخِـلِ وَتُنَجِّسُ الإِنْسَانَ». (مـر ٧ : ٢٠-٢٣) أطلب من الله أن يكشف لـك بعض الاتجاهات في إنسانك الداخلي التي تنجسك؟

الفصل الثالث

صراعات يواجهها المؤمنون

شفتاي على استعداد للاعتراف

إلا أن قلبي متبلد المشاعر

وإرادتي تقاوم الإصلاح

إني أقدم ذاتي لك

اكسرها، اجرحها، اخضعها ثم اعصبها

اكشف لي عن خراب الخطية

لكي أكرهها، أمقتها وأهرب منها[1]

في ذات المكالمة مع جيم (انظر بداية الفصل الثاني) شجعته، وطلبت منه أن يظل ثابتًا، وشرحت له أنه بالرغم من ظروف الألم واليأس، إلا أن الله مازال يعمل.

اكتشاف عدم الأمانة الزوجية لأول مرة، يعتبر خيانة قاسية لعهود الزواج، مما يؤدي إلى تهتك الروابط الهشة للزواج، وعندما تُكتشف خطايا جنسية أخرى في وقت لاحق في الزواج، فإن الدمار الذي تحدثه يكون خمسة أضعاف ما حدث في أول الزواج.

قلت لجيم «احتاج أن أتحدث إلى كاري، هل ستتحدث إليَّ؟» فقال لي أن كاري طردته من المنزل، للمرة الثانية، وهو الآن يعيش مع أخيه.

أجابني «أنا لا أعرف إن كانت ستتحدث معك أم لا، لكن أرجوك اتصل بها، لقد بدأت تتردد على أحد المشيرين في المدينة الذي قال لها أن هناك سند كتابي للطلاق. أنا أعلم أنه في برنامجكم جلسات مشورة مكثفة في الأسبوع القادم، هل من الممكن أن ننضم في هذا البرنامج؟»

في الواقع هناك بعض من ألغوا الحجز وهو أمر نادر الحدوث، لذلك قلت له «إذا كانت كاري على استعداد أن تحضر، فمن الممكن أن تحضرا بدلاً من الذين ألغوا الحجز»

قال جيم «من فضلك اتصل بها، فكاري لن تتصل بي ولن ترد على مكالماتي لها، سوف أحاول أن أحجز الطائرة وأنا منتظر ردك عليَّ».

▬ ▬ ▬ ▬

في أثناء مكالمتي الأولى مع كاري، وكانت في حالة من الارتباك وعدم التصديق قالت لي «أنا لا أستوعب هذا! إنه أب صالح، ونحن قادة في كنيستنا، أشعر وكأني لا أعرف من هو هذا الرجل؟»

للوهلة الأولى، من الصعب أن تفهم كيف أن الرجال والسيدات الذين يعرفون الحق الكتابي يسقطون بسهولة في الخطايا الجنسية، وسؤال من الأسئلة التي أسمعها كثيرًا «فيما يفكرون؟» في الواقع، كلما فهمنا الموضوع بعمق، كلما قل اندهاشنا، وعلينا أن لا نتفاخر، وألا نشير بأصبع الاتهام إلى الآخرين، وكما سوف نرى ، كلنا في حاجة إلى الفداء الجنسي؟

لكن ما الذي يحدث بين المؤمنين؟ فعملي في مجال المشورة مع ألف وخمسمائة من الأزواج المؤمنين ، من كل المراحل العمرية، من جميع الأوساط الاجتماعية والتعليمية ومن كل أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، وجدت الآتي: أن ٨٥٪ منهم كانت لهم علاقات جنسية قبل الزواج، الجميع يعاني من خيانة قلبية أو جسدية في زواجهم. وأن ٨٥٪ منهم كانوا يعانون من عدم الإشباع الجنسي أو اختلال في الوظائف الجنسية. في أغلب الحالات، كانت الزوجة تعاني من ضعف الرغبة الجنسية، وبعض الأزواج كانوا يعانون من مشاكل في الانتصاب.

لقد دلت بعض الدراسات، وبعض المعلومات غير الرسمية ، أن حوالي نصف المؤمنين يتعاملون بطريقة أو بأخرى مع المواقع الإباحية في الإنترنت، وأود هنا أن أضع أمامكم جزء من الخطاب المفتوح الموجه إلى الكنيسة والذي كتبة القس شوك سوندول، ودونّه على الموقع الخاص به على شبكة الإنترنت حيث قال:

إن أحدث الدراسات المتاحة تبين أن حوالي نصف عدد المؤمنين متورطون في مشاهدة المواقع الجنسية. بل أن كثير من الخدام العلمانيين في كنيستك

وكنيستـــي يصارعون مع هذا الأمر، وهناك احتمالات كبيرة أن بعض الخدام المتفرغين الذين يخدمون بأمانـــة معنا، قد يخسرون المعارك السرية التـي تدور داخلهم ويسقطوا. وبينما أنا أذكر هذه القائمة أريد أن لا أتجاهل شبابنا – المتزوجيـــن وغيـــر المتزوجين – الذين يقودون شبـــاب إعدادي وثانوي، وأقول الصدق، فالإحصاءات قد تكون أعلى مما ذكرت[٢].

مـن الصعـب أن نصـدق أن حوالي ٥٠٪ مـن المترددين على كنائسنا يـوم الأحد يشاهـدون الأفلام الإباحية علـى الإنترنت. لقد راود الشك أحـد الرعاة، فأجرى دراسة عن هذا الأمر واكتشف أن ٦٠ ٪ من جمهور الكنيسة زاروا هذه المواقع في خلال العام الذي مضى، وأن ٢٥٪ زاروها في الشهر الماضي[٣].

القصص التـي نسمعها تؤيـد وجود هـذه المشكلة في كنائسنـا، فلقد قال لي شخصيًـا مسئول إحـدى الهيئات التي تعمـل في مجال العمـل المرسلي، أن ٨٠٪ مـن الذيـن يقدمـون طلبـات للعمل في هـذه الهيئـة يعانون مـن مشكلـة التردد علـى المواقع الإباحية فـي الإنترنت. بل إحدى الهيئات غيـر الطائفية التي تعمل فـي مجـال تدريب الرعـاة حديثي التخرج أعلنـت أن من شروط مـن يجروا معهم المقابـلات أن لا يكونوا من هؤلاء الذين يعانون من مشاكل الدخول على المواقع الإباحيـة، والشيء الأفظع أن هـؤلاء القسوس أعلنوا أن زوجاتهم ليسوا على علم بهذه المشاكل.

قـال لي أستـاذ في كلية اللاهوت «نحن لا نشتـرط الآن إذا كان الطلاب المتقدمين يشاهـدون المواقع الإباحيـة أم لا، فنحن نفترض أن هذا يحدث، لكننا الآن نسأل «إلى أي مدى الطالب متورط في هذا الأمر؟»

إذا لـم نتعامـل مـع هذا الوباء، فإن عمـل الله سوف يتأثر لأجيـال قادمة. ما الذي سيحـدث لو أن الرعاة الشبـاب، الذين يزرعون الكنائس، ويبدأون فـي حياة أسرية، ثم تكتشـف زوجاتهـم فجـأة أنهم يعانـون من مشـاكل مشاهدة الأفـلام الإباحية ؟ لكن الأخطـر مـن هذا ماذا سيحدث مع الأعداد المتزايـدة من الرعاة الشبان الذين يمتلئون بالأفكار الشهوانيـة، وهم على حافة الانهيار الأخلاقي، يؤثرون على الأطفال بطريقة سلبية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؟ سيسقط البعض من هؤلاء القادة، تاركين

إحباطًا ودمارًا للأجيال القادمة. لابد أن نواجه هذا العفن الذي ينتشر في الكنيسة وإلا سيحل الخراب الذي لا يمكننا أن ندرك مداه.

مؤشرات المشكلة:

لا توضح القصص أو حتى الإحصاءات حجم المشكلة الجنسية بكل أبعادها. لقد عملت في مجال المشورة لمدة ثلاثين عامًا، وقضيت السنوات الثمانية عشر الأخيرة في مجال المشورة المختصة بالجنس، وأقول من خلال خبرتي ومن خلال دراستي المستمرة لكلمة الله، ومن خلال رصدي لبعض الأفكار والتصرفات أن هناك غموضًا أو جهلاً متأصلاً فينا بخصوص الحياة الجنسية. وأريد بكل اختصار أن اشرح بعض المؤشرات لأنه بدون أن نرصد أين نحن من المشكلة الجنسية، لا يمكن أن ندرك لماذا نحن في أشد الحاجة إلى الفداء الجنسي.

وأود أن أقدم هذه المؤشرات ببعض التفصيل، لأننا نصبح في خطر إن اعتقدنا أن الانحرافات الجنسية هي قاصرة على ما نسميه «الإدمان الجنسي» أو على الأشخاص المتطرفين في سلوكهم الجنسي.. هذا ليس صحيحًا، فأنا لا أريد أن يستثني أحد نفسه ويقول «هذه ليست مشكلتي».

المؤشر رقم ١ : ضعف دور الرجل والمرأة

تقريبًا مع كل شخص كنت أقدم له المشورة، اصطدمت بما سميته «ضعف دور الرجل والمرأة «.. فبالنسبة للرجال، هناك غياب دور القيادة، ضرب الرجال، الخواء الروحي، والسلبية. الأمر الذي أدى إلى هذه المقولة «الرجال جبناء». لاحظت بين النساء ضعف في الميول الجنسية بل وصلابة تتنافى مع ما ينبغي أن تتحلى به المرأة من «زِينَةَ الرُّوحِ، الْوَدِيعِ الْهَادِئِ» (١بط ٣ :٤) وذلك حتى لا تشعر بالضعف. لكن هذا يؤدي دائمًا إلى أن تكون المرأة أقل جاذبية. فقد تكون جذابة في شكلها الخارجي، لكن عندما تتأمل جيدًا وجهها، نبرات صوتها، اتجاهاتها، ستبدأ في اكتشاف أن جمالها وقوتها مزيفين. لكن بالإضافة إلى ما ذكر من قبل، نجد أن لديها إحساس متزايد بالمرارة، ورغبتها في التسلط، وقد تكون قوية روحيًا وهنا ستحاول أن تتجنب الرجل الفارغ روحيًا وتتحول لتجد أن «المسيح هو المحب». وكما تم وصف الرجال بهذه المقولة «الرجال جبناء»، يتم وصف النساء «النساء ساحرات». أحد مظاهر نقص دور الرجل أو المرأة أن

الزوجة تشعر أنها مثل الأم بالنسبة لزوجها، ويشعر الزوج أنه طفل في علاقته بزوجته.

أعتقد أن ما يعاني منه الرجال من ضعف الانتصاب، والنساء من ضعف الميول الجنسية (انظر المؤشر ٢) يرجع إلى ضعف دور الرجل ودور المرأة، فإن كنت تشعر كأنك طفل أمام زوجتك، ألا تتوقع أن يكون ضعف الانتصاب أمر طبيعي؟ وعندما تكون للرجل علاقات غرامية، تكون معاناته في هذا الأمر أقل جدًا من معاناته مع زوجته، وبالتالي يبدأ في خداع ذاته أن يتصرف كرجل. وكذلك بالنسبة للمرأة، إن كنتِ تشعرين بأنكِ أم لزوجك، ألا يكون عدم الميل للمعاشرة الجنسية شيء طبيعي؟ وإن كان للمرأة علاقات جنسية تبغي منها إشباع ذاتها، لن تعاني من مشكلة نقص الرغبة الجنسية، إن نقص دور الرجل أو المرأة هو اتجاه داخلي، ويشير مباشرة إلى الحاجة إلى الفداء الجنسي.

المؤشر رقم ٢ : اعتلال الوظائف الجنسية

أواجه كثيرًا هذا الموضوع مع الأزواج في جلسات المشورة، فالشكوى السائدة لدى السيدات هي ضعف الشهوة الجنسية، أما بالنسبة للرجال فيعانون من ضعف الانتصاب. فلا أظن أن هناك نشرة أخبار مسائية أو برنامج رياضي على شبكات التلفزيون يخلو من إعلان عن الأقراص التي تعد بحل «المشاكل الجنسية للرجال». ففي عام ١٩٩٨ أنتجت شركة فايزر ذلك العقار المشهور «ڤياجرا» ووافقت عليه الهيئة الأمريكية للرقابة على الأدوية، ومن عام ١٩٩٩ إلى عام ٢٠٠١ تم بيع ما قيمته مليار دولار من هذا الدواء. هذا يضع أمامنا حقيقة واضحة ألا وهي أن الرجال يعانون من مشكلة. لكن قبل أن تعلن أنك في حاجة إلى «ڤياجرا» وتطلب من طبيبك أن يصف لك هذا الدواء، تعالوا بنا نبحث هذا الأمر بعمق لنرى ما الذي يدور في سياق العملية الجنسية عند الرجال.

بالطبع هناك أسباب عضوية تسبب عدم القدرة على الانتصاب، ومن الممكن أن يحددها الطبيب المختص، فعلى سبيل المثال حوالي ٦٠ ٪ من الرجال المصابين بمرض السكر يكتشفون أنهم يعانون من هذا المرض من خلال أعراض ضعف الانتصاب. لكن من خلال عملي في مجال المشورة، أقول أن ضعف الانتصاب، إن لم يكن بسبب عضوي، غالبًا سيكون بسبب خلل في العلاقات. بهذا أنا أقصد أن الرجل

المتـزوج الذي لا يستطيع أن يمارس الجنس مع زوجته بسبب ضعف الانتصاب، غالبًا لا يكـون لديـه هذه المشكلة عندما يمارس العادة السريـة أو عندما يمارس الجنس مع امرأة أخرى ... لماذا يحدث هذا؟

من الحماقة أن نتجاهل دور العلاقة (وأنا أعتقد أنها في النهاية علاقة روحية) في سيـاق العمليـة الجنسية. افترض الطب أننا نستطيـع أن نحل المشاكل الجنسية وبقية المشـاكل العضويـة بدون النظـر إلى عوامل أخرى مثـل العامل الروحـي أو العلاقـات، فالأقراص يمكنهـا أن تعالـج ضعـف الانتصـاب، لكنهـا لا تفيد في تغييـر المشاكل الروحية أو المشاكل في العلاقات.

بـالنسبـة للمـرأة، يظهر الاعتـلال في الوظائف الجنسية من خـلال عدم رغبتها في العلاقـة الحميمـة أو في إشباع رغبات زوجها. في بعض الحالات يكون هذا الأمر من خلال عدم إظهار مشاعرها الحقيقية لأنها لا تريد أن تجرح مشاعر شريكها أو تخسره أو تغضبـه. أعتقـد أنه فـي القريب العاجل ستظهـر أقراص مشابهة للفياجـرا للسيدات لتحل مشاكلهم الجنسية، لكن ستظل المشاكل الروحية ومشاكل العلاقات كما هي.

المؤشر رقم ٣: الجنس التخيلي للمتزوجين «الجنس الغيبي»

مـا الذي يحدث خلف الأبواب المغلقـة بين الأزواج؟ ففي جلسات المشورة المكثفة التـي قمنـا بين عـام ١٩٩١ وعام ٢٠٠٨، عملنـا مع أكثر مـن ٣٠٠٠ مسيحي من كل ولايـات أمريـكا ومن ١٨ دولـه أجنبية. كان نصف هؤلاء يعانون مـن إدمان مشاهدة الأفـلام الإباحيـة، ومن هـذه المجموعة (وأغلبهـم من المتزوجين) أكثـر من ٩٠٪ من الزوجـات – حتـى قبل أن انتشار الأفلام الجنسية – كنا يشتكين من الشعور بالخوف وعـدم الثقـة التي عبـرت عنها إحـدى الزوجـات وقالت «عندمـا نمارس أنـا وزوجي الجنس، أتسـاءل فـي نفسي فيما يفكر. لا أثـق في صدق لمسته لجسـدي، لا أشعر أنه يحبني، لكني أشعر أني أداة جنسية لاستمتاعه الشخصي»

أعتقـد أن «الجنس التخيلـي» شائع بيـن كثير مـن الأزواج المؤمنيـن. لكي أكون أكثـر تحديدًا، إن ممارسـة هؤلاء الأزواج للعلاقة الجنسية لا تعـدو عن كونها ممارسة للعـادة السرية، والأدهى من ذلك أن بعض الأطبـاء المؤمنين المتخصصين في مجال الجنس، يشجعون هؤلاء الأزواج علـى مشاهدة الأفلام الإباحية ليحلوا مشاكل المودة

بيـن الاثنين.... تعالوا بنا نتخيل قصة زوجين لندا وتيد وقد اتبعوا مثل هذه النصيحة. فعندمـا يمارسـا الجنس معًا، يُثـار تيد بواسطة المـرأة التي رآها فـي الفيلم الجنسي بـدلاً مـن أن يثـار بواسطة لندا. أمـا لندا فتتخيل أنهـا تمارس الجنس مـع ذلك الرجل الـذي شاهدته في الفيلـم الجنسي بدلاً من تيد. السؤال الهام الـذي نسأله، ترى مع من مارس كل منهمـا الجنس؟ نعـم، لقد لمسوا بعضهـم البعض جسديًا، لكـن هل مارسوا الحب بعضهم مع بعض؟ واضح أن «تلبية الاحتياجات» ليست هي الهدف السامي من الزواج، لكن تمجيد الله هو الهدف. فالجنس بدون علاقة حميمة حقيقية هو إهانة لمجد الله. فالله هو الذي رسم العلاقة الحميمة بين الزوجين ، لتمثل علاقتنا به .

لاحظـت أن خلـف كل أنواع «الجنس التخيلي» في الـزواج، نقص في دور الرجل أو المرأة (كما شرحت من قبل)، أنانية، خوف من الرفض من جانب الرجل، وخوف المرأة من تحكم الزوج.

المؤشر رقم ٤: أسطورة الجمال

أصبحـت كلمة «الجمـال» بالنسبة للرجـال والنساء مرادفًا لكلمـة «مثير جنسيًا». تسلـط أسطـورة الجمـال على فكر المـرأة جعلها تعيش فـي جو من اليأس، عدم قبول النفسـ بـل وكراهيـة النفس. دمج فكـرة الجنس مـع الجمـال، خلقت في ذهـن المرأة إحساسًـا بأنهـا لكـي تكون مرغوبـة وجذابة، ينبغـي أن تكون «جميلـة». تقول بعض السيـدات أنهـن يصبحن أكثر أثارة عندما يفقدن الـوزن، إلا أن الميل الجنسي للسيدات لا يزيـد بفقـد الوزن. إن كان يبـدو أن تسلط فكـرة الجمال تعتبر أمـرًا بسيطًا مقارنة بالخطايـا الجنسية، لكن فـي واقع الأمر إن استحالة الوصـول لتحقيق هدف «الجمال المثالي» خارجيًا قد يدمر حياة المرأة الجنسية والروحية.

إن الأفلام الجنسية التي تبرز جمال المرأة بدأت تعيد تشكيل الحياة الجنسية للمرأة، وتستطيـع أن تـرى هذا في المجـلات اليومية، وفي الإعلانات، وفـي المجلات الخاصة بالمـرأة. فقـد أخذ مستخدمي برامج الصور على الكمبيوتر صـورة امرأة تزن ثلاثمائة رطـلا، وهـي ترتدي ملابس النـوم، وحولوها إلى آلهـة للجنس. برغـم أن هذه الصورة ليست لها أي صلة بالواقع، إلا أنها أصبحت معبودة كل من الرجال والنساء. فمن خلال برامـج الكمبيوتـر نستطيع أن نعدل من صورة أي امـرأة، لتصحح من جمال بشرتها أو شعرها أو شكلها. الرسالة واضحة «تشبهي بهذه، إن كنت تريدين أن تشعري هكذا»

لماذا تعرِّض المرأة نفسها لمشرط الجراح في محاولة مستميتة لتبدو وكأنها أصغر سنًا؟ لماذا تهتم البنت بشكلها بطريقة مبالغ فيها في هذه الأيام؟ لماذا مازالت أمي وهي في التسعين من عمرها تصبغ شعرها حتى الآن؟ إن أسطورة الجمال أخفت الجمال الطبيعي للمرأة. في وسط هذه الاعتقادات، أصبح من النادر من يرى أن المرأة هي أكثر من مجرد ملابس جميلة جذابة. من السهل أن ننخدع الآن ونعتقد أن الجمال الخارجي هو كل شيء بالنسبة للمرأة.

تعتقد كل سيدة أنه يجب أن تتمتع بهذا الجمال فتسعى لتحقيق ذلك. كل من الأفلام الجنسية، والصور التي تقدس الجمال، مؤسسة على أسطورة، وكلاهما يحط من قدر المرأة ليجعل منها مجرد أداة. إن كان تصور الرجل وفهمه عن العلاقات الجنسية تشوه من خلال الأفلام الإباحية، فأنا أعتقد أن تصور المرأة وفهمها للعلاقات الجنسية تأثر بنفس القدر من خلال أسطورة الجمال.

للأسف الشديد، لقد كسبت أسطورة الجمال الجولة ضد الطهارة الجنسية. في الواقع، الإعلانات لا تسوق للجنس لكنها تسوق لعدم الرضا، للخجل، وللشعور بالذنب. فتقول المرأة «أنا أكره جسدي، أردافي، بطني ......» إن مثل هذا الكلام هو تعبير جوهري عن الخجل الجنسي، الأمر الذي قد يدمر الحياة الروحية والعلاقات.، وهذا التركيز على الجمال الخارجي، هو مضاد لما علمنا إياه الكتاب المقدس بأن الجمال الحقيقي ينبع من الداخل.

وَلاَ تَكُنْ زِينَتُكُنَّ الزِّينَةَ الْخَارِجِيَّةَ، مِنْ ضَفْرِ الشَّعْرِ وَالتَّحَلِّي بِالذَّهَبِ وَلِبْسِ الثِّيَابِ، بَلْ إِنْسَانَ الْقَلْبِ الْخَفِيَّ فِي الْعَدِيمَةِ الْفَسَادِ، زِينَةَ الرُّوحِ الْوَدِيعِ الْهَادِئِ، الَّذِي هُوَ قُدَّامَ اللهِ كَثِيرُ الثَّمَنِ. فَإِنَّهُ هكَذَا كَانَتْ قَدِيمًا النِّسَاءُ الْقِدِّيسَاتُ أَيْضًا الْمُتَوَكِّلاَتُ عَلَى اللهِ، يُزَيِّنَّ أَنْفُسَهُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ، كَمَا كَانَتْ سَارَةُ تُطِيعُ إِبْرَاهِيمَ دَاعِيَةً إِيَّاهُ «سَيِّدَهَا». الَّتِي صِرْتُنَّ أَوْلاَدَهَا، صَانِعَاتٍ خَيْرًا، وَغَيْرَ خَائِفَاتٍ خَوْفًا الْبَتَّةَ. (١بط ٣ :٣-٦)

المؤشر رقم ٥ : النوايا الشهوانية

تعتبر الشهوة الجنسية مشكلة كبرى، ففي خارج أسوار الكنيسة، نجد أن تعليقات الرجال مع بعضهم البعض على أي امرأة تسير بجوارهم منصبًا على شكلها وعلى جسدها و... . ولأن مثل هذه التعليقات غير مقبولة في الكنيسة، لذلك ينظر الرجال إلى

النساء ويحتفظون بالتعليقات في داخلهم. لا يعلم أحد إلا الله مقدار الأذى والدمار الروحي الذي يحيط بنا. مقولة أن «الرجال كائنات بصرية!» تعبر عن الواقع، لكن هل يمكن أن نقبل النظرات الشهوانية كأمر طبيعي من الرجال؟

ندرك أن كل رجل يصارع مع الشهوة. وإن كان هذا هو الواقع، لكننا لا نستطيع أن نقبل الخطية كأمر طبيعي، فهذا لا ينفي كونها خطية. في أحد عظات يسوع القوية أدان الشهوة بصورة واضحة عندما قال « إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ.» (مت ٥ :٢٨) ومطلب الرب يسوع هو أن «تقطع» ما يجعلك تخطئ (مت٥: ٢٩-٣٠)، إن هذا ليس معناه على الإطلاق أن تُحدث عاهة في جسدك، لأن المشكلة لا تنبع من العين أو اليد، لكن من القلب ثم الذهن. إن فشلك في أن تتجنب النظرة الشهوانية، أي أن تنظر إلى امرأة وتشتهيها، هذا معناه أنك فشلت في أن تكون مخلصًا وفيًا لزوجتك (أو لزوجة المستقبل)، بل أيضًا هذا معناه أنك تحيا في عدم إيمان، بل وتتجاهل الله وتستخف بالمرأة، وتحيد عن التعليم المسيحي الذي يطلب منك أن تتعامل مع المرأة «بكل طهارة» (١ تي ٥ :٢).[٤]

الرجال الأتقياء بالتأكيد يقدّرون المرأة المحتشمة، بل أن مظهر المرأة الذي يعبر عن جوهر داخلي يؤثر تأثيرًا بالغًا حتى في غير المؤمنين (١بط ٣ :١ – ٤). إن الشهوة تنبع من القلب وليس من الذهن، فالقلب هو مركز إرادة الإنسان بل وهويته. وصية الرب يسوع لنا أنه ليس كافيًا أن نكون أنقياء من الخارج، بل ينبغي أن تكون أذهاننا طاهرة. في عملنا كقادة في المجال الروحي أو الجنسي، نحن الرجال قد نتعرض لهذه المشكلة، لذلك نحتاج أن نساعد بعضنا البعض ونحمي زوجاتنا، أخواتنا، بناتنا من أن تكنّ أدوات جنسية، ولكي نفعل هذا علينا أن نبدأ من قلوبنا، وسوف نوضح هذا في الفصول القادمة.

المؤشر رقم ٦ : قلة الاحتشام

تسير قلة الاحتشام في خط متواز مع مشكلة الأفكار الشهوانية، فكلاهما مرض في القلب، ويشوها صورة الله، بل كلاهما أيضا يدمر الحياة الروحية والعلاقات. من كل ما قيل في هذا الأمر، أرى أن الزوج التقي ينبغي أن يركز على ما هو جذاب في زوجته بالنسبة له ويحتفظ به لنفسه. المرأة التقية عليها أن تركز على ما هو جذاب بالنسبة لزوجها، وتكرسه له وحده.

أتت لي زوجة مدير المكتب الرئيسي لإحدى الإرساليات تشتكي من أن زوجها يتعامل يوميًا مع الموظفات العاملات في المكتب، واللواتي يرتدين ملابس عارية الصدر! ترى هل يوجد فرق بين المرأة المؤمنة وغير المؤمنة في مجال الاحتشام؟ هل فقدت كنائسنا احترامها لاحتشام المرأة؟ هل تقبلنا تقاليد المجتمع من حولنا الذي ينظر إلى الاحتشام وكأنه كبت أو قمع للمرأة؟ كيف أننا نرى في هذه الأيام أن ملابس المرأة تعدت أن تكون مرتبطة فقط بخطوط الموضة؟. أتت لي إحدى الزوجات التي ارتكب زوجها بعض الخطايا الجنسية وقالت لي «أنا أرتدي شورت ضيق، وبلوزة تظهر جزء من صدري، لكي ألفت الأنظار. أريد أن أبدو فاتنة عندما أخرج إلى الشارع، أريد أن ألفت أنظار الجميع إليَّ، هذا يعطيني إحساس بالقوة على الرجال، ويدعم ثقتي بنفسي، ويجعلني أشعر بالرضا عن نفسي».

إن المرأة – وأيضًا الرجل – في ملابسها ومظهرها تعبر عن مدى خضوعها لكلمة الله بل وتعبر عن دوافع قلبها.

لقد خلق الله المرأة على صورته، الأمر الذي جعل لديها القدرة على رؤية جمال الخلق في نفسها وفي ما حولها. الملابس المثيرة قد تجاري خطوط الموضة، إلا أن الرسول بطرس حذرنا من أن ننشغل بالمظهر الخارجي، فالنساء المؤمنات يركزن على الجمال الداخلي، على ما في القلب (١بط ٣ :١-٦). أنا أعتقد أن كثير من النساء لا يدركن مدى الخطورة التي تسببها رغبتهن في الحصول على المدح والقبول بسبب ما يرتدين من ملابس. فهن في كل يوم يستمتعن بنظرات الناس إليهن ويلفت أنظارهم من خلال المظهر الخارجي. قد يتهمني البعض بأني «ناموسي» بل «رجعي»، لكني أكتب هذا الكلام من موقعي كرجل مهتم بالمرأة وادركي أن الرجال يشوهون هذا الجمال لأغراضهم الشخصية. أمام هذه الحقيقة، وفي ضوء تحريضات الرسول بولس عن «الحشمة والتعقل» (١تي ٢ :٩-١٠). علينا أن نكون حريصين من أن نفسر كلمة الله طبقًا لأهوائنا، لذلك يجب أن يتولى الرجال كأزواج وكآباء مسئولية طريقة ملابس من يحبونهم من نساء. لكن أقول أن الأمر لا يتعلق بمجرد الملابس، لكنه يتعلق أساسًا باتجاه القلب، فالقلب الصالح سيتجنب كل مظهر خارجي قد يثير الشهوة. على المرأة أن تفحص دوافعها وأهدافها من طريقة ملابسها. فالمرأة قد تريد أن تتباهى بأناقتها، أو أن تبدو فاتنة أمام الرجال، إلا أن الرجال لا ينظرون إلى ما الذي تريده المرأة، فالرسالة التي تصلهم هي «انظر إليَّ»، وكلا الهدفين يشتتان النظر بعيدًا عن الجمال

الحقيقي. إن الذي يجعل المرأة جذابة بحق هو ما يُظهر الله بكل مجده فيها. هذا ينبغي أن يكون الشغل الشاغل لأي امرأة تريد أن تتميز حياتها «بالإعمال الصالحة»، «وبالجمال الذي لا يبلى»، «وبالقلب النقي».

المؤشر رقم ٧: الجنس قبل الزواج

تنتشر عادة ممارسة الجنس قبل الزواج على نطاق واسع بين المؤمنين. بين كل الأزواج المؤمنين الذين لجأوا إليَّ للمشورة، كان هناك أقل من ٢٠٪ لم يمارسوا الجنس قبل الزواج. فالاحتفاظ بالعذرية حتى الزواج -بالرغم من أنه مطلب إلهي- أمر يكاد يكون قد ضاع في كنائسنا. لكنني لم أجد أثناء ممارستي للمشورة أن اختلال الوظائف الجنسية لها علاقة بممارسة الجنس قبل الزواج. لم أتقابل مع زوجين يعانون من ضعف الشهوة الجنسية أو عدم القدرة على الانتصاب وكانوا يعانون من هذه المشكلة في أثناء ممارستهم الجنس قبل الزواج، لماذا؟ وكما سوف ترى عندما نفهم أكثر المعنى المختص بالفداء الجنسي، أعتقد أن التغير الهائل وعدم الإشباع الجنسي، والاختلال في الوظائف الجنسية الأمور التي قد تحدث بعد الزواج ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالمشاكل الروحية والمشاكل في العلاقات.

المؤشر رقم ٨: قبول فكرة ممارسة العادة السرية.

لا نستطيع أن نتجاهل موضوع ممارسة العادة السرية. اختلف المؤمنون حول هذا الأمر، فالبعض يعتبر ممارستها خطية، والبعض الآخر يعتبرها طريقة مشروعة لغير المتزوجين أو الذين لا يشعرون بالشبع الجنسي. أضف إلى ذلك، إن صعوبة تناول هذا الموضوع يعود إلى عدم الرغبة في التحدث في هذا الموضوع. الكتاب المقدس لم يتحدث عن هذا الموضوع بالرغم من أن البعض يعتقد أن ما فعله أونان (تك ٣٨ : ٨ – ١٠) يعتبر ممارسة للعادة السرية حتى أن البعض سمى العادة السرية «الأونانية» (onanism)، إلا أن ما فعله أونان ليس ممارسة العادة السرية لكن نوع من القذف خارج المهبل.

سأقدم لكم بعضًا من وجهات نظر هؤلاء المؤمنين الذين يساندون فكرة ممارسة العادة السرية:

- تمكننا من الاستمتاع بأجسادنا وعطية الله للذة الجنسية.
- إنها بديل عن الجنس ما قبل الزواج.

- إنها بديل عن ممارسة الزنا.
- تقدم شبع للرجال والسيدات المتزوجين الذين يفتقدون اللذة في العلاقة الجنسية.
- تسمح لنا أن نستفيد بالمزايا الصحية لتفريغ الطاقة الجنسية.
- تقي من الأمراض التي تنتقل عن طريق ممارسة الجنس.
- تمنع الحمل غير المرغوب فيه.

أصحاب هذا الفكر يضعون حاجات الإنسان وسعادته في المقام الأول، وبهذا الافتراض، من الممكن أن نعتبر ممارسة العادة السرية أمرًا مشروعًا. لكن أنا أؤمن أن الشبع في الله وفي محبة الآخرين سيحلق بنا إلى آفاق أسمى[٥].

المؤشر رقم ٩ : الاصطياد (التعليق) (HOOKING UP)

يعتبر « الاصطياد» مؤشرًا آخر لما نصنعه لأنفسنا ولغيرنا. و لقد ترسخ هذا الأمر منذ عام ٢٠٠٠ حيث أن معظم الأطفال الأمريكيين الذين هم فوق التاسعة من عمرهم أدركوا أن « الاصطياد» له علاقة ما بالنشاط الجنسي، في حين أن معظم الآباء كانوا يعتقدون أن كلمة «الاصطياد» معناها أن تقابل شخصًا ما.

لعل البعض يبرر عملية «الاصطياد» ويقول «إذا كنت لا تضر غيرك، افعل ما تشاء»... يا للعجب! كيف مع الوقت تغيرت المفاهيم. دعني أطبق مبادئ لعبة البيسبول على ما يحدث، عندما كنت في مرحلة المراهقة، وكنت تقابل فتاة، كانت القبلات والأحضان هي بمثابة ما يعرف في اللعبة بـ«القاعدة الأولى». أما «القاعدة الثانية» فهي تعني نوع من التدليل، التلامس الخفيف أو العميق، قبلات عميقة. وتحوي «القاعدة الثالثة» الجنس عن طريق الفم، و«المرحلة الأخيرة أي المرمى» هي الجماع الجنسي الكامل.

لكن في أيامنا هذه الذين يمارسون ما نسميه «الاصطياد»، يقولون أن «القاعدة الأولى» هي القبلات العميقة، التلامس العميق، أما «القاعدة الثانية فهي ممارسة الجنس عن طريق الفم ، «والقاعدة الثالثة» هي الجماع الجنسي الكامل ، أما «المرحلة الأخيرة أي المرمى» هي أن يعرف كل شخص اسم الشخص الآخر. إن هذا الكلام ليس دعابة، لكنه حقيقة، فبالنسبة لكثير من الشباب، اللقاء بين الفتاة والشاب عبارة عن إفراغ لطاقتهم الجنسية والذهنية، إلا أن علاقات المودة والعلاقات الشخصية ليس لها قيمة.

تبلغ نسبة من اشتركوا في «الاصطياد» ولو لمرة واحدة ٧٠٪ من طلاب الجامعات (٧٥٪ من الذكور، ٨٤٪ من الإناث)، ومن بين هؤلاء اشترك في الاصطياد ٩١٪ أكثر من مرة. في أثناء الدراسة الجامعية، يبلغ متوسط عدد مرات الاصطياد لكل من الجنسين حوالي ١٠،٢٨ مرة لكل شخص. وتقرير الطلبة أن ٥٥٪ من الذين يتم اصطيادهم، هم أشخاص لا يعرفون أسماؤهم، وتقرير ٤٩٪ من الشباب أنهم يخططون لعملية «الاصطياد» لكن لا يخططون لمن سيقومون باصطياده، وطبقًا للإحصاءات أن ٦٩٪ من هؤلاء الأشخاص لا يتواصلون في أثناء العملية الجنسية، بينما ٢٥٪ يتحدثون معًا قليلاً.(٦)

منذ زمن ليس ببعيد، كانت ممارسة الجنس بدون التزام أمر ينبغي أن يحاسب عليه الشخص، لكن إن كان هناك نوع من الالتزام بين الشخصين، فهذا مقبول من المجتمع. أما الآن فأصبح ممارسة الجنس مع أي شخص بدون أي نوع من الالتزام أمرًا طبيعيًا بين طلاب المدارس الثانوية والجامعات... إن «الاصطياد» هو نوع من العلاقة الحميمة الكاذبة، وهو عائق أمام العلاقة الحميمة الصادقة وللأسف إن هذا الأمر سيعيد تشكيل صفات جيل بأكمله بل وطريقة حياة بأكملها. النظر إلى الجنس باعتباره غاية، بدلاً من أن يكون تعبيرًا عن عمق علاقة، سيؤدي في النهاية إلى معاناة الملايين من عدم القدرة على إقامة علاقات هادفة في المستقبل.

بلا شك أن العلاقات الجنسية المتعددة لها محاذيرها الطبية، فكلما زادت العلاقات الجنسية زادت فرص العدوى بالأمراض التي تنتقل عن طريق الجنس، ولقد دلت الإحصاءات أن نسبة هذه الأمراض مرتفعة في الولايات المتحدة الأمريكية، مقارنة بالدول المتحضرة الأخرى. كان كل قلق الآباء على بناتهم في الماضي القريب منصبًا على عدم حدوث حمل والاحتفاظ بعذرية الفتاة، لكن يضاف الآن إلى هذه الأمور الخوف من العدوى بهذه الأمراض التي قد تدمر الصحة وقد تؤدي إلى العقم.

قد يمنع الواقي الذكري حدوث حمل، لكن لا توجد وسيلة تقي الفتاة أو الفتى من التدمير الروحي والاجتماعي من موضوع «الاصطياد». في يومنا هذا يخدع الشباب أنفسهم عندما يشتركون في علاقة حميمة كاذبة، فيفصلون بين العلاقة الجنسية وعلاقة الصداقة الحميمة. فالفتاة التي تمارس الجنس مع شاب لا تعرفه تشعر كأنها أداة. من المستحيل على أي إنسان خُلق على صورة الله ليمارس علاقات سامية،

أن يمارس «الاصطياد»، هذا الأمر المجرد من أي علاقات. هؤلاء الذين يصطادون يحاولون جاهدين أن يتجاهلوا المشاعر الطبيعية للعلاقة التي هي جزء أساسي من الجنس، ويحاولون بكل الطرق أن ينكروا أن هناك شيئًا ما يموت في داخلهم.

دلت الدراسات على أن الإحساس السائد عند النساء اللواتي يمارسن «الاصطياد» هو شعور بالندم، والخجل، وإدانة الذات، هذا بالإضافة إلى الألم الناتج من جهلهم لشريكهم، واحتمال عدم التواصل معه مرة ثانية. أما الرجال فيشعرون بالندم على اختيارهم الخطأ للشريك(٧).

هل الوضع يختلف كثيرًا في الجامعات المسيحية؟ بينما أنا أكتب هذا الكتاب في عام ٢٠٠٨، زار أحد الأشخاص ابنته التي تدرس في مدرسة الكتاب المقدس بإحدى القرى الصغيرة، ووجد أن باب الكنيسة الجميلة مغلقًا، وعندما سأل ما السبب، قيل له لكي يمنعوا الطلبة من أن يمارسوا الجنس داخل المبنى. وصفت السيدات الموجودات في هذه المدرسة الجنس الغيبي الموجود في المدارس غير المسيحية، أنه متماثل مع المدارس المسيحية لكن تحت مسمى آخر «هيا بنا نلتقي في الخارج يا صديقي». يا للعجب انه اصطياد تحت مسمى آخر، ففي صالات الدرس نجد أن هؤلاء الطلبة لا يحيون بعضهم ولا يأخذون مواعيد، أليس هذا التناقض يدعو للبكاء؟

لا أقصد أن الوضع سيء جدًا في المدارس المسيحية، وبالتأكيد لا توافق هذه المدارس على مثل هذا السلوك. درست الكاتبة دونا فريتاس (مؤلفة كتاب sex and The soul) وضع الطلبة في سبع كليات وجامعات مختلفة، منها الكاثوليكية، والإنجيلية، وغير الدينية، والخاصة، والحكومية، وكتبت التالي:

> ***كثير من طلاب الجامعة يتناولون موضوع الدين والجنس كما لو كانوا يتعاملون مع نوعين من الآلهة. عندما تتفاعل هذه الأمور معًا، كما رأيت في المدارس الإنجيلية، تكون الحرب ضارية. إما أن الدين يغلب والجنس ينهزم (نظريًا حتى الزواج) أو أن الجنس يغلب والدين ينهزم .... وإن كان لطلبة المدارس الإنجيلية والروحية خبرات مختلفة، إلا أنهم اتفقوا معًا حول أربعة محاور: ١- هم يحاولون استثمار هويتهم الدينية والروحية. ٢- يشعرون بميل لممارسة الجنس، ويتمنون أن يمارسوه ٣- الحياة الرومانسية***

ومحاولة إشباعها تحتل جزءًا كبيرًا من أولوياتهم. ٤-لا يعرفون كيف يوفقوا بين هذه الأمور المذكورة (من١-٣)(٨)

لعل كتاب دونا فريتاس يقدم لنا بعض الطمأنينة كون المدارس الإنجيلية تختلف عن المدارس الأخرى. لكن لا ينبغي أن نعتمد على إحساس مزيف بالأمان، لنستيقظ في يوم من الأيام لنفاجأ بتحول جذري في المدارس المسيحية، ويكون الوقت أضحى متأخرًا. ربما مازلنا نرى أن تلاميذ المدارس المسيحية أقل انغماسًا في الجنس من تلاميذ باقي المدارس، لكني أعتقد أنهم لن يكونوا آخر من ينغمس في ممارسة الجنس. من المؤسف أن نشجع أولادنا بقوة ليكرسوا حياتهم ليحيوا الحياة المسيحية، وتكون أولوياتهم منصبة على التزامهم تجاه عائلاتهم وعلى طهارتهم الجنسية. لكن دعونا نصغي إلى ما قاله مارك ريجنارس في كتابه «الثمر المحظور» «إن لم يدمج الشاب الإنجيلي عضويته بالكنيسة مع النشاط والممارسة الروحية، ففي سن المراهقة لن يكون على مثال العالم عندما يتعلق الأمر بالخبرات الجنسية، لكن في واقع الأمر سيكون أكثر نشاطًا في العلاقات الجنسية!»(٩).

هناك ميل بين الشباب لممارسة الجنس التخيلي أو الجنس الغيبي، وفي هذا المجال أذكر ما قاله لي أحد الشباب وهو ينتمي لبيت مسيحي محافظ له مقاييس سامية في الطهارة إذ قال: « أنا ليس لي صديقة، لكن أتقابل مع فتيات كثيرات، وأمارس الجنس معهن. أنا ابرر هذا العمل، فأقول لنفسي أن هذا أفضل من مشاهدة الأفلام الجنسية وممارسة العادة السرية». لدينا شباب في المدارس الثانوية لم يتواعدوا مع آخرين لكنهم كانوا يتعاملون معًا كأصدقاء، لكن بمجرد أن التحقوا بالجامعة، تحولت الصداقة إلى «صداقة نفعية!»

هذه هي نظرة سريعة ومختصرة عن الأعراض والمؤشرات التي تدل على الظلام الجنسي الذين فينا ومن حولنا. لكن ما هو لب المشكلة في حياتنا الروحية والجنسية؟

لعل البعض يقول أنه لحد ما، هؤلاء الذين يصارعون ليتغلبوا على الغواية الجنسية لا ينجحون بسبب ما هو راسخ في عقولهم أو بسبب الإدمان الجنسي الذي يربطهم ويجعل مرضهم غير قابل للشفاء، دعونا نناقش هذه القضايا في الفصول التالية.

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. سـواء كنت متزوجًا أم لا، مـا هـي المشاكل التي تعاني منها جنسيًا؟ هل هي الجنس قبل الزواج، أم ممارسة العادة السرية، أم الاصطياد؟

٢. إذا كنت رجلاً، هل تعاني من الفراغ الداخلي روحيًا؟ هل تشعر أنك طفلاً وأنت مع زوجتك، أو تجد نفسك جبانًا غير مغامر؟

٣. إذا كنتِ امرأة، هل هناك قسوة تشوه صورة الأنوثة الناعمة فيكِ؟

٤. بكل أمانه، هل أنت متردد في كشف صراعاتك الروحية والجنسية؟

الفصل الرابع

هل هذا مرض؟

طبيعتي شريرة صُلبت لكنها لم تمت!

حياتي محطمة ومخجلة!

الخطية ساكنة فيّ وتغويني باستمرار!

أعاني من عذاب العبودية والقلب الشرير!

يارب .. حطم الروح المظلمة التي في داخلي

التي وجودها المستتر يحول حياتي جحيما [1]

بعد أن استمعت إلى حديث جيم عن احتمال تحطم حياته الزوجية، اتصلت فورًا بزوجته (المتغربة عنه) كاري، لكن ردت على مكالمتي سيدة أخرى. أدركت أن هذه هي سوزان ابنتهما المتزوجة. عرفتها بنفسي، وفي الحال أتت كاري لتتحدث إليّ.

سألت، بطريقة دفاعية «هل تعلم ماذا فعل هذا الرجل؟ أنا لا أعرف من هو هذا الرجل، لا أستطيع أن أستمر في هذا الزواج، ولن أستمر في هذا الزواج! ولا أعتقد أن الله يريدني أن أستمر».

تحدثنا معًا عن ما فعله جيم مع سيدات أخريات عبر الانترنت وما سببه لها من جرح.

سألت كاري غاضبة «هل من أمل لرجل مثل هذا؟ أم أنه رجل مدمن للجنس وسيظل هكذا؟ أعتقد أنه مريض! وإلا لماذا يعاملني هكذا ويسبب الأذى لكل أسرتنا؟» وبدأت في البكاء.

حاولت أن أجيب على تساؤلاتها، شارحًا لها أني لا أعتقد أن حالة جيم ميئوس من شفائها أو لا يمكن تغييره، فينبغي أن يواجه حقيقة أنه وقع في شباك خطية خطيرة.

لكـن هنــاك حل في الصليب لكل خطايانا. بينما كنا نتحـدث، بدأت كاري تـهدأ وقـالت «أنــا أدرك أنــي مجنونــة، لكني ما زلت أحبــه. لقد قال لي مشيري أنــي يجب أن أطلقه، ونصحني أصدقـائي أن أفعل ذات الأمر. لكن في قرارة نفسي أريد أن أفعل ما يريده الله. لكني لا أتخيل أني استطيع أن أعيش هكذا».

مـن خـلال عشرتي بكلمــة الله تعلمـت أن أتعامل مـع أي شخصـ متألم، مثـل كاري، فالكتــاب يعلمنــا أن القلب المنكسر لا يمكـن أن يتجنب الألم، لكن الأهـم من ذلك فالكلمة أيضــا تعلمنــا أنه حتى لو كان الألم عميقًا، لكن الله هو المسيطر على الأمور. إذا نظرنـا إلى قصة يوسف، نجد أن إخوته غير الأمنـاء قصدوا به شرًا، لكن الله قصد به خيرًا (تك ٥٠: ٢٠) فأنــا أشعـر بـآلامي وبآلام الآخرين، لكنــي أدرك أن وراء كل هذا هدف سامي أكبر بكثير جدًا من الوضع المؤلم. وفي كل الأحوال علينا أن نسلك في الطريق الذي يمجد الله.

▬ ▬ ▬ ▬

كمــا أشـرت سابقًا، بناء على دراستي لكلمة الله، وخبرتي في مجال المشورة، أؤمن أن أساس الخطايـا الجنسية هو الخطية الساكنة في الإنسان. الطريق للتغلب على هذه الخطايـا هـو الفداء الجنسي. قـد تفكر وتقول لنفسك: نعم، إنها الخطيـة! الكل يعلم أن مشاهـدة الأفـلام الإباحيـة، أو ممارسة الجنس خـارج نطاق الزواج خطيـة! أعتقد أن معظـم النـاس، وعلى الأخصـ المؤمنين يدركون ذلك، لكن الاختـلاف يظهر في كيفية وصـف الخطية والتعامـل معها حتى في أوسـاط المؤمنين. أعتقد أنه مـن الأفضل أن نناقش الأفـكار الرئيسية عن ما الذي يحدث مع الأشخاص الذين يعانون من الخطايا الجنسية وما هي الحلول المطروحة.

الكل في رأسك؟

قـد لا تكون مدركًا إياه، لكن الأبحـاث العلمية المكثفة في السنوات الأخيرة، ركزت علـى ما نسميه الزواج الأحادي في الفئران البرية، لماذا؟ لأن العلماء يعتقدون أنه من المحتمل أن ما يدور في عقول وأوكار بل وجينات هذه الحيوانات تشابه إلى حد كبير ما يدور في رؤوس وجينات بل وعلى فراش الجنس البشري. إن كان هذا يبدو مضحكًا أو غير منطقيًا، لكنه يصبح منطقيًا بعض الشيء لأن الله هو الخالق للجنس البشري.

أصحـاب هذه النظرية يقولون أن مـادة الدوبـامين المسئولة عن الإحساس بـاللذة بـالنسبــة لفأر البريــة، تلعب دورًا أساسيًا في المجتمع البشـري، فعلى سبيل المثال

تنشط هذه المادة عندما نحصل على مكافآت، أو عندما نكون في حالة حب، أو في علاقات اجتماعية وثيقة. وهكذا اعتقد الباحثون أن هناك تشابهًا بين حياتنا الجنسية ونمط العلاقات الإنسانية وتلك التي لدى الفئران البرية. أثبتت الدراسات أن هناك ارتباط بين نوع من السلوك لفأر التجارب وما يحصل عليه من مكافآت، وبالتالي استنتجوا أن الحب الرومانسي، والمكافآت التي نحصل عليها يُعتبر نوعًا من الإدمان، باعتبارهما نوع من التفاعل الكيميائي.

تُرى كيف تعمل هذه النظرية: دعونا نأخذ مثال... في مساء يوم السبت يتقابل رجل مع امرأة، وأثناء الحديث الشيق، يشعر الرجل بنوع من «الكيمياء» ويبدأ في الوقوع في الحب. يبدأ الاثنان في الالتقاء معًا، ويتبادلان الأحضان والقبلات. يقول الرجل للمرأة «أنا أريدك، لا أستطيع الحياة بدونك» هذا يشبه إدمان الكوكايين، حيث يستخدم المتعاطي جرعات معينة، ثم يحتاج إلى جرعات أكثر لكي يصل لنفس القدر من المتعة. للأسف في وسط هذا السياق، قد تنسحب المرأة ولا تريد أن تتقابل مع هذا الرجل مرة أخرى، وهنا يبدأ شعوره بالألم، وبأعراض الانسحاب، فيبكي ويصاب باكتئاب.

بعد عدة شهور، يلتقي هذا الرجل مع تلك الفتاة في الكنيسة، فتبتسم له وتربت على كتفه، ويشعر بتغير في اتجاهها ويسألها «هل تريدين أن نتناول العشاء معا؟» تبتسم وتقول نعم. هنا يشعر برعشة في جسده. هذه هي الانتكاسة في الإدمان، لأنه مرة أخرى يشعر بإحساس لذيذ من الحب الرومانسي. إذًا ما هو الفرق بين هذا الإنسان والفأر البري؟ الإنسان لديه مخ أكبر ويعيش تحت ضغوط أكبر من الفأر البري.

إذا كنت تبلغ من العمر أكثر من أربعين عامًا قد تعتبر هذا الكلام سخيفًا أو مضحكًا، لكن لا تتسرع ولا تتمادى في الضحك... يبدو أن كثير من المشيرين المسيحيين يستخدمون مثل هذه الأبحاث، في بعض طرق العلاج مع من يقصدونهم للمشورة. على سبيل المثال في مجال الخطايا الجنسية، يعتقدون أن عقل «المدمن» لا يميز في السلوك الجنسي بين ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي، فهي عملية كيميائية تحدث في المخ. كتب أحد المتخصصين في مجلة مسيحية خاصة بالمشورة وقال

إن عقلك يقرر من هو جذاب بالنسبة لك، كيف تتواعد مع الشريك، ماذا ستفعل عندما تلتقي به، كيف تتفاعل مع المشاعر التي تتولد لديك، كم من الوقت

تستمر هـذه المشاعر، متى ترتبط، كيف تتصرف مـع الشريك ومع الأولاد. عندما يعمـل عقلك بطريقة سليمة، سيساعدك لكـي تفكر بعمق، وأن تكون رومانسيًا، خفيف الظل، ودودًا، ملتزمًا، ومحبًا لشريكك. أما عندما يكون هناك خلل في التفكير، فهذا يجعلك مندفعًا، متهورًا، مشوشًا، مدمنًا، خائنًا، غضوبًا، مليئًا بالكراهية، وهكذا تدمر فرص استمرار علاقة المودة والمحبة.[٢]

إنـي أتساءل: «مـا الذي حدث لإرادة الإنسـان، لاختياراته، لقلبـه الخادع؟» توقع المؤلـف أوس چينيس، أن طريقة تفسيـر الحياة في العصر الحديـث سوف تعتمد على الاعتقـاد بـأن كل شيء يُفهم من خـلال التفاعلات الكيميائية[٣]. أعتقـد أن هذا التوقع أصبـح حقيقـة، على الأقل في مجال المشورة. أنـا لا أنكر أن كل وظائف جسدي تحوي تفاعـلات كيميائية، لكن هل هـذا هو كل شيء؟ هل نستطيع أن نختزل كائنًا خُلق على صورة الله إلى مجموعة تفاعلات كيمائية؟

بالتأكيد لا!

الثورة العلاجية

إن طـرق علاج لمـا يعانيه الإنسـان في مجال العلاقـات تختلف اختلافـا واسعًا. فالإنسـان يشعـر بحاجته إلـى الإعزاز والتدليـل والتقدير، لكنه يشعـر بالإحباط لعدم إشبـاع هذه الحاجـات، وهو يعيش في وسط عالم أصبحت تسـود عليه الروح المادية، وفـي ظـل كل هذه الظروف ظهر مـا نسميه «الثورة العلاجية». تركـز كثير من عمليات المشورة على تطوير قدرة الإنسان على التعامل مع المشاعر السلبية وتصحيح السلوك غيـر السوي. فللمشورة دور هـام، بشرط أن تتخطى الأعراض الخارجية وتتعامل مع أعماق الإنسان الداخلية حيث المشاكل.

يستفيـد الكثيرون من جلسات المشورة، لكن البعض قد لا يستفيد. من المحتمل أن تكـون هذه الجلسات ضارة بالنسبة للبعض الآخر. تركز عمليات المشورة غالبًا على أحداث الماضي، وتحاول أن تنقب فيها، وقد تصل إلى أن الشخص هو ضحية أحداث حدثت له في طفولته. مثل هذه النظرة قد تقود الشخص لإحساس متزايد برثاء الذات. لعـل مثل هـذا الاعتقاد يخالف تعاليـم الإنجيل، إذ يعتقد أن أحـداث الماضي ترسم حاضـر الحياة، وبذلك يصبح الحاضر غيـر قابل للتغيير. هنـا يزداد الشعور بالغضب، رثـاء الذات والمرارة لمـا تعرضنا له في الطفولة، الأمر الذي قـد يؤثر بصورة خطيرة

علـى الحيـاة الروحيـة . هل أصبحنـا أسرى لما نسميـه ثقافة العلاج بـدون أن نفهم معناهـا؟

عمل دكتور بول فيتز أستاذًا لعلم النفس في جامعة نيويورك لمدة تسعة وثلاثين سنـة. كان عملـه يتركز علـى تلاحم اللاهوت المسيحي مع علـم النفس، مبتعدًا عن الفكـر الإنسانـي الدنيـوي أو حتى فكـر الحداثة النسبـي، هذه الأفـكار المنتشرة في يومنـا هذا. لقد قسم علم النفس الحديث إلـى ثلاثة أقسام... أولاً: سيكولوجية «تقدير الذات» وهـذا نجده في الكتب، والعظات، والمؤتمرات، وفي فصول المدرسة وقاعات المحاضـرات. ثانيًا: خبـرات المشورة الفردية التي لجأ إليهـا الملايين في أمريكا. ثالثًا: ما نسميه «مجموعات العلاج النفسي» ونراها بصورة واضحة في مجموعات المساندة.

قـال دكتـور فيتز «أثبتت الأبحـاث إن قيمة تقدير الذات ليست لها علاقة بالسلوك سلبًا أو إيجابًا، فالحياة أكثر تعقيدًا من أن تقاس بهذا المقياس.»

خاطب دكتور فيتز مجموعات العلاج النفسي وقال «هناك الآن دليل على أن نظرية المرض في إدمـان الكحوليات هي نظريـة خاطئة. إن الإدمان هو أمـر خطير ومدمر، لكنه ليس مرضًا»(٥) وأعتقد أن مثل هذا الكلام أغضب أغلبهم.

نتائج قبول فكرة المرض

لمـاذا بـدأت تترسخ هذه الفكرة؟ هذا هو السؤال الذي سأله الكاتب إيد ويلش ، فقال «إن إقنـاع الناس بأن الإدمـان مرضًا ليس استنتاجًا علميًا» لكـن ويلش اقترح وقال «إن نظريـة المرض انتشرت لأنـه لا توجد أمامنا إلا تفسيرات قليلـة باهتة تفسر عدم قدرة الناس على السيطرة على ذواتهم»(٦)

أعتقـد أنه محق، لكنـي سأخطو خطوة أبعد من ذلك. إن «نظرية المرض» في تفسير الإدمـان الجنسـي شاعت بين النـاس، لأنه بدون الفهم الكتابـي الصحيح عن الخطية وكيفيـة ضبط النفس، يعتقـد الكثيرون أنه لا يوجد أمامهـم أي طريق يساعدهم سوى التمسك بنظريـة المرض. بالإضافـة إلى ذلك، هنـاك الكثيرين حاولـوا أن يطبقوا ما اعتقـدوا أنـه الوسيلة المسيحية للتعامـل مع الخطية لكن أصيبـوا بفشل متكرر، لذلك

لجأوا لما اعتقدوا أنه البديل المناسب. وأخيرًا فنحن نخدع قلوبنا ونريح أنفسنا عندما نعتقد أننا مرضى لا خطاة.

هذا الكتاب في مجمله يقدم لنا التفسير الكتابي المهمل لهذا الأمر، ويفتح لنا باب الرجاء الحي من خلال الفداء الجنسي.

إن كنا نقلل من حجم الخطية لنضعها في قالب مرض أو حالة نفسية، عندئذ لن يتمكن المدمن جنسيًا أن يتغلب على إدمانه (أو إدمانها)، وسيقل رجاؤه في التغلب على هذا الإدمان مع محاولاته المتكررة الفاشلة، وستتحول علاقته مع الله إلى طلب للشفاء من الإدمان بدلاً من الاعتماد الكامل على نعمة الله وقدرته.

هل نحن مرضى أم خطاة؟

وجدت الكنيسة الإنجيلية نفسها مجبرة أن تعترف ما لم تكن على استعداد أن تقبله ألا وهو أن هناك خطايا جنسية في وسطها. وعندما تنامى هذا الإدراك، بدأت خدمات جديدة في الظهور، بل وظهرت كتب كثيرة تتحدث عن هذا الأمر. ممن يعانون من هذا الأمر، هناك من يحاولون باستماتة أن يجدوا العون، إلا أنهم يقعون فريسة لمن يحاولون أن يشخصوا حالتهم على أنها نوع من الخلل النفسي ويصفون هذه المشكلة على أنها نوع من الأمراض، ومثل هذا المفهوم يضعف أكثر وأكثر الفهم المهلهل عن الخطية والذي بدأ يسود كنائسنا، حتى أننا نرحب بفكرة «استخدام كلمة إدمان ومرض بدلاً من استخدام كلمة خطية»[٧]. في الواقع، الإنجيل هو أكبر قوة لتغييرنا، عندما ندرك ونؤمن في قلوبنا أن الخطية هي الخطية.

علينا أن ندرك بعقل منفتح، أن هذه الأفكار الخاطئة تغوي كثير من الأشخاص المستنيرين بهذه الأفكار الخاطئة، أو كما قال الرسول بولس «يخدعكم بكلام ملق» (كو ٢ :٤). حان الوقت لكي نعيد ترتيب أذهاننا وندرك بكل جلاء الحق، هذا الحق الذي لا نؤمن به فحسب، لكنه أيضًا يرشدنا. نحن في عصر الحداثة، لا نستطيع أن نقول أننا نؤمن بالخطية وفي ذات الوقت نتحول بعيدًا عن قوة الإنجيل ونستخدم وسائل إنسانية في محاولة لشفاء القلب المخادع. إن أي محاولات بشرية لا يمكن أن تقهر الخطية المحيطة بنا بسهولة (عب ١٢ :١)

لعل البعض يتهمني بأني شخص غير علمي، لكن ليس باستطاعتنا أن نعفي الإنسان من مسئوليته ونعتمد على النظريات التي تدعي أن التفاعلات الكيميائية الطبيعية في مخ الإنسان، وبعض هرمونات الذكورة، والتغيير في بعض الموصلات العصبية هي المسئولة عن السلوك الجنسي القهري. نعم فقد توجد عوامل أسرية أو بيولوجية، لكن بدون تبكيت وعمل نعمة الله ستنتهي محاولات تغيير السلوك بالإحباط. أيهما أجدى العلاج السلوكي الذي يحتاج إلى وقت طويل أم تغيير القلب الدائم، إن الخطايا الجنسية ليست مجرد سقوط إنساني، لكنها خطية في حق الله.

علينا أن نحذر من أي فلسفة لا تدرك بطريقة صحيحة الطبيعة الشريرة التي فينا وأن الفداء في صليب المسيح هو الأساس الوحيد لأي تغيير حقيقي. مئات الآلاف من الناس يفتحون أجهزة الكمبيوتر كل يوم بغرض تصفح بريدهم الإلكتروني ولديهم نية تجنب الدخول على المواقع الجنسية، لكن إن لم يكن معهم أحد في الغرفة، وقبل أن يذهبوا لموقع بريدهم الإلكتروني، تتولد لديهم الرغبة القوية ليتصفحوا المواقع المحرّمة، وبعد لحظات يجدون أنفسهم في صالات الدردشة يتبادلون أحاديث جنسية، بل وتمتلئ شاشات حواسبهم بالصور الجنسية، وهكذا في ثوان معدودات يجدون أنفسهم وقد اتصلوا بالجحيم، وعندما تنتهي هذه المحادثات الجنسية، يشعرون بالخجل، ويقسمون أنهم لن يعملوا هذا الأمر مرة أخرى، إلا أن الغد لن يُحدث فرقًا عن اليوم.

إن كلمة الله واضحة بشأن عدم القدرة على ضبط النفس، فهي لا تقدم شرحًا لعبودية الفساد فحسب، لكنها ترينا طريق النجاة، والحل هو الفداء الجنسي!

قد يتهمني البعض بأني أبالغ، لكن التعليم الصحيح واضح في تعامله مع الخطايا الجنسية. لقد حذرنا الرسول بولس وقال: «لأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتٌ لاَ يَحْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً مَسَامِعُهُمْ، فَيَصْرِفُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَيَنْحَرِفُونَ إِلَى الْخُرَافَاتِ» (٢تي ٤: ٣-٤)

فكرة علاجنا للخطايا الجنسية باعتبارها مرض أو إدمان، تقودنا لنفكر في سبب آخر للمشكلة، وهو أن نعتبر أن الشخص ضحية للآخرين أو ضحية للخلل الموجود في التفاعلات الكيميائية في المخ. إلا أن كلمة الله توضح أن هذه الأشياء في حد ذاتها لا تستطيع أن تجبرنا على عصيان الوصايا الإلهية. فالدافع للخطية هو الفساد

المتأصل فينا، وخداع القلب الأناني بكل ميوله البعيدة عن الله. إن هذه هي الحقيقة التي في داخل كل منا، التي تشكل أعمالنا الشريرة. لذلك لا نستغرب كل ما نرتكبه من خطايا جسدية. محاولة الاعتماد على الذات للخلاص من الخطية ليس كافيًا، فنحن نحتاج لعمل المسيح المنقذ من دينونه الله وعبودية الشيطان. نعم نحن نعترف أن هناك خطايا جنسية، إلا أن المشكلة الرئيسية تكمن في الطبيعة الفاسدة التي سببتها خطية آدم الأصلية (رو ٥ :١٢ -٢١). كل من الخطية الأصلية والخطايا الجنسية تدين الإنسان أمام الله لهذا فكل محاولات الإنسان ليحسن من حالته غير كافية وغير مجدية.

إن كانت نظرية المرض من الممكن أن تقدم بعض العون في علاج بعض أنواع السلوك، إلا أنها تتجاهل أن جوهر صراعنا الروحي لإرضاء الله لا يضع في اعتباره نوعية سلوك في هذا العالم فحسب لكنه يهتم أيضًا بالأبدية. إن السبب الوحيد لوجودنا في الحياة هو أن نمجد الله، وتمجيد الله معناه أن نحبه ونسلك في رضاه.

يعلمنا الكتاب المقدس أنه ينبغي علينا أن نجاهد لنصل إلى شبعنا الحقيقي بالله وحده، لا مجرد أن نغير سلوكنا الخارجي. نظرية المرض لا تحفزنا على التعامل مع أنانيتنا فنصرخ كما صرخ داود بعد خطيته مع بثشبع ونقول «**قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اَللهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي**» (مز ٥١ :١٠).

تقابلت مع رجل كان يطلب مشورتي، كان يحاول أن ينتصر على صراعه من خلال بعض الوصايا المدونة في كتاب لتوجيه الناس ليساعدوا أنفسهم للخلاص من الخطايا الجنسية، من خلال تدريب شخصي صارم. بالتأكيد المبادئ والتدريبات في هذا الكتاب ليست سيئة أو غير صحيحة، لكن في أغلب الأحيان تكون هذه التدريبات غير فعالة في التغلب على الخطية. وهنا أذكر ما قاله هذا الشخص

> *أتذكر أنني وصلت إلى حالة من اليأس. لذلك قررت أن أتغلب على إدماني الجنسي، فبدأت أقرأ كتاب عن التجربة، وقررت أن أنفذ كل الخطوات التي ذكرها الكاتب.*
>
> *أثناء قراءة هذا الكتاب استطعت أن أمتنع عن الدخول إلى المواقع الجنسية لمدة تسعة أشهر. كررت قراءة الكتاب أربع مرات. فعلت كل ما ذكره الكتاب، ما عدا أمرًا واحدًا وهو أن أشارك مشكلتي مع مجموعة من المؤمنين. لم أكن*

مستعــدًا لعمل هذا الأمر، مدركًا أنـي لو شاركت ولو واحد فقط من المؤمنين، سينتشر الخبر، الأمر الذي سيدمر حياتي.
جاهدت في هذا الأمر بمفردي، ولم أسمح لأي شخص أن يشاركني هذا الأمر، حتى زوجتي. كنت أعتقد أنـي الخادم الوحيد الذي يعاني من هذا الأمر. كان لــديَّ الشعور أنه لو عرف الناس حقيقتي، سيكرهونني. لذلك لم أشارك أحدًا بما أعانـــي منه. تذكرت ما ذكره هذا الكتاب أنه لا يمكن أن أتغلب على هذا الإدمان بمفردي، لكني كنــت أريد أن أثبت أن هذا الكتاب غير صحيح، وأنـي استطيع أن أصل إلى نتيجة من خلال الالتزام والعمل الجاد.
سار كل شيء على ما يرام، إلى أن جاء يوم كنت فيه متعبًا، محبطًا ومكتئبًا. ولكي أحل المشكلة، رجعت مرة أخرى إلى إدماني للجنس، وسقطت سقوطًا عظيمًا. أشعر بخيبة أمل. لا أعلم ماذا أفعل. أريد المعونة.

الظلام الداخلي

حدثــت تغيــرات هـائلة عبر العصــور من مجرد بعض الرســوم لصــور جنســية، إلى العصــر المظلم الذي نعيش فيه حيث من الممكن أن يشاهد أي شخص الأفلام الجنسية عبر الإنترنت في أي وقت وفي أي مكان. في ذات الوقت لم يحدث أي تغيير في طبيعة الإنسان الساقطة. يحدثنا الرسول بولس في (كو ٣ :٥) ويقول «**فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَــوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ**» والأصــل اليونـانـــي لكلمة «زنا» يشــتق من كلمــة «إباحية»، والكلمــة الإنجليزية تعني «كتابات أو صــور جنســية إباحية»، وهـي تعني أيضًـــا الســلوك المنحرف وعدم ضــبط النفس. وكلمة زنا المستخدمة في كلمة الله تعني أي علاقة جنسية خارج نطاق الزواج، على ســبيل المثال لا الحصــر، الجنس قبل الزواج، الشذوذ الجنســي، جنــس المحــارم، الدعـارة، ممارسة الجنس مع الحيوانات...

لقد علمنا الرب يسوع عن طبيعة الإنسان المظلمة عندما قال «**لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُــوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً، فِسْقٌ، قَتْلٌ، سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، خُبْثٌ، مَكْرٌ، عَهَارَةٌ، عَيْــنٌ شِرِّيرَةٌ، تَجْدِيفٌ، كِبْرِيَـــاءُ، جَهْلٌ. جَمِيعُ هذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِــنَ الدَّاخِلِ وَتُنَجِّسُ الإِنْسَـــانَ**» (مر ٧ :٢١ –٢٣) والذي يخرج من داخل القلب هو «**النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ**» (كو ٣ :٥). تصف كلمة «نجاسة» أي أمر قذر ومن الممكن أن تشير إلى فضلات الإنســان أو محتويات القبور. فلا عجب إن كان الرب يســوع وصــف أن الداخل هو الذي

ينجس الإنسان عندما قال «لأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُورًا مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً، وَهِيَ مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ». (مت ٢٣ :٢٧). أما الكلمة الكتابية التي ترجمت «الهوى» تعني العواطف السلبية التي تثيرها بعض الأشياء الخارجية، فعلى سبيل المثال، تُثار الخطايا الجنسية من خلال أشياء غير طاهرة. إن ما هو داخلنا، يجلب العار على النقاء الجنسي الذي يمجد الله، الأمر الذي جعل الله يسلمنا إلى ذهن مرفوض «مَمْلُوئِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنًا وَشَرّ وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ، مَشْحُونِينَ حَسَدًا وَقَتْلاً وَخِصَامًا وَمَكْرًا وَسُوءًا، نَمَّامِينَ مُفْتَرِينَ، مُبْغِضِينَ للهِ، ثَالِبِينَ مُتَعَظِّمِينَ مُدَّعِينَ، مُبْتَدِعِينَ شُرُورًا، غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْوَالِدَيْنِ، بِلاَ فَهْمٍ وَلاَ عَهْدٍ وَلاَ حُنُوٍّ وَلاَ رِضىً وَلاَ رَحْمَةٍ». (رو ١ :٢٩-٣١)

كوننا عبيد لأهوائنا، هذا يقودنا إلى أن نشتهي فعل الخطية. من المهم أن نتذكر أنه عندما يتهاون المؤمن مع الخطية، فليس لديه حصانة ضد نتائجها لكنه سيصبح عبدًا لها. إن الشهوات الشريرة هي شهوات قوية وهي انحراف عن الشهوات التي يضعها فينا الله. الصورة واضحة: مثل وحش كاسر يأكل حيوانات ميتة عفنة هكذا الخاطيء (في الأمور الجنسية) يتغذى على حيوانات ميتة كريهة الرائحة، بدلاً من أن يتغذى على طعام شهي جميل.

إن الكلمات الأربعة الأولى في (كو ٣ :٥) تتعلق بالخطايا الجنسية، لكن الكلمة الخامسة «الطمع» تلخص معنى الخطية. كل خطية جنسية هي بالأساس خطية تنبع من أنانيتنا، فالشخص يضع نفسه قبل الآخرين. إلا أن العصيان الحقيقي هو أن يضع الإنسان نفسه قبل الله، لذلك يضيف بولس في (كو ٣ :٥) ويقول «الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ». عندما تصبح ذواتنا ومتعتنا الشخصية بمثابة أصنام، لا يمكن أن يكون الله إلهًا لنا. فتصبح متعتنا هي الغاية العليا، ولا نطلب ملكوته لكن ملذاتنا. وهكذا نحيا لأنفسنا، ونبرر لذواتنا كل أنواع الخطية..... ونجد في الزنا، عدم الاحتشام، ممارسة العادة السرية، الدعارة، ومشاهدة الأفلام الجنسية، أمورًا تعبر عن نهمنا وأنانيتنا.

إن كنا نركز على أن سبب الخطايا الجنسية ما تعرضنا له من إيذاءات سابقة، فنحن لا نتحدى تعليم الرب يسوع فحسب، لكن الأمر قد ينتهي بنا أن نركز على أسباب ثانوية. تقود الإيذاءات الجنسية المفزعة الإنسان لأن يتقوقع حول ذاته، وإن كان يجب علينا أن نقدر مدى الأذى الذي حدث والظلم الذي وقع على الضحية، لكن علينا أن لا نقلل من فظاعة الخطية. ذات يوم كنت أقوم بخدمة المشورة لرجل في الخمسين من عمره، كان يبكي عندما يتذكر وسيلة عقاب أمه له، فكان عندما يُخطئ كانت تصفعه

علـي قضيبه بشـدة مستخدمة عصا خشبية. هـذه الصدمة غذت شكوكـه بعدم كفاءته كرجل. أنا متأكد أنه كان ضحية إيذاءات جنسية. ونتيجة لذاك كان يبحث عن الشباب ليمارس معهم الجنس فـي الأماكن العامة. وحين تزوج أصبـح راع لإحدى الكنائس، كان يدرك أن ما يفعله خطية، لكنه أصر على ما يرتكبه من خطأ ليبرهن على رجولته.

لا تستطيـع أن تعالـج الشهوة بأن تطلب ببساطة مـن الشخص أن يمتنع عن النظر، ولا تستطيـع أن تتغلـب على أي نوع من الخطايـا الجنسية إذا لم تقتل « ما هو أرضي » (كـو ٣ :٥) داخلنا. من الممكن أن نعالج السلـوك جزئيًا، لكن التغيير الحقيقي ينبع من الداخل ويظهر ثمره في الخارج، ولا يمكن أن يتم هذا إلا من خلال عمل الله.

السبب للتغيير الحقيقي

علينـا أن نـدرك السبـب الحقيقي للتغيير وتـأثيـره.. دعونا نبدأ مـن البداية ولا نضع العربة أمام الحصان، فالخطية في حياتنا هي التي تسبب العبودية «الإدمان الجنسي». وبلغـة أخـرى، فالمرض أو الإدمـان الجنسي ليس هما السبـب في الشهـوة، أو الزنا أو أي نـوع مـن الخطايا الجنسية. لكـن أنا وأنت نُخطئ لأننا خطـاة. الشخص الذي يرتكب الخطايا الجنسية، يرتكبها لأنه تحت عبودية، ومصدر هذه العبودية هو الطبيعة الشريرة التي بداخله، وبالتالي فإرادته مستعبدة للخطية، لذلك لا مفر من ارتكاب الخطية.

تعتبـر فكـرة عبوديتنا للخطية، فكرة مركزية في الإنجيل، فـلا يمكن أن نستبدلها بنظرية المرض. لا يمكن أن نختزل الكتاب المقدس ليكون كتابًا لمساعدتنا، بحيث أن قيمتـه وقبولنا له يعتمد على تأثيره فـي حياتنا اليومية، (على سبيل المثال، «الكتاب صـادق لأنه يحسِّـن من علاقاتي الزوجية») إن عمل الله فـي حياتنا ليس فقط «شفاء أنفسنـا» مـن الخطية التي ارتكبها في حقنا الآخرون، لكـن عمل الله أساسًا هو شفاءنا من الخطايا التي نرتكبها.

الحق الكتابي المعلن في كلمة الله هو الذي يعطينا فهمًا وإدراكًا لطبيعتنا وحالتنا البشريـة، كما انه يوضح الطريق إلى التغيير الحقيقـي. فكرة الإدمان الجنسي، بالرغم مـن أنهـا شائعـة في مجال المشـورة ومجموعـات المساعـدة، إلا إنها لا تقـدم لنا ما يساعدنا لفهم الطبيعة الحقيقية للخطايا الجنسية.

شكرا لله، سيظل الإنجيل هو الوسيلة الفعالة للشفاء ورد النفس.

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. هـل تتفق أم لا تتفـق على أن المشاكل الجنسية مثل «إدمان الأفلام الجنسية» هي مرض؟ اشرح وجهة نظرك

٢. كيف تفسر هذه العبارة «نحن نُخطئ لأننا خطاة؟»

٣. إذا كنـت تعانـي من خطايا جنسية، هل وقفـت مع نفسك لتعرف ما هـو السبب الحقيقـي لهذه المشكلة وعدم قدرتـك على ضبط النفس وأدركـت أن المشكلة هـي «أَعْضَـاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ» (كو ٣ :٥)، أي ميولك الداخلية؟

الفصل الخامس

لماذا يمثل الجنس قضية كبرى؟

لا ألعب عندما أغوص في وحل عميق
فالخطية ليست مباراة أو لعبة أو دمية
دعني لا أنسى إطلاقًا أن شناعة الخطية لا تكمن
في نوعية الخطية التي ارتكبها،
بل في عظمة من أخطئ في حقه[1]

أمتد حديثي مع كاري (الذي ذكرته في بداية الفصل الرابع) لأكثر من ساعة، ولم تعطِ قرارًا واضحًا بخصوص حضورها مع چيم دورة المشورة المكثفة.

ثم قالت «لا أريد أن أعمل هذا يا دكتور شومبرج! كل شيء بداخلي يدفعني للهروب!»

«كاري...الله لم يعطِكِ إجابة لكل التساؤلات المتعلقة بخطية چيم والبؤس الذي أنت عليه الآن. لكني رأيت في مرات كثيرة، وفي ظروف مثل ظروفك، أن الله لا يظل صامتًا، لكنه يتدخل بقوة. أنا أدرك أنه ليس من السهل أن تتقبلي هذا الكلام، لكن حان الوقت أن تكرهي هذه الخطية التي في چيم، وفي ذات الوقت تظهري له نوع من العطف والحنان»

«أنا بالطبع أكره خطيته، لكني أجتهد أن لا أكرهه هو أيضًا»

ثم أكملت حديثي وقلت «هل تعرفي ماذا يذكر الكتاب في رو ١٢ :٢١ (لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير). إن هذه هي اللحظة التي من الممكن أن تقدمي لچيم ما لا يستحق – الرحمة والنعمة»

«أنت محق في هذا. هو لا يستحق أي شيء مني! أنا لا أستطيع أن أصدق كيف نقض عهود زواجنا، لا أريده أن يلمسني مرة أخرى. كيف نستطيع أن نمارس الجنس؟ كل ما يملأ تفكيري هو هؤلاء السيدات اللاتي كان ينظر إليهن ويتحدث معهن بكل هذا الكلام القذر على الإنترنت!»

استمر حديثنا لمدة ثلاثين دقيقة. في النهاية قالت كاري «أنا أريد ما يريده الله. لقد تحدثت مع سيدة حضرت ورشة العمل الخاصة بكم، وكانت ظروفها مشابهة لظروفي. أنا أدرك أنه يوجد أمل، لكن لديَّ مخاوف من الفشل».

لم أرد وانتظرت قرارها.

قالت «أنا أعلم في قرارة نفسي أني محتاجة للحضور... سوف أحضر»

▬ ▬ ▬ ▬

وأنا أبدأ في كتابة هذا الفصل، مازلت مستمرًا في بناء الأساس لفهم احتياجنا للفداء الجنسي. هذا الفهم هام جدًا لأن مثل هذه المشكلة لا تُحل من خلال بعض الوصفات، أو اتباع بعض المبادئ أو المجهود الشخصي. نحن نعلم أنه لو فحصنا قلوبنا، سنكتشف أننا كثيرًا ما نخطئ خطايا جنسية ليست بالفعل لكن من خلال أفكارنا، واتجاهاتنا وتصوراتنا. أغلبنا يدرك أنه بعيدًا عن نعمة الله، أننا سنقف جميعًا في موقف الدينونة تجاه هذا الأمر.

الجنس!

كل منا يتفاعل مع هذه الكلمة بطريقة مختلفة، وبالرغم من أنها كلمة مكونة من ثلاثة حروف، إلا أنه في حقيقة الأمر تحتل جزءًا كبيرًا من تفكيرنا. فالبعض منا يتكلم عن الجنس بحرية والبعض الآخر يتحدث عنه مازحًا.

لا يوجد أمر في حياتنا يسبب آلامًا عاطفية، متعة، تشويش، ضيق، فضول، استغلال، عنف، على المستوى الشخصي أو في مجال العلاقات أكثر من الجنس وحياتنا الجنسية.

الجنس يحيط بنا على الدوام، وهو أمر يهم كل شخص، بغض النظر عن وضعه الاجتماعي

أو الاقتصادي، أو خلفيته الثقافية، أو مستوى تعليمه. إن كان الجنس يسيطر على أفكار الشباب، لكنه أيضًا يحتل جزءًا من اهتمامنا طوال حياتنا. وببساطة، فالجنس أمر حيوي، ولن ينته إلا بتأسيس السموات الجديدة والأرض الجديدة (راجع لو٢٠: ٣٤-٣٦)[٢]

من المفترض أن يمارس المتزوجون الجنس بطريقة منتظمة، لكن في واقع الأمر هناك الكثيرين لا يفعلون هذا ويعيشون في معاناة. بعض الأزواج يستخدمون الجنس بطرقة غير سليمة أو بطريقة شريرة. إن نظرة مجتمعاتنا للجنس وتبجيله تعتبر انحرافًا عن المعنى الحقيقي لعلاقاتنا الجنسية.

أصبح معنى الجنس في هذه الأيام انشغال الفكر بالذات وبالجسد. إلا أن المعنى الحقيقي للجنس لا نجده في الملابس الضيقة أو الأصوات الناعمة أو الأجسام الرشيقة. ما الذي نحاول أن نبرهنه لأنفسنا؟ عندما نحاول أن يكون لدينا جسد جميل، هنا أتفق مع ما قاله بيوتن مانينج في إعلانه عن كروت الائتمان عندما قال «أتمنى أن يكون جسمك رشيقًا، لكن لكي أكون أمينًا، إن لم تكن دون الثالثة والعشرين من عمرك، أو تكون لاعب كرة قدم محترق، ربما لن يحدث ذلك، وإن كنت مكانك، سأشتري ملابس أوسع!» إن هذه الفكاهة تعبر عن صدق العبارة وحماقة ما نحاول أن نفعله بأجسادنا.

إن الجنس بالتأكيد أمر يتعلق بنا وبأجسادنا، إلا أن هذا ليس كل ما يتضمنه معنى الجنس. حتى في كنائسنا، نحن لا نفهم الجنس بمفهومه الصحيح. من خلال دراستنا للكتاب المقدس، نستطيع أن نرى المعنى الحقيقي لحياتنا الجنسية في الخليقة، في العلاقة الحميمة، بل حتى في طبيعتنا الخاطئة. لكن لعلك تندهش عندما تدرك أن المعنى المهمل لعلاقتنا الجنسية نجده أساسًا في الصليب. فإن أمسك الزوج بيد زوجته، ونظر إلى عينيها وهمس برقة وقال «أريدك» وبينما الزوجة تضغط على يده، وتقبل خده برقة، وتقول له بحنان «أنا أريدك أيضًا»، ألا يتضح المعنى من خلال هذه الكلمات. وبنفس الطريقة تمت وحدتنا بالمسيح في الصليب – وهذا هو أحد التعاليم الأساسية للإنجيل. من خلال عمل الروح القدس نحن – جسد وروح – اتحدنا بالمسيح (١ كو٦: ١٥، ١٧– أف ٥ :٣٠). إن حقيقة اتحادنا بالمسيح، وقيامة أجسادنا في المستقبل، هما إعلان الله الواضح بأنه يريد أن يمتلك الإنسان ككل، بما في ذلك جسده. إن الصليب والاتحاد السامي بالمسيح يعطي الرب سلطانًا على جسدك، وهو الذي يمنعك من أن تقدم جسدك لأي شخص سوى شريكك. (انظر ١كو٦ :١٣–٢٠ ؛ ٧: ٢ –٥).

وإن كنا نعرف شيئًا عن تأثير الجنس على الحياة الإنسانية، لكننا نحتاج أن نتقدم خطوة لنفهم علاقاتنا الجنسية بالطريقة التي يراها الله. وكلما تعمقنا في فهمنا عن الحق المتضمن في معنى حياتنا الجنسية، كلما تعمقنا في فهمنا لله ولأنفسنا.

نحن لا نفهم

تعددت الطرق التي تم فيها تصوير ووصف الجنس، فعندما تستخدم العبارات العلمية أو الطبية، يبدو الجنس وكأنه أمر ممل، أما عندما نصف الجنس من الناحية الطبيعية، فهنا نتحدث عن حيوية الجهاز التناسلي وبعض أجزاء الجسم الأخرى. فالممارسة الجنسية لا يستتبعها شعور بالسعادة فحسب، لكن قد ينشأ منها عملية خلق لإنسان جديد.

دراسة الأمور الطبية المختصة بالجنس جزء هام للثقافة الجنسية، ولها مكانتها، إلا أن الأمر يتطلب دراسة أمور أكثر حيوية، فحتى مجرد القبلة قد تحمل بعدًا جنسيًا عميقًا، والجماع هو لحظة فيها تتجلى كل معاني الاستمتاع، الشغف، الإتحاد، الحميمية والود، ومن خلاله نستطيع أن نجسد الخبرات الروحية والعاطفية السامية التي صاغها الله الكلي المعرفة في الإنسان.

أصبح الجنس عامل جذب أساسي في كل الأفلام والروايات، فنحن كرجال قد لا نميل إلى أفلام «chick flicks» التي تخص المرأة، لكن حتى في هذه الأفلام نحن لا نمانع من مشاهدة بعض المشاهد الرومانسية. كلنا نستمتع بقصص الحب الجميلة! ونحن نضحك بل وقد نبكي لأن القصة تثير في داخلنا شوق عميق لإشباع رغباتنا الجنسية، من خلال علاقة هادفة. لكن على الجانب الآخر، فالصور الجنسية لا تقدم لنا ما نبحث عنه بصدق، فمثل هذه الصور لا تأخذنا إلى المستوى السامي الذي نرجوه لأنها لا تعبر عن ماهية الجنس بصدق. قد تبدو الأفلام الجنسية أفضل، حيث نجد فيها الإضاءة الجيدة، والحركات المتقنة والصور الجميلة، إلا أنها ليست حقيقية لأنها تقدم لنا رسالة مضمونها أن ممارسة الجنس تكون في قمة متعتها فقط بالنسبة للشباب، وللرياضيين ، ولمن يتمتعون بالجمال، بشرط أن لا يكون هناك أي التزام بين الطرفين.

كمشير، تعاملت لمدة سنين مع الجنس في حياة الناس. دعني أقول لك، أن هذه الأمور

كاذبة! إن الحق الكتابي عن علاقاتنا الجنسية، يعلن أن العلاقة الجنسية السامية لكل رجل متزوج أو امرأة متزوجة لا تتأثر بالمراحل العمرية إن لم يكن هناك موانع صحية.

يحتاج الإنسان إلى العلاقة الحميمة والمودة طوال العمر، وكذلك النقاء ضرورة لا بد منها. فالجنس بالنسبة لك ليس كما كنت في العشرينات من عمرك، لكن من الممكن أن يظل مُشبعًا وممتعًا مع تقدمك في الأيام. بغض النظر عن ما نراه في بيئتنا، إن المظهر الخارجي، أو نضارة الشباب ليست هي الأمور التي تجعل الجنس ممتعًا أو ذات معنى، لكن المعنى الحقيقي للجنس أعمق من هذا بكثير، وينبغي أن نعي أن حياتنا الجنسية هي تعبير عن الاتحاد الذي يريده الله معنا في المسيح.

الجنس بدأ من بداية الخليقة

كما رأينا أن حياتنا الجنسية تشمل أكثر من مجرد ممارسة الجنس أو التلاقي العاطفي، فالحياة الجنسية ليست عبارة عن جزء أو جهاز قائم بذاته، من الممكن أن نفصلها عن ذواتنا، لكنها جزء مندمج ومتأصل في كياننا وتستمر معنا طوال العمر.

في قصة الخليقة نستطيع أن ندرك أساسًا لحياتنا الجنسية، فالله ميز بين الجنسين في عملية الخلق. سواء قبلنا هذا أم لا فالله لم يخلق كائنات ذكرية فقط. فعندما تحدث سفر التكوين عن خلق الإنسان لم يقل فخلق الله «كائنات بشرية» أو «أجساد بشرية» لكنه قال «ذكراً وأنثى خلقهم» (تك ١ :٢٧) وفي هذه العبارة نرى التمييز واضحًا. نستطيع أن ندرك أن الحياة الجنسية هي جزء أساسي من الإبداع الإلهي في الجنس البشري، وأعداد المسرح للإكثار، لذلك قال الله «أثمروا واملأوا الأرض» (تك ١ :٢٨). نلاحظ أنه بالرغم من الفروق في الصفة التشريحية لكل من الذكر والأنثى، إلا أن كليهما خُلق على صورة الله. لذلك فكل رجل وكل امرأة خُلق على صورة الله، لذلك لا يوجد فرق بين الرجل والمرأة.

في بداية الخليقة رأينا أن العلاقة العاطفية الإنسانية بين الرجل والمرأة هي أساسًا علاقة جنسية. فالحياة ، والعمل، وممارسة الجنس، كلها صور نعكس من خلالها صورة الله فينا. ومن هنا نرى أن الجنس له هدف أعظم من مجرد الإشباع الذاتي.

من خلال دراستنا للكتاب المقدس نستطيع أن نفهم أن الحياة الجنسية بدأت من

اللحظـة التـي خلق الله فيها الإنسان، لم يكـن آدم إنسانًا نـاقصًـا جنسيًا قبل أن يخلق الله حـواء، لكنـه كان مكتمل الرجولـة، كان إنسانًا مكتمـلاً جنسيًـا. إلا أن خلق المرأة نتـج عنه إنسانًا كامـلاً جديدًا، وهـنا استطاعا أن يشبعا حاجاتهما العاطفية والجنسية ويكثِـرا. نستطيـع أن نفترض أن نشاطهمـا الجنسي بدأ بعد وقت قليـل من إحضار الله حواء لآدم – في «ليلة زفافهما» – وكانا كلاهما عريانين وهما لا يخجلان، أي أنهما كانا راضيين بشيء «حسن جدًا».

من البداية، كانت خطة الله للحياة الجنسية هي أن يكون رجل واحد لامرأة واحدة طـوال العمـر. دعوة الله للالتزام في الحياة الزوجية طوال العمر هي خطة الله بالنسبة للزواج، وهذا بدأ منذ زواج آدم وحواء. لا أقول هذه العبارة لأدين أحدًا، لكن لكي نفهم المعنى الحقيقي للجنس، علينا أن نحزن على المآسي التي خلقناها.

المعنى الحقيقي للجنس تجده في العلاقة الحميمة الصادقة

بـدون الله كنقطـة بدايـة لحياتنـا الجنسيـة، قـد لا تكون علاقـة المـودة الجنسية في الإنسـان أكثـر مما هـي فـي الحيوانـات (تذكر التجـارب على الفئـران؟) فالحيوان يمارس الجنس بالغريزة، ونحن قد نتصرف مثل الحيوانات في بعض الأحيان. لكن ليست هذه هي الطريقـة التي رسمهـا الله لنا. في أحاديثنا نذكر أحيانا كلمـة «مارس الحب» (Making love)، والتـي يُقصـد بها الممارسـة الجنسية، إلا أن هذه الكلمة تعنـي أن تبذل ذاتك لأجل الآخر، فالمحبة تتطلب أن تضحي بذاتك، وكل شريك يضحي بنفسه ليخدم وليسعد الطرف الآخر، واليوم هذا التعبير «مـارس الحب» غالبًا يعني ممارسة جنسية فقط!

إن الدافـع الجنسـي ليس غريـزة حيوانية، يتحكم فيه بعضـ التفاعلات الكيميائية فـي المـخ. «فالإنسان لا يمكـن أن يتصرف مثل الكلب عندما يحتـاج للطعام أو يشتهي جنسيًـا»[٣]. فنحـن خُلقنا ذكـرًا وأنثى على صـورة الله، باحثين عـن أن نعرف ونُعرف مـن خلال العلاقات الإنسانية العميقة. الخطيـة لا يمكن أن تتوافق مـع حقيقة إتحادنا بالمسيح، والخطايا الجنسية هي إهانة بالغة موجهة ضد أجسادنـا، وشريكنا. بل وضد المسيـح. يقـول الرسول بولـس «أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ» (١كو ٦ : ١٥). يمثل اتحادنـا بالمسيح تعليمًا جوهريًـا قدمه لنا الرسول بولس، وهـذا الإصحـاح يوضح أن الإتحـاد يشمل الإنسان ككل – الجسد والنفس. إن الخطأ الذي ارتكبه أهل كورنثوس، هو أنهـم اعتقدوا أن ما يفعلونه بأجسادهم، لا يؤثر على وحدتهم الروحية بالمسيح، فنحن

من خلال الروح القدس أصبحنا واحدًا مع المسيح (١ كو ٦ :١٧؛ أف ٥ : ٣٠). نحن لسنا ملكًا لذواتنا، لكن كل ما لنا ملكًا له، ونحن خاصته وينبغي أن نمجده.

إن الدافع لممارسة الجنس هو أكبر من مجرد الاستمتاع. إن الدافع الجنسي هو في الواقع اشتياقنا ليكون هناك تقارب بين الشريكين... لا تتأثر بالرسائل المزيفة أو حتى بخبرات بعض الأشخاص: فالرجال أيضًا يريدون الاستمتاع بالتقارب والوحدة. فكل رجل قصدني في مجال المشورة، وكان ينظر إلى زوجته كأنها مجرد أداة جنسية، معطيًا لها انطباعًا أن كل ما يريده هو مجرد متعة جنسية، اعترف أمامي، وغالبًا والدموع تملأ عينيه، أن ما يريده حقيقة هو التقارب والألفة. هذا الإعلان لم تصدقه الزوجات اللاتي سمعنا أن أزواجهن يقولون هذا. قد يكون أمر غير مصدق بالنسبة لك أيضًا، لكنه حقيقة.

إن أكبر أمر مشبع للإنسان هو متعة الألفة، وتصل المتعة الجنسية إلى أسمى درجاتها من خلال علاقة حياة ممتدة يظللها الحب والاهتمام. إن هذه هي الحقيقة، لأن أكبر جزء يثار جنسيًا في أجسادنا هو الذهن. ومع الوقت، من الممكن أن يحدث التفاعل اللصيق مع شريكك الذي يربط القلبين والروحين، والجسدين معًا.

كل منا كائنات جنسية، لكن ليس من الضروري أن نعبر عن علاقتنا الجنسية من خلال الجماع. فمن خبرتي الشخصية وخبرتي في مجال المشورة، أعتقد أن هذين الاثنين اللذان يبلغان من العمر عشرين عامًا، وأيديهما متشابكة معًا طول الوقت ، هما في حاجة أن يتعلما الكثير. ومن الممكن أننا نحن الذين تخطينا الستين من عمرنا نكون قد تعلمنا الدرس أخيرًا.

بالطبع إن ممارسة الجنس ليست هي الطريق الوحيد للتعبير عن الحب والاهتمام من شريكك. فكلما تقدمت في العمر، كلما استطعت أن تقدم الحب لشريكك عن طريق الاهتمام، المعانقة، التقبيل. منذ عدة سنوات كنت جالسًا في أحد المطاعم الصغيرة، أتناول طعام الإفطار مع صديق عزيز. وبينما أنا جالس حضر زوجان مسنان وجلسا بصعوبة على المائدة التي بجوارنا. كانا مستمتعين بالحديث معًا وعندما قدموا لهما الطعام. قالت الزوجة باهتمام بالغ وبرقة متناهية لزوجها الذي كان يستطيع أن يرفع يديه بصعوبة ليتناول الطعام «هل تسمح لي أن أطعمك؟»

تزاحمت في ذهني فكرتان : يارب، لا تسمح أبدًا أن أكون مثل هذا الرجل العجوز (أمنية نتمنى أن تتحقق). أما الفكرة الثانية فكانت ما أجمله تعبير عن الحب، الاهتمام والمودة. مازال أمامي الكثير لأتعلمه لأكون مثل هذين الزوجين.

لذلك، عندما تتقدم في الأيام، اسعد بشريكك، ركز على البهجة التي من الممكن أن تعطيها وأن تأخذها، ليس على ما تعودت عليه من قبل. علينا أن نجتهد كأزواج أن لا نجعل السعادة الجنسية وسيلة لإشباع أنانيتنا أو لتسديد مطالبنا الذاتية، لكن دعونا نسمو بها لتعبر عن علاقة روحية وجسدية سامية متبادلة بين الزوجين. تذكر دائمًا أن الجنس جزء جوهري من كياننا كمخلوقين خُلقنا على صورة الله. كلما تقدمنا في الأيام، سوف يشير اتحادنا الجنسي القوي لإتحادنا مع الله في الأبدية. عندما تتقدم بك الأيام ستقدِّر أكثر من ذي قبل مواطن العظمة في شريكك المحب برغم ضعفاته. «إن العهد الذي يربط بين الزوج والزوجة هو بمثابة صورة باهتة لحقيقة العهد الذي يربط بين المسيح وكنيسته المجيدة. لا شيء يُفقد. فالنغمات التي تُعطي لذة لا تتوقف لكنها تتبدل بنغمات أخرى». قال چون بايبر في دراسته عن العهد والزواج الآتي:

> *إن عهد الحب وصل إلى قمته في موت المسيح لأجل كنيسته، عروسه. فالموت كان أسمى تعبير عن النعمة، التي هي أسمى تعبير عن مجد الله، الذي لا نستطيع أن نقدر قيمته. لذلك عندما قال بولس أن الهدف السامي الذي لأجله نعيش هو «مدح مجد نعمته» (أف ١ :٦)، فهو سما بالزواج ليصل به إلى آفاق أكبر من أن ندركها، فهو ربط هذا الكلام بإعلان الله عن قمة مجد نعمته الذي ظهر عندما «أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا» (أف ٥ :٢٥)*[٥]

إن كنت تؤمن بسلطان الله، وأن الله هو الخالق والذي يحفظ حياتنا، لا يمكن أن تفكر في الجنس أو تدخل في علاقة جنسية دون أن تكون واعيًا بوجود الله في كل مكان. إن جمال الألفة الجنسية الذي في ذهن الله قد فُقد في هذه البيئة الأنانية التي نعيش فيها، والتي تحصر الجنس في ما الذي من الممكن أن يحققه لي أو لشريكي، أو ما الذي من الممكن أن يحققه لعلاقاتنا. إن معنى الجنس أعظم من هذا بكثير، وعلينا من خلال إدراكنا الواعي لكلمة الله أن ندرك أن الزواج هو لتحقيق مجد الله. أعتقد وأرجو أن لا أكون مخطئًا عندما أقول أن علاقتنا الجنسية ترتبط بالله، بمجده،

بأهدافه، ويخدمته. إن حياتنا الجنسية – أي ذكورتنا وأنوثتنا – كما سنرى في الفصلين العاشر والحادي عشر، ينبغي أن تُظهر مجد الله. إن عهد الزواج، الذي نعبر عنه بالعلاقة الحميمة الخاصة، والذي نحيا بموجبه بأمانة رجل واحد لامرأة واحدة. يرسم أمامنا العهد الذي بين المسيح وكنيسته، ذلك العهد الأبدي. نحن نستطيع أن نتحدث عن الإنجيل، لكن نحن نستطيع أيضًا أن نحيا الإنجيل. إن الزواج أعظم من أن يكون قصة حب أو أن يكون مجرد علاقة جنسية مشبعة، لكنه يعبر عن هدف أسمى: إنه يوضح الحقائق الكتابية في حياتنا. إن رسالته لا تقتصر على الحب المثالي، أو الجنس المثالي، لكن الرسالة الحقيقية التي يعبر عنها هي أنه مع وجود ألم، وإحباط، بل وحتى خيانة، يستمر العهد قائمًا، وهذا هو الذي يرسم أمامنا عظمة الإنجيل.

ضياع المودة الصادقة

من المحزن أن ندرك أن الجمال الطاهر لحياتنا الجنسية قد تدمر بسقوط آدم وحواء. إن الخطية أحدثت تغييرًا جوهريًا في الألفة الجنسية لدى الإنسان فبدلاً من أن كونه عريانًا ولا يخجل (المودة الكاملة) أصبح عريانًا ويخجل (المودة الناقصة)، وبدلاً من أن يعيش الرجل والمرأة في انسجام تام أصبحا يعيشان تحت طائلة دينونة الله.

إن كان الزواج هو المكان الآمن الوحيد الذي يحدث فيه العري، ففي كل مرة يمارس رجل وامرأة متزوجان ومتحابان علاقة جنسية حميمة، قد يراودهم الإحساس بأن هناك أمر ما خطأ. نعم فقد تكون المودة حقيقية، لكن قد يكون أيضًا هناك نوع ما من القلق – عدم الثقة، خوف من عدم الكفاءة، أو من عدم القبول، لذلك يعبر كثير من المتزوجين، وهم يصفون علاقتهم الجنسية عن مثل هذه الصراعات. تقول كارول التي تبلغ من العمر اثنان وسبعين عامًا وهي زوجة أحد الرعاة منذ ثماني وأربعين عامًا «أشعر أننا كنا نستمتع بحياة جنسية رائعة، وكنت أرغب في المزيد، لكن لم أكن أصر على هذا». أما ريك البالغ من العمر ستة وثلاثين عامًا وهو رجل أعمال ناجح متزوج منذ ثلاثة عشر عامًا يقول «كنت أجد رين جذابة جدًا، وكانت تستجيب بإيجابية لرغباتي، وكنا نستمتع بعلاقتنا الجنسية. إلا أنني كنت دائمًا أصارع في أخذ المبادرة، كنت أخاف من الرفض، ولم أفهم على الإطلاق العلاقة الحميمة الصادقة». ويصف توم وفيلس وهما في العشرينات من عمرهما والمتزوجان منذ سنتين، صراعهما الجنسي. فيقول توم «أنا مغرم جدًا بممارسة الجنس مع فيلس ونحن نمارسه تقريبًا يوميًا. أنا أحاول أن أختبر الألفة الجنسية، وأنا أبذل الجهد الكثير في هذا المجال.»

أمــا فيلس فتقول «أنا أظهر المودة الجنسية كل الوقت، إلا إذا كنت مجروحة». أستطيع أن أشارككم بمئات الأمثلة لأشخاص مختلفين، من مراحل عمرية مختلفة، وقضوا في الحيــاة الزوجية أوقاتنا مختلفـة. عبَّر كل واحد عن استمتاعه بالمـودة الجنسية، لكن في ذات الوقت عبَّر كل واحد أيضًا عن مخاوفه وأن ليس كل شيء يسير على ما يرام.

إن الراحــة الكاملة والأمان اللذان اختبرهمــا آدم وحواء لا توجد في أيامنا هذه. كثيـرًا أتساءل، ما هي نوعيــة المودة المثالية التي كانا يتمتعان بها؟. ففي علاقتنا الحميمــة، نحن نشعر بالضعف والتشويش، وبإرادتنا نختار المودة المزيفة لنتجنب الواقــع الــذي نعيشه في عالم ساقـط. إنها نفس القصة التي أسمعهــا مرارًا وتكرارًا. تزوج لاري وميشيل، وبعد وقت قليل بدأت تخمد شعلة الشغف الجنسي. كانت هناك عوامل كثيرة من بينها الأولاد، التعب، الملل، إلا أن علاقتهم استمرت بعيدًا بلا متعة. كان يريــد لاري أن يشعــر بأنــه مرغوب، وكان يريــد أن زوجته تستجيـب له عندما يبــادر لاستثارتها جنسيًا، لكنها كانت تتعلل دائمًــا بأنها تعاني من «صداع». مثل كل الرجــال، كان لاري يريــد أن يتجنـب الرفض، لذلك امتنع عن أخـذ المبادرة في العمليــة الجنسيــة، وكان ينتظـر حتى تنام ميشيـل ويترك الغرفة ويذهـب إلى عالم المــودة الكاذبــة، علــى الكمبيوتــر. حيث تكــون مبادراته دائمًــا مقبولــة. إن الحياة الجنسيــة الإنسانيــة، بكل مــا فيها من سلــوك ومشاعر تدمرت بقــوة وأصبحت أكثر هشاشة مما نتصور.

إن السقــوط لـم يغير من العلاقة الجسديــة بين الرجل والمرأة، لكنــه أثر بشدة على قدرتهـم على أن يحتفظـوا بالعلاقة مقدسة ومشبعة. الشهـوات الجنسية المنحرفة هي بمثابــة قــوة دافعة تأخذنا بعيدًا عن حياة النقاء الجنســي التي رسمها الله. هنا يصف الرسول بولس هذه القوة:

لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَــوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَـى النَّجَاسَةِ، لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْــنَ ذَوَاتِهِمِ. الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَــذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِــقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَـى الأَبَدِ. آمِينَ. لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَـى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ، لأَنَّ إِنَاثَهُــمُ اسْتَبْدَلْنَ الاسْتِعْمَالَ الطَّبِيعِيَّ بِالَّذِي عَلَى خِلاَفِ الطَّبِيعَةِ، وَكَذلِكَ الذُّكُورُ أَيْضًا تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الأُنْثَــى الطَّبِيعِيَّ، اشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فَاعِلِينَ الْفَحْشَاءَ ذُكُورًا بِذُكُورٍ، وَنَائِلِيــنَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ ضَلاَلِهِمِ

الْمُحِقِّ. وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ، أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ. (رو ١ : ٢٤-٢٨)

نحن انحرفنا أولاً عن الغريزة الطبيعية التي فيها نضع الله أولاً، وكانت النتيجة أن الشهوة سيطرت علينا. فالغريزة الطبيعية اضمحلت، وأصبحنا عبيد للشهوة غير المنضبطة. نستطيع أن نعبر عن هذا ببساطة: نحن نزعنا الحدود التي وضعها الله. الأمر الذي نستحق اللوم عليه، وهكذا أصبحنا تحت غضب الله (انظر ١كو٩:٦-١٠).

عندما انحرفنا عن ما بداخلنا بالفطرة في أن نضع الله أولاً، نتج عن ذلك انحرافنا في علاقاتنا الجنسية، الأمر الذي أدى إلى انحلال لأجسادنا ولحياتنا الجنسية. إن الانحراف الجنسي هو أقوى قوة تهيمن على الإرادة البشرية لأنها لا تدمر طبيعتنا الإنسانية فحسب، لكنها أيضًا تغير من فهمنا لحقيقة سلطان الله. قد نقول أن الله سيد الكون، ثم نتحول ونصنع ما يحلو لنا بأجسادنا. إن الاستخفاف بالله يقودنا إلى الاستخفاف بالآخرين، والشهوة دائمًا تترك ضحايا لأن الخطايا الجنسية تسبب جروحًا للكل.

علينا أن لا نتوه عن القضية الحقيقية: الخطايا الجنسية موجهة إلى الله شخصيًا. فعندما نخطئ جنسيًا ، نحن نجعل الله عدوًا لنا. إن الخطايا الجنسية هي اعتداء على أجسادنا، وهي بالتالي اعتداء على صورة الله. فكما نعتبر الاعتداء على تمثال الملك الذي في ميدان المدينة اعتداء على الملك ذاته، هكذا اعتداءنا على صورة الله هو إعلان سافر للعصيان.

أمام كل خطية أنت لك مطلق الحرية في اختيار ما تشاء. لقد اختار آدم أن يستمع إلى زوجته، بدلاً من أن يثق في الله ويطيعه. لقد كان يدرك تمامًا ما يصنعه، وفيه فضل علاقته بالمرأة بما فيها العلاقة الجنسية على علاقته الهادفة التي أسسها مع الله. وكما فعل آدم، فتفضيل الجنس على الله يؤثر دائمًا في علاقتنا مع الله، وعلى مستقبل حياتنا الروحية. «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ .... لاَ زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ، وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ» (١كو ٦ :٩-١٠).

إن مصدر النقاء الجنسي هو انشغالنا بالله، بينما مصدر الخطايا الجنسية هو

انشغالنا بذواتنا. الخطايا الجنسية دائمًا تقود الناس بعيدًا عن الله، في هذه الحياة وفي الحياة الآتية.

إن كانت حياتنا الجنسية تحوي قدرًا من الشر، فقد نتساءل لماذا خلقنا الله من الأساس ككائنات جنسية.

لماذا لنا أجساد؟

جزء من صفات الله أنه يريد أن يكون في علاقة مع الناس، ولهذا اعتقد بعض المشيرين أن الهدف الأساسي من خلق هذا الجسد هو لنبني علاقات بعضنا مع بعض، وأعتقد أن مثل هذا الاعتقاد صحيح إلى حد ما، لكنه قد يضللنا. لكي نعمق فهمنا عن مدى بشاعة الخطايا الجنسية، من الأفضل أن نبدأ بهذا السؤال: لماذا خلق الله لنا أجسادًا؟

على وجه التحديد هناك فكرتان لهذا الأمر. الفكر العالمي، هذا الفكر الذي لا يعترف بوجود الله وهو يقول إن الجسد موجود لا لشيء سوى لكي أشبعه، وأستطيع أن أفعل ما أشاء به. لكن الفكر الكتابي– هذا الفكر الذي قد لا يفهمه حتى بعض المؤمنين– يقول أن «الْجَسَدَ ... لِلرَّبِّ، وَالرَّبُّ لِلْجَسَدِ» (١كو ٦ :١٣). إن كان لدينا أي شكوك في أذهاننا دعونا نقرأ العدد التالي «وَاللهُ قَدْ أَقَامَ الرَّبَّ، وَسَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ» (١كو ٦ :١٤) وبلغة أخرى: الله يريد جسدك، وهو أتى ليمتلكه، وكما شرح الرسول بولس في بقية الإصحاح، أنت لا تستطيع أن تفعل بجسدك أي شيء تريده.

يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين «ليكن الزواج مكرمًا عند كل واحدٍ، والمضطجع غير نجسٍ». (عب ١٣ :٤). الحق المتضمن في هذه الكلمات يوضح نوعية علاقاتنا الروحية بل والجنسية ، لكن نستطيع أن نرى شيئًا أعمق وهو أن هناك اتحاد مقدس مع الله. إن العلاقات الزوجية تتمزق من خلال الخيانة، وتصاب بالشلل من خلال الشك، وبالتأكيد سيكون هناك ألم عميق بل وندم عندما يبدأ الزوجان في اتخاذ خطوات للمصالحة إما لهدف تجنب الطلاق أو لكي يتجنبا ضياع الأولاد. إلا أنه ينبغي أن يدركا أن الخطأ الأكبر موجه لله لأنهم كسروا العهد الذي فيه اتحدوا بالمسيح. إن اتحادنا بالمسيح يستلزم مستوى أعلى من القداسة والإخلاص. فباتحادنا بالمسيح أصبحنا «معه روحًا واحدًا» (١كو ٦ :١٧) هناك اتحاد داخلي حقيقي روحي مع المسيح، إلا أنه لا ينبغي أن ننسى أن اتحادنا بالمسيح يشمل الجسد أيضًا.

إن تقديس الجسد ومصيره الأبدي، كلف الله ثمنًا غاليًا! إن الله يريد جسدك، وروح الله يسكن في جسدك، وجسدك ليس ملكًا لك! فقد نفكر بحماقة ونعتقد أن أجسادنا ملكًا لنا، لا «أنتم لستم ملكًا لأنفسكم» (١كو٦: ١٩). لا أستطيع أن أخذ شيئًا ملكًا لغيري وأستخدمه بدون أن أستأذنه، فإن أخذتَ سيارتي بدون إذني، فأنت تسبب لنفسك مشكلة كبيرة.وهكذا لا تستطيع أن تأخذ جسدك الذي هو ليس ملكًا لك، وتستخدمه في خطايا جنسية بدون أن تستأذن.

وبالطبع لن يأذن لك الله تحت أي ظرف من الظروف بأن تمارس هذا العمل. لكن لا تنسى، أن الله لم يدفع فيك الثمن بالآجل لكنه دفع الثمن كله! لقد شرح الرسول بولس هذا الأمر عندما تحدث عن موضوع العبيد (انظر ١كو ٧ : ٢٢-٢٣). كل المؤمنين الحقيقيين، أُشتروا بثمن ليتمموا إرادة الله، لا إرادتهم الذاتية. شملت هذه الصفقة لا الروح أو الذهن فقط بل أيضا الجسد. تبدأ عملية الفداء الجنسي بالشراء، وبدون عملية الشراء لن تستطيع أن تنال الفداء الجنسي.

إن الأكذوبة الموجودة منذ البداية والتي ترسخت في هذا العصر هو أنك حر تستطيع أن تفعل ما تشاء وهذا هو حقك! لا.. نحن عبيد. عندما نفهم معنى الحرية سندرك أنه لا يوجد ما يسمى بالحرية غير المنضبطة. فنحن إما «....عَبِيدًا لِلنَّجَاسَةِ وَالإِثْمِ الأمر الذي يؤدي إلى إثم أكبر أو «.... عَبِيدًا لِلْبِرِّ» الأمر الذي يؤدي إلى القداسة. (رو ٦ :١٩). هذه هي الحرية الحقيقية. «وَأَمَّا الآنَ إِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ، وَصِرْتُمْ عَبِيدًا للهِ، فَلَكُمْ ثَمَرُكُمْ لِلْقَدَاسَةِ، وَالنِّهَايَةُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ» (رو ٦ :٢٢).

إن الفكر الكتابي يقدم اختيارًا واحدًا: اختر الله وضعه أولاً قبل كل شهواتك الجنسية الأنانية، وإن كنا قد اخترنا الله فعلينا أن نطلب منه الغفران على خطايانا الجنسية السابقة. علينا أن نطلب من الله أن يعطينا القوة للتحكم في حياتنا الجنسية في قداسة. علينا أن نختار إرادة الله الكاملة، وألا ننقاد وراء وعود الألفة الكاذبة.

يقول الكتاب في (رو ٨ :١٢-١٣) «فَإِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ نَحْنُ مَدْيُونُونَ لَيْسَ لِلْجَسَدِ لِنَعِيشَ حَسَبَ الْجَسَدِ. لأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ، وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ» وهنا يقول الرسول بولس إن كنا ندرك أن أجسادنا هي ملك لله، عندئذ سنحيا، وإن لم نفهم هذا فسنموت. إن هذا الاختيار هام جدًا! إذا كان

لدينا الفهم الصحيح، سندرك أن رغبتنا في تحقيق المودة الجنسية مرتبطة بإتباعنا لله من كل القلب والفكر والجسد. لعل هذا ما وضحه چون بيبر عندما قال «إن كان الله لم يمنع عنا الاستمتاع بالشبع الجنسي، لكن قدمه لنا من خلال الزواج، لذلك علينا أن نبحث عنه ونستمتع به من خلال هذا الطريق الوحيد والذي يعبر عن إيماننا. بلغة أخرى، إن كان الإيمان لم يضع حدًا لجوعنا أو تعبنا أو شعورنا بالإرهاق، أو رغباتنا الجنسية، إلا أنه حدد الطرق التي بها نشبع هذه الاحتياجات»[٦] وأمام حقيقة أننا ملك للمسيح، وأننا عبيد له، نجد أنفسنا أمام التزام بأن نشبع رغباتنا بالطريقة التي ترضيه وتمجده.

وهكذا سنعود إلى السؤال الأصلي، لماذا خلق الله لنا أجساد؟ والرد الكتابي «مجدوا الله في أجسادكم» (١كو ٦ :٢٠)

جسد واحد

في كل السنوات التي عملت فيها في مجال المشورة، قمت بمساعدة أزواج ورأيت الصراع الذي لا ينتهي مع العلاقة الحميمة الجنسية الصادقة، وتلك العلاقة الحميمة غير الصادقة، أصبحت مقتنعًا أن إدراكنا لمفهوم «جسد واحد» إدراكًا محدودًا. وأستطيع أن أرصد مؤشرين يدلان على ذلك، وهما وجود الزنا بين المتزوجين وانتشار حالات الطلاق.

إن حقيقة العلاقة الجنسية هي: أنه عندما يمارس أي رجل وامرأة الجنس، هما يشتركان معًا كجسد واحد، وعندما يقر الرجل والمرأة إقرار الزواج، فهما يدخلان في علاقة الجسد الواحد.

إن سر علاقة الجسد الواحد في الزواج يشير إلى هذا السر العظيم أنه ونحن أعداء الله، صرنا واحدًا مع ابن الله. نتيجة لهذا، أي خيانة، تحت أي مسمى، بدأً من ممارسة الجنس قبل الزواج، إلى الدعارة، تشوه وحدتنا مع الله. إن كانت الوحدة تجمع بيننا وبين المسيح إلا أن الرسول بولس طبق هذا المبدأ على الزواج عندما قال «وَأَمَّا أَنْتُمُ الأَفْرَادُ، فَلْيُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ هكَذَا كَنَفْسِهِ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا» (أف ٥ :٣٣). على الزوجة أن تخضع لذلك الزوج الذي يضع مجد الله فوق كل شيء، وعلى الزوج أن يحب زوجته ويخدمها ويضحي من أجلها.

فقدنا في كنائسنا اليوم، الإيمان الكتابي الذي يرشدنا إلى النظرة الصحيحة للجنس، ويحدد طريقة تفكيرنا، وسلوكنا الجنسي. أستطيع أن أُقر أنه لا توجد صيغة، أو تقنيات، أو أية برنامج من الممكن أن تساعدنا لنستعيد مثل هذا الإيمان. بل في الواقع تأخذنا مثل هذه الإستراتيجيات بعيدا عن الحل.

نحن نحتاج إلى الفداء الجنسي.

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. تـأمل في حقيقة أن أنوثتكِ أو ذكورتك تعكس صورة الله.

٢. «وَلكِنَّ الْجَسَدَ لَيْسَ لِلزِّنَا بَلْ لِلرَّبِّ، وَالرَّبُّ لِلْجَسَدِ.» (١كو ٦ :١٣) هل أدركت غرض الله السامي الذي من أجله أعطى لك هذا الجسد؟

٣. إن اتحادنـا بالمسيـح لا يتوافـق مـع الخطايا الجنسيـة، فالإتحاد الجنسـي له مدلول روحي، وبالتالـي فممارسة الجنس خارج إطار الـزواج، هي خطية موجهة إلـى جسد المسيح وموجهـة إلى جسدك الـذي هو ملك للمسيح (١كو ٦ :١٣–٢٠)، والعكس صحيح: الإتحاد الجنسـي فـي إطار الزواج، لـه مدلول روحي إيجابـي، لهذا ما الذي يحتاج إلى تغيير في حياتك الجنسية والروحية؟

الفصل السادس

الرجل الغائب

أريد أن أقهر الذات في كل المجالات

أن أنتصر على الجسد بكل أهوائه وشهواته

أن أقمع جسدي

أن أحفظ نفسي من كل خطية جسدية

أن أكبح جماح قوة ذهني الطبيعي

وأن أحيا بجملتي لمجده

وألا أصغي إلى مدح الناس.

أتمنى أن تتماثل تصرفاتي مع حياتي

أشتاق أن أكون مثل يسوع

أخضع لعملك في حياتي

يارب أنا ملكًا لك

أجعلني لائقًا لهذا المقام [1]

— — — —

قابلت كاري وچيم لأول مرة يوم الأربعاء صباحًا في مكتب المشورة. كانت تبدو عليهما علامات القسوة. كنت متأكدًا أنهما قضيا ليلة مقلقة، مليئة بالتفكير والتوقعات.

يوجد في مكتبي مكان مريح به ثلاثة كراسي وبين كل كرسي توجد منضدة صغيرة، موضوع عليها زجاجة ماء وعلبة مناديل ورقية. بعد أن تصافحنا وجلسنا معًا، قضينا وقتًا قصيرًا في حديث باسم ثم قلت «حسنًا، من يريد أن يبدأ أولاً»

نظرت كاري إلى چيم، لكنه حول عينيه بعيدًا وأومأ برأسه. قالت بحدة من خلال شفتين شبه مغلقتين «أعتقد أنه ينبغي أن يبدأ أولاً! أليس هذا منطقيًا يا دكتور شومبرج؟»

لـم أعلـق. ففي المقابلـة الأولى معًـا، يكون هدفـي الأسـاسـي أن أُقيِّمهمـا كأفراد وكزوجين. فكل معلومة أستمع إليها ستفيدني في عملي. إذا كان الرجل هو الذي انزلق فـي الخطايـا الجنسية، تكون زوجته شغوفة أن تجبره على الاعتراف بكل شيء، لتصل إلـى مرحلـة «إثبـات فعلته الشنعـاء». أو قد تكون بـالـكـاد متمسكة بخيـط رفيع وعلى استعداد أن تنسحب من جلسات المشورة في أي وقت، واضعة زوجها وراء ظهرهـا.

ألتفت إليَّ چيم وكانت تبدو عليه علامات البؤس، وقـال «حسنًا، أريد أن أقول شيئًا. لم أكن أتوقع أن ينتهي بي الأمر هكذا. بالطبع لم أكن أريد أن أجرح كاري أو أسبب كل هـذه المشـاكل لأسرتي، ولكل شخص». ثم توقف ونظر إلـيَّ بحزن مرة أخرى ثم حوَّل عينيـه ليلقي نظرة على كاري التي كانت تنظر للأمام ورجلاها مضمومتان بعصبية، وهـي تمسك الورقة التي علـى زجاجة الميـاه وتحركها بأصابعهـا بطريقة عصبية. كانـت تحاول جاهدة أن تتحكم فـي دموعها، لكنها انفجرت وقالت «كيف استطعت أن تعاملنـي هكذا، فيمـا كنت تفكر؟» تجاهلـت كلماتها، وانفعالاتهـا، ونظرت نحو چيم. بـالطبع كانت هذه اللحظات محرجة بل ومؤلمة جدًا بـالنسبة لچيم.

بعـد أن هـدأ چيم مـن انفعاله أكمل حديثـه وقـال «لقد عثرت علـى بعض المجلات الجنسيـة مخبأة في جراچ بيتنا عندما كنت في الحادية عشر من عمري. كنت ساذجًا، وفـي البدايـة أفزعتني هذه الصور، وشعرت بـالخجل. كنـت أدرك أن هنـاك علاقة سيئة بيـن هذه المجلات وأبي، الأمـر الذي جعله يخبئها، لذلك تركتهـا وخرجت من المكان مسرعًـا. لكنـي بـدأت أفكـر في هـذه الصـور، والأشياء الأخـرى التي قـد تحويها هذه المجـلات. فبـدأت في التردد على هـذا المكان بطريقـة سرية لأتصفـح المجلات أكثر وأكثـر. أصبحـت مغرمًا بـالنظر فـي صور السيـدات العـاريات. من هنـا بـدأت المشكلة، وأعتقد أن هذا هو الفخ الذي سقطت فيه».

▬ ▬ ▬ ▬

قصـة چيـم وكيفية انغماسه في الأمور الجنسيـة الإباحية هـي مـا كان يحدث مع الرجـال الذين كبروا قبل ثورة الإنترنـت. لقد انجذبت عينيه لصور السيدات العـاريـات. الرجـل بصفـة عـامـة «كائن بصـري»، (وأيضًـا النسـاء). الرجال الذيـن ينساقون وراء أنـانيـة قلوبهـم، يكون البصـر هو المحرك الأسـاسـي لخطاياهم الجنسيـة سواء كانت أفـلام إباحيـة، زنـا، دعـارة، رقص خليـع. إن هذا هو الواقع، لكن هـل هنـاك أمور أكثر نستطيع أن نتعلمها عن الجنس الذكوري الذي يتغذى من خلال القلب الشرير؟

صدقني هناك الكثير.

كتبت هذا الفصل خصيصًا للرجال، لكني أريد أن تقرأه كل امرأة (وسأطلب هذا الأمر من الرجال في الفصل القادم الذي سيركز على المرأة). في الفصل العاشر، سأقدم بعض الأمور التي نحتاجها نحن كرجال لكي نحسِّن من الوضع المتعلق بالأمور الجنسية، لكن قبل أن نقرأ هذه الكلمات علينا أن نتحدث بصورة مركزة عن ما هي الأخطاء التي نعيشها والتي تنبع من الداخل وتظهر في الخارج.

تناولت العديد من الكتب والمؤتمرات موضوع الجنس بالنسبة للرجال. لكن عندما يتعلق الأمر بالشهوة الجنسية القوية، تُرى هل يفهم كل رجل أبعاد هذه المشكلة الآن؟

تعتقد النساء أنهن يفهمن أبعاد المشكلة. فإذا سألنا مائة امرأة، سنجد أن جميعهن سيتفقن على وصف الدافع الجنسي عند الرجال ويقلن «إن فكر الرجل ورغباته متماثلان». لكن طوال سنوات عملي وأنا أحلل الوضع، وجدت في كثير من المرات أنه هناك نوع من عدم الفهم أو عدم المعرفة حول موضوع الجنس في الرجال، وعلى سبيل الخصوص، كيف تتعلق الحياة الجنسية للرجل بحياته الروحية، لماذا نجد أن هناك كثير من التشويش؟

هل الرجال اجتماعيون؟

من خلال خبرتي كرجل، ومن خلال خدمتي مع الرجال، أجد أن الرجال يهتمون بالعلاقات أكثر بكثير من الانطباع السائد عنهم. هذه الرغبة في إقامة علاقات اجتماعية قد لا يراها الآخرون بل وقد لا نراها نحن في أنفسنا. أستطيع أن أرصد بعض الدلائل التي تؤيد هذا الكلام؛ كل الرجال يريدون أن ينالوا احترامًا، وبالطبع كل الرجال يريدون أن يكونوا محبوبين، لكن الطريق إلى الشعور بالحب ينبغي أن يمر أولاً بشعور الرجل بالاحترام لكونه رجلاً. يبحث الرجل دائمًا عن الألفة والتي يجدها من خلال احترام زوجته له.

الحصول على احترام أصيل ليس بالأمر السهل. أولاً إن وقوفنا كرجال أمام المرأة في هذا العالم الساقط يجعلنا نشعر بالعري والخجل، حتى وإن كنا نرتدي ملابسنا. هناك خوف متزايد لدى الرجال من عدم الكفاءة، قد لا يظهرونه في تصرفاتهم. لكن صدقني أننا في بعض الأحيان نسأل أنفسنا، هل أنا رجل بمعنى الكلمة؟

أحيانًا تقول لنا زوجاتنا بطريقة رقيقة أو غير رقيقة : «حسنًا، إذا كنت تريد أن تتمتع بالاحترام، لماذا لا تتصرف كرجل؟» نعم! ربما يكون هذا سؤالاً منطقيًا، إلا أن التحدي الذي يواجهنا لكي نكون رجالاً في وسط عالم ساقط قد يكون كبيرًا بل ومحبطًا. كأبينا آدم الذي وجد تعبًا وشقاء بعد طرده من الجنة، هكذا سيواجه كل رجل الألم والإحباط. بالطبع ليس كل الرجال يعانون من تعب الحرث والزرع، تلك العقوبة التي نالها آدم (... الأرض .... بالتعب تأكل منها)، لكن كلنا نختبر الألم والإحباط في عملنا.. سواء في زواجنا، أو في عائلاتنا أو في وظائفنا.

إذا كان كل مجهود أبذله، يستتبعه ألم وإحباط، إذن متى، وكيف، وأين أستطيع أن أحصل على الاحترام الدائم؟ إن هذا مستحيل، لقد خطط الله هذا لغرض ما! لقد أردت آلاف المرات أن أحقق هذا سواء في الحب، أو في الشراكة مع الآخرين، بل وفي خدمة الله، إلا أنه في ٩٩٪ من المرات أصبت بالإحباط والألم، وكل ما أتمناه كرجل يكون بعيد المنال.

في عام ١٩٩٩، بدأنا في إيجار مكان جميل وكنا نعقد فيه ورش العمل المشورية. كانت الخطة هي أن نشتري هذا المكان الجميل. تقدمنا بطلب لنحصل على قرض، لكنه رُفض، وأعدنا المحاولة أربعين مرة. حيث أن الله رتب لنا هذا المكان بطريقة معجزيه من البداية، لذلك ما حدث أصابني بإحباط كبير بل وبارتباك! كنت أشعر كما لو أني أطير في طائرة صغيرة، وفي واد ضيق، وبدأت تقترب جداره رويدًا رويدًا إلى أن تلامست مع أجنحة الطائرة. وأصبح الوضع ينبئ بكارثة.

عند هذه النقطة، كان من السهل أن أتساءل عن مدى صحة قراري من البداية، قدراتي القيادية، دوافعي، بل وحتى رجولتي. كنت أريد أن أسترسل في رثاء النفس. لم يكن الألم الذي يعتصرني والدمار الذي في داخلي هو أسوأ ما وصلت إليه، لكن كنت أحيانًا أتمنى الموت لأتخلص من الكارثة الذي كنت فيها وذلك بسبب مخاوفي من أن يكتشف الآخرون أني كنت غبيًا لا أعرف أن أتخذ قرارات صحيحة. وفي نفس الوقت لن تتجاوب معي زوجتي روز ماري في أي اقتراح.

بمثل هذا النوع من الخوف الذي يتغلغل في قلب الإنسان، تُرى ما هو رد الفعل الشرير من القلب المخادع في الرجل؟ أعتقد أنه سيكون يأس، غضب، رثاء للذات،

ويستتبعـه محاولة مستميتة لتجنب الشعور بالألـم والإحباط مرة أخرى. بالرغم من أن هذه المحاولات قد تجعلك تنال بعض الاحترام أو على الأقل تجنبك عدم الاحترام، إلا أن رد فعل كهذا، لا يقلل من رجولتك فحسب، لكن سيجعل الله لا يتمجد من خلال رجولتك.

علـى وجـه الخصوص، عندما نحـارب كرجال لكـي نتغلب على الخـوف، نصبح أقـل حساسية في مجـال العلاقات، ونتصرف كأننا لا نبالـي بالآخر. ننسحب لأننا لا نريـد أن نشعـر بالألم مرة أخرى، ونبـدأ في الانسحاب من دورنـا القيادي في الزواج، وفـي الأسـرة. بعد قليل، ينطبق علينـا وصف «الرجل الجبان». وهنـا تُصاب زوجاتنا بالإحباط، ويجدن مبررًا أن يأخذن دور القيادة.

يشعـر الرجـل الذي يمـر بهذه التجربة بأنـه طفل مع زوجته، وقـد يتسبب هذا في إصابته بضعف الانتصاب. الأمر الذي قد يجعله يرتمي في أحضان امرأة أخرى، التي تعطيـه مـا يبدو أنـه احترامًا، لكنه ليس إلا مودة زائفة. يبدو هـذا الرجل خارج نطاق علاقتـه الزوجيـة شخصًـا ناضجًا. وذلـك من خلال تـردده على المواقـع الجنسية، أو لقاءاتـه مع بعضـن العاهرات. يُعتبر شعـور الرجل برجولته أمر حيوي فـي هذا العالم الزائف، لكنه يكتشف أنه مجرد وهم.

فـي مكتـب المشورة، أسمـع كثيرًا عن علاقـات مشوهة، تمرد، خـداع الذات وعناد. يقـول البعضـ: «هـذه المرأة تريدنـي، لكن زوجتـي لا تريدني، إنهـا لا تحترمني، لكن المرأة الأخرى تحترمني». بالرغم من كل هذه الحماقات، كل رجل يريد في قرارة نفسه أن يكون في علاقة هادفة، بالطريقة التي رسمها الله، لكن قلبه المخادع يقوده بعيدًا.

يخفـي بعض الرجـال آلامهم، مخاوفهـم وإحباطاتهـم خلف التظاهـر بالكبرياء، ويعتقدون أنه بإمكانهم حل مشاكلهم بطريقتهم. فبجانب الغضب الذي يعتريهم، نجد الصرامـة ، العدوانيـة والأوامـر المستبدة لزوجته حتى أنه قد يقـول لها «هل تجرؤين على مقاومتي!»، قد يكون هذا الرجل مشغولاً جدًا ولا يمارس الجنس كثيرًا مع زوجته، لكن عندما يريد أن يمارس معها الجنس عليها أن ترضخ وإلا ستدفع ثمن رفضها.

إلا أن هنـاك بعض الرجـال يخفون آلامهم، ومخـاوفهـم، وإحباطاتهم وراء كبرياء مستتـر، فيكون غضبهم عميقًـا مكتومًا في داخلهم. فهم لا يواجهون أو يقاومون أحدًا،

ولا يأخـذون زمـام المبادرة في ممارسـة الجنس مع زوجاتهم أو حتـى مع أي امرأة أخـرى، تاركين الأمر للمرأة لتأخذ زمام المبـادرة.كلا النوعين من الرجال المتكبرين معرضون للتجارب الجنسية والإصابة باعتلال في الوظائف الجنسية. أما عن الجانب الروحي فكلاهما يعاني من ضعف روحي.

منـذ عـدة سنوات جـاءت إليَّ زوجـة تتطلب المشـورة. كان زوجها طبيبًـا ناجحًا، لكنـه كان رجـلاً ضعيفًا. لقد فقدت ميلها لممارسة الجنس معه لأنها كانت لا تجد فيه معنـى الرجولة الحقيقية. بدلاً من أن يكون رجلاً قويًا، وحبيبًا صادقًا يكتسب احترام زوجته، كان يقايضها ويقول لها «وافقي أن تمارسي الجنس معي كل ليلة لمدة ثلاثة أشهـر وسأشتري لـك سيارة BMW جديدة» وإن لم تكن سيـارة جديدة، ستكون رحلة إلى أوروبا، أو أثاث جديد للبيت، أو بعض المجوهرات. لقد صدق الأكذوبة أنه لا يمتلك من المقومات التي تجعله محبوبًا ومحترمًا، فاعتقد بغباء أنه يستطيع أن يحصل على ما يريد عندما يقدم لها ما تريد. هذا الأمر زاد من ألمها وجعلها تشعر بالاشمئزاز منه.

سوء فهم الرجال:

بينمـا كنت أكتب هـذا الفصل اتصل بي أحد الرجال تليفونيًـا وشرح لي أن مشكلته في النظـر إلى النسـاء قادته ليقع في علاقة عاطفية مع إحدى زميلاتـه التي تصغره في السن كثيرًا. تطورت العلاقة لتصبح علاقة جسدية. وقد اعترف بهذه الخيانة لزوجته، التي تملكها الخوف من أن تفقد زوجها لأنها اعتقدت أنها لا تستطيع أن تنافس هذه الشابة الجميلة.

وبسبب نقص المعرفة، كل ما اشتكى منه ذلك الرجل هو أعراض للمشكلة – مشكلة عينيـه الزائغتيـن – بدلاً من أن يشتكي من أساس المشكلة. كانت إستراتيجيته هي أن يبتعد بنظـره بعيدًا في كل مرة يرى امرأة صغيرة وجميلة، لكي يضع حدودًا للعلاقات فـي العمـل، ولكي يهتم أكثر بزوجته. بعد عدة شهور نجح إلى حد ما. بسذاجة اعتقد أنه أصبح في حال أفضل، لكن ما حدث في واقع الأمر أن هذه الشابة تركت المدينة.

عبَّـرت لـه عن رأيـي، أن ابتعاده بالنظر بعيـدًا عن كل فتاة جميلـة، وعدم الجلوس بمفـرده مع هذه الشابة، وسعيه لخلق علاقة أفضل مع زوجته، كل هذه الأمور للأسف قـد لا تمثل حلاً كافيًا. إن لـم يتم التعامل مع جذور المشكلة، فالسرطان الذي في قلبه سيعاود الظهور، وسيتغلب عليه، وستحدث انتكاسة في لحظة ما، وذلك عندما تعترض

طريقه امرأة جميلة تهتم به. إن الوقاية من الخيانة لا تعتمد أساسًا على اكتشاف مصدر الإثارة، أو التصرف الصحيح أمام العامل المثير، أو حساب الخسائر التي قد تنتج عن مثل هذه الأفعال، أو كتابة عهد بينك وبين الشريك بأن لا تنجذب لشخص آخر، فكل شيء نعمله تجاه الجنس الآخر، أو حتى تجاه الجنس المماثل يجب أن يتعامل مع ميول القلب الداخلية.

يبدأ الارتباك عندما نفترض أن الرجال بطبيعتهم لا يربطون بين الحب والجنس– الأمر الذي تفعله السيدات فقط. أعتقد أن هذا الافتراض الخاص بالرجال كان نتيجة التركيز الكبير على سلوك الرجال الأشرار، ولم يؤسس على ملاحظة الرجال الأتقياء، أو من القراءة الدقيقة لكلمة الله، وهكذا ساد الاعتقاد أن ميول الرجل إلى النظرات الشهوانية أمر طبيعي حتى بالنسبة للمؤمنين، وأن كل رجل بالطبيعة ينظر وفي قلبه «ميول شهوانية» (مت ٥ :٢٨) تجاه جسد المرأة. إن الله خلق فينا محبة للجمال، والطبيعي بالنسبة للرجال والنساء أن يلاحظوا كل مظاهر الجمال، بما فيها جمال الجنس الآخر. لكن النظرة الشهوانية الشريرة، هي بالطبع شهوة جنسية، فهي خطية موجهة ضد الله رأسًا وتعبر عن عدم احترام للشخص الذي تشتهيه. للأسف، مع تكرار السلوك الشاذ للرجال، أصبح للناس يعتبرونه سلوكًا طبيعيًا. وفي النهاية نلوم الله لأنه هو الذي خلق الرجال ولديهم ميلاً ليعجبوا بجمال المرأة.

قدمت مشورة لراع يبلغ من العمر خمسين عامًا، كان يقوم بزيارة افتقادية لأرملة في الثمانين من عمرها بعد فترة قصيرة من موت زوجها. كانت في حالة ضعف، لذلك كانت في حاجة إلى من يمسك بيديها، أما هو فكان في حاجة إلى الشعور بالاحترام. لم تبنَ علاقتهم الجنسية على الانجذاب من خلال النظرة. لم تتخيل زوجة هذا الراعي أن سيدة في الثمانين من عمرها ستجذب زوجها من خلال نظرة شهوانية، إلا إذا كانت ملكة جمال العالم لمن بلغن الثمانين من عمرهن، لذلك أرادت أن ترى من تكون هذه السيدة، فذهبت إليها وقرعت باب بيتها، ولصدمتها رأت سيدة تفتح الباب وعلامات السن واضحة عليها، والتجاعيد تملأ وجهها. إن النوايا الشهوانية، ليست بالضرورة تعتمد على النظر، إنها نابعة من القلب وليس من العين. إنها النوايا التي تسعى للذة الجنسية دون اعتبار إلى كيان الإنسان ككل.

إلا أن موضوع شهوة العيون سار خطوة أبعد، وبدأ اللوم يوجّه إلى التفاعلات

الكيميائيــة في مــخ الإنسان. هذه الافتراضات خاطئة لأن الله أعطى كل شخص، رجل أو امرأة استعدادًا ليقدِّر الجمال، جمال الورود، منظر غروب الشمس، جمال شخص آخر. هذا الأمـر طبيعي فـي كل من الجنسين. فهناك فرق كبير بيـن الشهوة والاستمتاع بالجمال الـذي صممـه الله فـي قلب كل رجل وامـرأة. الشهوة هنا هي رغبة فـي الجمال الجسدي الزائل (بالمباينة مع الجمال الذي لا يفنى) بغرض أناني. إنها استخفاف بالله وبالآخر.

إن الله لـم يخلقنا لننظر نظرات شريـرة، كما لو كنتُ أنا أجرَب من قبل الله لأخطئ. « لاَ يَقُـلْ أَحَـدٌ إِذَا جُـرِّبَ: «إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَـلِ اللهِ» ، لأَنَّ اللهَ غَيْرُ مُجَـرَّبٍ بِالشُّرُورِ، وَهُـوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا » (يــع ١ :١٣). الخطية أمر طبيعي لمن لم يتمتـع بالفداء. لكن أي شخص مخلوق على صورة الله، ويتمتع بالخليقة الجديدة ويشبه الابن من خلال عمل الصليـب، يستطيـع أن يغلـب الخطية. كما قال بولس « إِذْ خَلَعْتُـمُ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ» (كو٣ : ٩ –١٠).

قد ينتابنا بعض الارتباك في فهمنا للرجال، عندما نتحدث عن الرجل الذي يشتهي جسد المرأة أكثر من حديثنا عن المرأة التي تشتهي جسد الرجل. الحقيقة هـي أن الرجل يستطيـع أن ينظر إلى المـرأة بنوايا شهوانية بسرعة البـرق، فالمشكلة تكمن في القلب والذهـن المخادعيـن، وليس فـي الميل الفسيولوجـي الطبيعي أو فـي بعض تفاعلات المخ الكيميائية. داخل الإنسان الذي خُلق على صورة الله، هناك رغبة ملحة للعلاقات الهادفـة. لكن أنانية الإنسـان وقلبه المخادع يقوده إلى أن يبحث عن علاقات مؤسسة على الشهوة، وعلى الجمال الذي يذبل.

نعـم، قـد تتغير ميـول الرجل من ميله لإقامــة علاقات مودة، إلـى ميله لممارسة الجنس، إلى ميلــه للعلاقات وذلك بسرعة البـرق. لكن في وسط هـذه الصورة الباهتة علينـا أن لا ننسـى رغبة الرجل في تكوين علاقات بناءة: إنها تمامًا مثل رغبة المرأة. سـل أي رجـل متعقـل وسيقول لك أنه فـي أعماقه، لا يريد ممارسـة الجنس، إن لم تكن المرأة تريد أن تكون في علاقة مودة معه.

إذا دققنــا في الأسباب التي تجعل الرجـل يمارس الجنس مع عاهرة، سنكتشف أنه يمارس هـذا الأمر لا لكـون «الرجال كائنات بصريـة» من ثم فهو يجـد نفسه منساقًا ليمارس الجنس مـع أي فتـاة، إلا أن الحقيقـة تكمن فـي حماقة الرجـال. فالمشكلة

الحقيقية نابعة من خداع القلب والذهن. الرجل يدرك تمامًا أن العاهرة تكذب عليه عندما تقول له أنها تقدِّره وتريده، ومع ذلك يمارس الجنس على أمل أن يختبر علاقة مودة زائفة. في كثير من الأحيان يرفض الرجل أن يمارس الجنس مع العاهرة التي لا تجيد هذا الكذب والخداع.

قد يسلك الزوج مثل الرجال الذين يذهبون إلى العاهرات، فيأخذ متعته الجنسية من زوجته غير الراغبة ليستمتع هو بنوع من الألفة الكاذبة. لكن في الواقع هو يكره تصرف زوجته.

مشاكل القلب

إذا كان الفداء الجنسي هو احتياجنا الحقيقي، فالسؤال الطبيعي» ما الذي يتطلبه على وجه الخصوص هذا الفداء الجنسي؟» علينا أن نتذكر دائمًا ونحن ننظر إلى الرجال (وأيضًا النساء) أن المشكلة الحقيقية هي أن «اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ، مَنْ يَعْرِفُهُ» (إر ١٧ :٩) ركز الرب يسوع على مشكلة القلب حين قال:

> *«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ.» (مت ٥ : ٢٧-٣٠)*

في واقع الأمر السلوك الصالح ينبع من القلب المجدد، لا من قدرة المؤمن أن يتحكم في سلوكه، أو من خلال استخدام تقنيات جديدة، أو التعافي من مشاكل الماضي. فقد أعلن يسوع أن المشكلة تكمن في القلب «لأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِل مَمْلُوآنِ اخْتِطَافًا وَدَعَارَةً» (مت ٢٣ :٢٥).

إن السلوك الخارجي هو عرض للمشكلة، وهكذا يركز كثير من الكُتَّاب، والمشيرين، والرعاة، والمعلمين على التعامل مع هذه الأعراض. عندما يصفون الخطايا الجنسية فهم يعتبرونها مرضًا أو إدمانًا. وهكذا حتى وإن ذكروا كلمة «خطية» فأنهم يقرنونها بمرض أو إدمان.

لعل البعض يصف الخطايا الجنسية على أنها هجوم شيطاني، ثم يضيفون إلى هذا الوصف فكرة إنها مرض، ومن ثم يشيرون إلى العلاج. بالطبع الشيطان هو عدونا، وهو المشتكي، المجرب، وبالتالي فهو في منتهى الخطورة. وكما قال بطرس «اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ. فَقَاوِمُوهُ، رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ» (١بط ٥ :٨-٩). في الواقع، وإن كان الشيطان يملك كل هذه القوة وأساليب الدهاء، إلا أنه لا يستطيع أن يوقعنا في الخطية. فعندما نقول «إن الشيطان هو الذي جعلني أفعل هذا» هذا ليس صحيحًا! الخبرات السابقة، سواء كانت خبرات جيدة أو سيئة، تُشكِّل حياتنا، إلا أنها لا تملي علينا أو تجبرنا على أن نفعل الخطية.

علينا أن لا ننسى ما علَّمنا إياه الرب يسوع حين قال «لأَنْ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شِرِّيرَةٌ: قَتْلٌ، زِنىً، فِسْقٌ، سِرْقَةٌ، شَهَادَةُ زُورٍ، تَجْدِيفٌ.» (مت ١٥ :١٩)

نحن لا نتجاهل دور الشيطان، وعلينا أن نستفيد من الخبرات السابقة، لكن في وقت الأزمات، اذهب مباشرة إلى جوهر قضية الخطية: اطلب من الله أن يفحص أعماقك، ويفتش على ما في داخل قلبك، لتعرف أساس المشكلة التي في حياتك. إن الوضع الأمثل لمن يرتكب الخطايا الجنسية نستطيع أن ندركه من خلال ما حدث مع داود. أولاً: لقد أدرك من أخطأ في حقه «إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ» (مز ٥١ :٤). ثانيًا: أدرك احتياجه للرحمة، بل وعرف من يستطيع أن يقدم له هذه الرحمة. «اِرْحَمْنِي يَا اَللهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ.» (مز ٥١ :١). ثالثًا، أدرك أن الله ينبغي أن يعمل العمل «اغْسِلْنِي كَثِيرًا مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي.» (مز ٥١ :٢). لقد عرف داود بعد أن أخطأ مع بثشبع أن تغيير مسار سلوكه بل وشهواته، لن يحدث إلا من خلال تدخل الله.

إن التقديس يبدأ أولاً بعمل الله، وعندما ننتقل من مرحلة الموت الروحي إلى الحياة، وننمو في القداسة، عندئذ سيكون النقاء الجنسي أمرًا مستمرًا يعتمد على عمل الله المستمر في قلب المؤمن، لكنه يتطلب أيضًا جهاد المؤمن المستمر ضد الخطية. فالموضوع لا يعتمد بالكامل على مجهود الإنسان، ولا على عمل الله فقط، وبلغة أخرى، فالانتصار على الخطايا الجنسية هو جهاد بشري من خلال الاتكال على الله. (انظر ٢ كو ٧ :١؛ في ٣ :١٠ -١٤؛ عب ١٢ :١٤).

بدون نعمة ورحمة الله نقف عاجزين أمام أفكارنا وتصرفاتنا الجنسية الشريرة،

إلا أن المشكلة أكبر من هذا بكثير. فنحن لا نريد أن نتغير إن لم يظهر الله لنا رحمته. «فَإِذًا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ.» (رو ٩ :١٨). الرحمة هي عطية الله لنا، لذلك نحن نحتاج إلى مشيئته. عندما يبدأ عمله في قلوب منفتحة لإرادته الكاملة، سوف نشارك داود في صلاته ونقول «قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اَللهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي.لاَ تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ، وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي. رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ، وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ اعْضُدْنِي» (مز ٥١ :١٠-١٢). إن الصليب يسدد كل احتياجاتنا الداخلية، فهو لا ينقذنا فقط من عبودية والآم الماضي، لكنه ينزع أيضًا الشر الداخلي الذي يدنس كل إنسان. في الفصول الأخيرة سأتحدث بالتفصيل عن مسئوليتنا تجاه رحمة الله.

عندما تتغير من الداخل من خلال الفداء الجنسي، سيتغير سلوكك أيضًا فهو ثمر التغيير الداخلي. الفداء الجنسي هو عمل داخلي، يُغرس البر في داخل القلب. فهو لا يحمي العين من النظرات الشريرة فقط. لكنه أيضًا بمثابة الرقيب الداخلي، الذي يقدم للإنسان الحماية، بل يجنبه التفكك الأسري. إن كنا نتمتع بالمودة في العلاقات في حياتنا الزوجية، هذا جميل، لكن هناك أهداف أسمى لأن المودة ينبغي أن يكون هدفها الأساسي هو تمجيد الله وأن «نجعل حق الإنجيل معلنًا في هذا العالم. لعل هذا هو السبب الذي من أجله تزوجنا، بل لعله سبب زواج كل المتزوجين، حتى وإن لم يدركوا حق الإنجيل»[٢]

قصور القلب

تحولت كل الإعلانات عن المنشطات الجنسية (مثل الفياجرا) من إعلانات مبهمة إلى إعلانات سوقية فجة، فأصبح على الآباء أن يجيبوا على تساؤلات بناتهم البالغات من العمر خمس سنوات عندما يسألوهن عن ما ورد في الإعلان وتقلن «ما معنى أربعة ساعات من الانتصاب يا بابا؟» حقا أن هذا جنون مصدره الجشع. عندما طرحت شركة فايزر هذا الدواء الذي يعالج ضعف الانتصاب في الأسواق، قدر المحللون ببورصة المال أن هذا الدواء سيحقق أرباحًا ما بين ستة بلايين وأحد عشر بليون دولارًا سنويًا[٣]. لكن الأمر الذي أصابني بالدهشة هو أن صناع الدواء وأغلب مستخدميه، لا يريدون أن يعرفوا الأسباب الروحية أو الاجتماعية التي تسببت في اختلال الانتصاب. إن كان الخلل في الانتصاب هو مشكلة طبية في ٨٠٪ إلى ٩٠ ٪ من الحالات إلا أن هذه المشكلة قد تكون أيضًا عرضًا لمشكلة عميقة في قلب الإنسان[٤]. الدواء لا يستطيع أن يعالج مشكلة القلب التي تشمل أبعادًا روحية وجنسية واجتماعية.

إن كان انسداد الشرايين يسبب آلامًا في الصدر، هكذا قلب الرجل الخادع يسبب أعراضًا ينبغي أن لا نتجاهلها. فالخلل في الانتصاب الذي ليس له أسباب عضوية، هو مؤشر يعبر عن قصور في قلب الرجل، يظهر في صورة خلل جنسي في بعض الرجال. وأيضًا قصور في العلاقات في البعض الآخر، أو قد يصاحبه ضعفًا روحيًا أو غياب الدور القيادي للرجل في البيت.

كان ريك يمتلك شركة بها حوالي مائتي موظف. وكان يدير العمل بكل حسم ونجاح. إلا أن القصة كانت مختلفة تمامًا في بيته، فكانت زوجته چان وهي ربة بيت مسئوله عن نظام البيت والأسرة. كان لديهم خمسة أبناء وكان ريك يشعر أمام زوجته المتسلطة أنه الابن السادس. إلا أن چان كانت تشعر أن لديها لا خمسة أبناء فقط، لكن زوج يسلك وكأنه الطفل السادس.

في جلسات المشورة حيث كان ريك يصارع مع عدم أمانته تجاه الله من خلال استمتاعه بالأفلام الجنسية، بدأ يدرك عمق خداع قلبه، ويبدأ يشرح أعراضه، التي هي شائعة بين عدد كبير من الرجال، وقال «عندما كان يطلب مني أولادي أن نخرج ونلعب، ولشغفي لأكون أبًا صالحًا، كنت أوافق. ثم يسألونني سؤالاً ثانيًا ويقولون هل سنحتاج إلى المعطف؟ فأقول اذهبوا واسألوا ماما. كان ردي هذا مبنيًا على خبراتي السابقة أنه من الصعب أن أجيب الإجابة الصحيحة على هذا السؤال. فإن لبسوا المعطف ، قد تصيح من الداخل وتقول (لماذا لبس هؤلاء الأطفال المعطف، إن الجو دافئ جدًا في الخارج) وإن لم يلبسوا المعطف، تصيح أمهم من الداخل وتقول (لماذا لم يلبسوا المعاطف، إن الجو بارد جدًا في الخارج!) وفي كلتا الحالتين أشعر وكأني طفل عاجز».

لم يكن ريك غير متعاون لكنه كان يتجنب أن يبدو غير كفء في اتخاذ قرارات بسيطة، قد يُحاسب عليها. بهذا التصرف كان يهتم بحماية نفسه والاحتفاظ بصورته الجميلة أكثر من اهتمامه بدوره القيادي في البيت.

ما هي الأعراض التي تنتاب الرجل عندما يشعر أنه مثل الطفل في البيت، وأن زوجته تشعر أنه طفل آخر لها؟ إذا نظرنا إلى أحد جوانب العلاقة، ستقول أن هذا الرجل جبان، فهو يشعر بالخجل وبالذنب عندما يفشل في أداء دوره القيادي، لكنه أيضًا يشعر بالاستياء من تسلط زوجته. إذا نظرنا إلى الوجه الآخر من العملة سنرى الزوجة وكأنها

ساحرة متسلطة، فهي تكره نفسها لأجل هذا التصرف، وتشعر بالاستياء من زوجها لفشله في القيادة، لكنها تبرر الأمر لنفسها، لأنها تؤمن أنه لن يتغير أبدًا. في نهاية تحليلي لهذه المواقف، أقول أن مثل هذا الصراع سيتوقف تمامًا إذا طبقنا ترتيب الله في القيادة، وعلى الرجل أن يدرك أن ضعفه هو استخفاف بالله، وبالآخرين لكي يرضي نفسه.

الرجل الغائب

كيف تحدث هذه الكارثة؟ بدلاً من أن ننظر إلى آبائنا، دعونا ننظر بعيدًا إلى الوراء، إلى بدء الخليقة. لاحظ الكثيرون من مفسري الكتاب المقدس أن الإنسان خُلق «عَلَى صُورَةِ اللهِ...... ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ.» (تك ١ :٢٧) وأن الله أعطاه الفرصة لكي يتسلط على الأرض وعلى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ (ع ٢٨). لكنه لم يكن أهلاً للثقة التي وثق بها الله فيه وخان هذه الثقة، وفي تمرده أطاع أحد خلائق الله (الحية). أنا أعتقد أن السقوط لم يبدأ حينما أغويت حواء وأكلت من الشجرة. لكن بدأ عندما فشل آدم في تحدي أمكر مخلوقات الله عندما ظهرت في الصورة (تك٣: ١) وبالتالي نحن لا نستطيع أن نغض النظر عن خطية آدم. إن خطيته كانت تمرد إرادي، فهو قد فشل في أن ينفذ وصية الله بأن يعتني بالجنة (تك ٢ :١٥) لعل البعض يرفض هذا الكلام، إلا أن آدم طبقًا لوصية الله (أنظر تك ٢ :١٦) كان عليه أن يأخذ مسئولية القيادة في العناية بزوجته، حواء. ولهذا، أنا أعتقد أننا من الممكن أن نعتبر أن السبب الأول في السقوط هو فشل آدم في القيادة، ومنذ ذلك الوقت حتى الآن، نحن كرجال نتبعه بحماقة بل وأحيانًا بإصرار في ذات الطريق.

لقد أخطأ آدم عندما لم يستمع لوصية الله «وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ (في عدم وجود حواء (٥) قَائِلاً: (مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ)» (تك ٢ :١٦-١٧)، وعندما التقى الله بآدم وحواء بعد السقوط، نَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». (تك ٣ :٩)[٦] ثم سأل آدم ثلاثة أسئلة تتعلق بدوره القيادي وسمح له بأن يقدم مبررات

- أَيْنَ أَنْتَ؟ (تك ٣ :٩)
- مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ (تك ٣ :١١)
- هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟ (تك ٣ :١١)

لقد أنكر آدم مسئوليته القيادية، ويبدأ يلوم حواء، الأمر الذي يفعله كثير من الرجال. إنه نوع من الجبن الذي يضع علاقته مع الله ومع زوجته في أزمة.

أستطيع أن أتخيل ما قالته حواء لآدم بعد أن ترك الله مسرح الجريمة، لعلها قالت له «فيما كنت تفكر؟ متى ستبدأ في القيام ببعض المسئوليات هنا؟» ربما فكرت أنها كالأم التي لديها طفل صغير – قبل أن تنجب قايين وهابيل. أظن أنه في الليلة الأولى بعد طردهما من الجنة، قضى آدم ليلته خارج الخيمة! لعلها لم تقدم له الدعوة ليقضي معها هذه الليلة، وأنا أشك أن آدم حاول ذلك. في ذات الوقت، عندما واجهت الحية، لم تذهب إلى آدم طالبة الإرشاد أو الحماية، لكنها فعلت ما أرادت، وقادت زوجها ليسير معها في ذات الاتجاه. هذه أمور لن تتغير أبدًا!

إلا أن حالة الضعف التي كان عليها آدم ظهرت عندما أراد أن يبرر نفسه فإذا به يوجِّه اللوم لله الذي من البداية وضع «هٰذه المرأة» في الجنة.

دون أن يعلق الله على كلام آدم «كأنه يقول لآدم أنك تمزح» التفت إلى حواء وسألها «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» (تك ٣ :١٣) بالرغم من أن حواء شاركت في عصيان الله، إلا أنها أرادت أن تخلي مسئوليتها وتوجه اللوم إلى الحية. لم يجبها الله على التو بأي كلمة. لكن عندما تحدث إليها بعد ذلك وجه لها العقاب بطريقة مباشرة.

إن التفاعل بين الله وهذين الزوجين يوضح بصورة واضحة كيف أن القلب المخادع للإنسان منذ البداية، جعل آدم وحواء يضعا مبررات، ويبعدا عنهما اللوم. كلا القلبين سارا على النقيض من النظام الذي رتبه الله، وكما علق چون هارتلي في تفسيره لسفر التكوين وقال» كانت المرأة تعمل بانسجام مع الرجل، ولم تكن تعمل بمفردها، وهذا واضح من استخدام ضمير الجمع في الحديث (كانت تتحدث عنهما معًا.... نأكل) بل واستخدام الحية ضمير المثنى في حديثها إلى المرأة (تأكلا). لهذا فالمشهد يوضح أن المرأة لم تحاول أن تؤثر على الرجل ليأكل، لكنهما كانا في اتفاق تام»[٧]. وهكذا كما قلت من قبل لقد رفض آدم أن يأخذ دور القيادة في عدم مقاومته للشيطان واستماعه لحواء. عندما اتبع تعليماتها، أبعد نفسه من تحت سلطان الله ووضع نفسه تحت وصاية زوجته. (سأشرح هذا الأمر فيما بعد) أعتقد أن الرجال لديهم مسئولية أكبر في علاقات الزواج الروحية، الجنسية والاجتماعية.

نعـود الآن مـرة أخرى إلى قصة سفـر التكوين، لقد تجاهـل الله رد فعل كل من آدم وحواء واتجه مباشرة إلى الحية، واوقع عليها العقاب دون أن يسألها ويعطيها الفرصة للدفـاع أو الحديث. «قَالَ الرَّبُّ الإِلــهُ لِلْحَيَّةِ: « لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِـمِ.....» (تك ٣ :١٤) إن اللعنة عكس البركـة. والبركة التي كانت في جنة عدن، لن تتكرر مرة أخرى دون تدخل الله في الفداء.

علـق بعضـ المفسريـن أن الله لعـن الحيـة والأرضـ (تـك ٣ :١٤، ١٧). إلا أن هذه الكلمـات لـم تستخدم مباشرة ضد آدم وحواء. لكن العقـاب والدينونة الموجهة إلى كل مـن الرجل والمرأة كانت على صـورة ألم، يتعلق بـاستمرارية الحيـاة: من إنجاب أولاد، والحصـول على طعـام. (فيما بعد سندرك أن هذا العقـاب، كان له غرض طويل المدى يتعلـق بمجـد الله، لكنني سأتخطى هذا الأمر الآن). كان عقاب المرأة هو الألم في الحمل وفي الولادة. أما بـالنسبة للرجل فعليه أن يكد ويتعب لكي يعول نفسه وأسرته.

لـم يتغيـر أي شيء منذ تلك اللحظة إلى يومنا هـذا، فمحاولاتنا لاستقرار واستمرار الحيـاة يجعلنـا نتـألم – سواء ألم جسدي أو عاطفي – فـالحياة معرَّضة دائمًا للإحباط والاضمحـلال ، ففي مجـال الجنس نجد (العري والخجل)، وفـي مجال العلاقات، نجد (وجـود القيـادة – غيـاب القيـادة)، وعندما نحـاول أن نجـد للحياة معنـى أو إشباع نكتشـف أن هنـاك مـا ينغص علينا هذا الأمـر فـالأرض تنتج لنا شـوكًا وحسكًا، والأم بـالوجع تلد أبنـائها، وفي النهاية تنتهي الحياة بهذا الأمر المفزع ألا وهو الموت.

إن تدخـل الله مـن خلال الفداء، هـو الرجاء الوحيد، إن كنـا نريد أن لا نكون «الرجل الغائـب» الذي ترك مسئوليته القيادية التي وضعـه فيها الله. إن عمل نعمة الله يدعونا لكي نعيش وفقا لخطة الله. الرجل المؤمن الذي اختبر فداء الله له، يسلك في ضوء كلمة الله، وليس من خلال حكمتـه الشخصية. إنـه الرجل الذي يتحمـل مسئولياته ويكافح لأجـل تسديد احتيـاجـات الآخرين ولا ينشغل بملذاته الشخصيـة. فلا ترى فيه زوجته والآخـرون ذلك الرجل الأنـاني، لكـن الرجل المحب المضحي المرشد. هـو الشخص الذي يصمد في الأزمات، لا في مجال العمل فحسب بل فـي العلاقات الروحية والزوجية. إنه ليس بـالرجـل الضعيف لكنه حازم، وهكذا يعمل طبقًا لما منحه الله من قدرات طبيعية ليحمي ويأخذ المبادرة اجتماعيًا بل وفي مجال الجنس أيضًا. هذا هو الرجل الذي تجد زوجته راحتها وأمانها في قوته.

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. فـي أي مجال مـن مجالات حياتك تشعر بالإحبـاط؟ هل تشعر أنك مثل طفل؟ هل أنتِ تشعرين أنكِ أم؟

٢. هـل تتفـق أم لا تتفق مـع الفكرة بأن أهم ما تريـده من علاقتك مع زوجتك هو الاحترام، والعلاقات الهادفة؟

٣. فـي علاقاتـك ودورك القيـادي، فـي أي مجـال تشعر انـك «الرجل الغائب»؟

٤. هـل تتجنب الصراعات، وتفشل في أن تأخذ المبادرة، في علاقاتك الجنسية، الاجتماعية، والروحية؟

الفصل السابع

المرأة المتصلبة

إن القلق والهم الذي أعيش فيه
يدل على أنه ليس هناك إلا مدرسة المسيح
التي تستطيع أن تهيئني لخدمة أعظم
إذ تعلمني درسًا كبيرًا في التواضع(1)

في مقابلتي وجهًا لوجه مع چيم وكاري، توقف چيم عن سرد قصته عندما أخذ رشفة من زجاجة الماء التي في حوزته. للحظة ساورتني بعض الشكوك أنه قد لا يكمل حديثه، لذلك شجعته على الاستمرار بأن أومأت له برأسي وابتسمت.

أكمل چيم حديثه وقال: «داومت على تصفح هذه المجلات، وعندما وصلت للمرحلة الثانوية اشتريت بعضًا منها لي شخصيًا، عندئذ بدأت أشعر بميولي الجنسية ولم أستطع أن أشبعها، ولم أجد أمامي سوى ممارسة العادة السرية عندما كنت أنظر إلى هذه الصور الإباحية».

«عندما ذهبت إلى الجامعة، كان هناك الكثير من الصور بل والأفلام الإباحية، لكن لم يكن هناك أحد يهتم بها، فكنت أنظر إليها عندما أشعر بميل لذلك. في بداية المرحلة الجامعية، كانت لي علاقة جادة مع صديقة، وكنا نمارس معًا الجنس، لذلك لم أعد ألجأ للصور أو الأفلام كثيرًا، كان هذا قبل أن أتقابل مع كاري...» وهنا توقف چيم عن الحديث ونظر مرة أخرى إلى زوجته التي كانت تمسح عينيها، لكنها لم تنظر إليه.

«أنهيت علاقتي بهذه الفتاة، ثم تقابلت مع كاري بعد عدة سنوات. كانت لنا علاقة جسدية، من قبلات إلى ممارسة الجنس بالفم. أثناء فترة مقابلاتنا، لم أكن مهتمًا بالصور والأفلام الإباحية، وظننت أن هذه المشكلة ستنتهي تمامًا بعد زواجنا. كنت دائمًا أريد الامتناع عن هذا الأمر، وصليت طالبًا من الله أن يساعدني، وتعهدت كثيرًا

أن أقلـع عنــه. فـي الواقع لا أعـرف عدد المرات التي قـررت فيهـا أن أتخلص من هذه المجلات وألقيتها.

«كان الحال يسير على ما يرام لفترة، ثم أجد نفسي أثناء رحلة عمل منساقًا وراء شهواتـي فـأشتري المجلات الجنسية، أو أشاهد الأفـلام الإباحية بـالفندق. وهكذا أعود مـرة أخـرى إلى عـاداتي القديمة، وكنت أشعر بـالأسف من هذا.» وبينمـا كـان چيم يقول هـذه الكلمــات، التفـت إليَّ أولاً، ثم نظر إلــى كـاري، ولمرة آخرى لـم تبادله أي اهتمام. كـانـت هـنـاك بعضـ اللحظات من الصمت المربك. ابتسمت وشربـت قليلاً من المـاء، ثم بدأ چيم يكمل قصته.

«أنــا أدرك تمـامًـا أن الضــرر الذي أصـابني أنــا وكاري هو الأمر الثانــي.... فبعدما شاهـدت كاري الكمبيوتـر الشخصي الخاص بي، وكـان عليــه بعض المواقع الإباحية، واعترفـت لهـا بهذا الأمر، لكني لم أخبرهـا بـ.....» وهنـا بدأ وجه چيم في الشحوب، ونظر مرة أخرى إلى كـاري، التي انفجرت في البكـاء. كانت عينيها حمراء، ومدت يدهـا لتأخذ بعض المنـاديـل الورقية. أكمل چيم حديثه بصوت خـافت، كنت أسمعه بصعوبة بـالغة: «نعـم لقد فقدت أعصـابهـا، ولا أستطيع أن ألومها، عندمــا اكتشفت الرسائل التي كنت أرسلها إلى بعض السيدات بل والمحادثات التي كانت تدور بيننا في غرف الدردشة».

قـررت أن أتدخـل برقة وقلـت: «أشكرك يا چيم لأنـك وضحت الصـورة أمامي» ثم نظـرت إلــى كـاري وقلت: «كـاري .. لقد استمعت إلى چيــم وهو يكشف عن مدى خيانته لك، كيف أثَّر ذلك عليك؟»

قـالـت كـاري بصـوت متهـدج: «أنا مـازلت لا أستطيـع أن أصدق هـذا! لا أستطيع أن أتخيل أن هذا هو الرجل الذي تزوجته، ووثقت فيه كل هذه السنين! لقد كان أبًا صـالحًـا، كنــا نخدم معًا في مدارس الأحد، وفي مجـالات أخرى، والآن هكذا وصل بنـا الحـال! أنـا محبطة» وأخيرا نظرت إلى چيم، وكـان وجهها عـابسًا، ونظراتها الحـادة تقول لن اسمح لك أن تجرحني مرة أخرى!

▬ ▬ ▬ ▬

لقـد جُرحت كاري بعمـق بسبب خيانة زوجهـا، وانهارت ثقتها فيــه. لعلها كانت تتسـاءل بينهـا وبين نفسها كيف ستكـون هنـاك علاقة حميمة معه مـرة أخرى فيما

بعد، بل وربما ما هو أسوأ من هذا ، كيف تواجه الآن القسوة التي تولدت في قلبها تجاهه.

قبل أن ابدأ في هذا الفصل الذي يتحدث عن الجنس في حياة المرأة، والذي أريد أن يقرأه كل رجل، لدي سؤال أود أن أجيب عليه «لماذا وأنا رجل أكتب عن هذا الأمر؟»

بعد عملي في هذا المجال سنوات عديدة، لدي عدة أسباب. أكثر من نصف من تقابلت معهم في مجال المشورة من السيدات سواء كن متزوجات أم لا... ربات بيوت أو عاملات ... من الطبقة الراقية أو المتوسطة .... حاصلات على درجة الدكتوراه أو أي شهادات أخرى، كان الكثير منهن يعانين من إساءات جنسية سابقة. والبعض لم يتعرض لهذا الأمر. كان أغلبهن أمينات مع أزواجهن، والقليل لم يكُنَّ أمينات. وتقريبًا جميعهن كن يعانين من مشاكل في العلاقات وفي الحياة الجنسية، وكثيرات يصارعن في حياتهن الروحية.

لذلك فكثير من السيدات اللاتي تقابلت معهم كن يعانين من إيذاءات بالغة من الرجال. أصابني ما يفعله بعض الرجال بالنساء بحزن عميق وبغضب بل وبإحراج. فالرجال قد يتصرفون بغباء وقد لا يفكرون إلا في أنفسهم، وقد تكون تصرفاتهم ظالمة، وتتعارض مع كلمة الله.

لا أنسى الغضب الذي شعرت به منذ عدة سنوات، بينما كنت أقوم بخدمة المشورة في مدينة نيويورك، عندما جاءتني إحدى السيدات بمشكلة خطيرة في حياتها الزوجية، وقالت لي أنها عندما لجأت إلى راعي كنيستها طالبة المشورة، استغل معاناتها وأغواها. كان راعيًا مشهورًا في تلك المدينة. ليرحمنا الرب في هذه الأيام. لكني موقن أن لله النقمة.

لكن الشيء الآخر الذي يغضبني هو أنه عندما «لا يفهم أو لا يستوعب» الرجال فإن الدمار يتضاعف ويؤثر في الأجيال القادمة.

بدأت خدمة المشورة ولدي قناعة داخلية أن المرأة، حتى بالرغم من سقوطها، لكنها تتمتع بفهم كتابي لدور الرجولة الناضجة. فهي تستطيع أن تميز الزوج التقي

الناضج، وترسخ لدي هذا المفهوم أكثر خلال السنوات التي عملت فيها في مجال المشورة. بناء على هذا الافتراض بدأت في عملي كمشير، فساعدت فتاة في السادسة عشر من عمرها، كانت في علاقة جنسية مع أبيها، وقد بدأت هذه العلاقة منذ أن كانت في السادسة من عمرها. بعد عدة سنوات ساعدت فتاة أخرى كانت في السادسة والعشرين من عمرها، وكانت تعمل في بارات العراة، وقالت لي أنها منذ أن كانت في فترة المراهقة، وهي تعمل في هذا المجال، وكانت تغوي كل رجل تقابلت معه، وكانت هي أيضًا تُغوى. كان رد فعلي تجاه هاتين السيدتين بل ومع كل من لجأ إليَّ طالبًا العون، سوف أفعل أي أمر في استطاعتي، وبقدر ما يعطيني الله من إمكانات، لكي أوضح ما هي الذكورة الناضجة التقية، وأي شيء أقل من هذا المقياس غير مقبول، وسوف يحاسبني الله على هذا.

أريد أيضًا أن أقول الصدق، لا من خلال اعتدادي بذاتي، لكن واضعًا نفسي في خدمة الجميع. ولا متحدثًا بسلطاني، لكن مدافعًا عن سلطان المسيح في حياة المرأة. ولا أتجرأ وأقول إني أفضل من أي شخص أو معصوم من مثل هذه الخطايا.

نحن نفترض، وأظن أن هذا صحيحًا، أن المرأة تستطيع أن تظهر تعاطفًا وفهمًا واستعدادًا للمعونة تجاه امرأة أخرى. ونظرًا لفشل كثير من الأزواج والآباء للقيام بهذا الدور، أصبح من الصعب أحيانًا على المرأة أن تثق أن الرجل يستطيع أن يقدم العون والراحة لها. ومع ذلك لا تستطيع أي امرأة أن تقدم لامرأة أخرى الحب والعطاء المتميز الذي يقدمه رجل قوي ناضج على مستوى المسئولية. فأنا أدرك أن المرأة تفهم المرأة بطريقة أفضل، وهكذا أيضًا بالنسبة للرجال فالرجل يفهم الرجل بطريقة أفضل. إلا أنني أؤمن أن الله عندما رسم صورة للرجل التقي، كان في ذهنه أن مثل هذا الرجل يكون قادرًا على أن يعطي المرأة موارد لا تستطيع أن تنالها من علاقتها بامرأة أخرى. وإن أخفق الرجل في تحقيق هذا في بعض الأحيان، فهذا هذا ليس معناه أننا ينبغي أن نغض النظر عن الدور القيادي الرائع للرجل.

من الواضح أن المرأة لديها الكثير الذي تستطيع أن تقدمه للرجل، وكذلك الرجل لديه الكثير الذي يستطيع أن يقدمه للمرأة. إن لم تكن هذه حقيقة، فهذا معناه أننا نفترض أن الله لم يكن يعرف ماذا كان يفعل عندما خلق الإنسان وربط الرجل والمرأة معًا في علاقة زوجية. اعتز بأني رجل متقدم في العمر يكتب هذه الكلمات، لكن هذا

ليس معناه أنـي وصلت إلى قمة النضوج، إلا أنني اجتـزت في طريق النمو واختبرت بعض التغيرات منذ شبابي، مثل أن أكون أكثر اهتمامًا بالآخر، وأكثر احترامًا وتقديرًا له. أصلي أن أنمو كل يوم إلى أن ينطبق عليَّ القول «أَنْ يَكُونَ الأَشْيَاخُ صَاحِينَ، ذَوِي وَقَارٍ، مُتَعَقِّلِيـنَ، أَصِحَّاءَ فِي الإِيمَـانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالصَّبْرِ». (تي ٢ :٢). لذلـك أتمنى أن أتعامل مع السيدات المسنات كما لو أني أتعامل مع أمي، ومع السيدات الأصغر كما لو أنهم بناتي أو أخواتي.

لكـن أقـول أخيرًا، أنني لـم أكتب هذا الفصل بمفـردي، فهناك امـرأة تتمتع بجمال الأنوثة الصادقة التي من عند الله، شاركتني كل كلمة كتبتها، امرأة أحبها وأقدرها من أعمـاق قلبـي. إنها روز ماري زوجتي، صديقتي الحميمة، حبـي، والمعينة التي قدمها لـي الله. بدون وجودها في حياتـي، ما كان لهذا الكتاب بل ولكل خدمتي التي امتدت لحوالـي أربعيـن عامًا وجود. فمـن خلالها أستطيع أن أرى عمـق الحكمة التي أعطاها الله للمـرأة. فـي خلال أربعين عامًا من الزواج، استطعـت أن أكتسب خبرة متنامية عن كيف أن الله في حكمته الأزلية خلق الرجل والمرأة متساويين، لكنهما مختلفان بطريقة مدهشـة. أرى المسـاواة، لكني أرى أيضًا الاختلاف، عندمـا يعيشا معًا طبقًا لإرادة الله ولمجده.

الله هو الذي صمم خصائص المرأة.

«فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ».
(تك ١ :٢٧).

نحتـاج أن نركـز علـى ما وضعـه الله من خصائصـص للأنوثة، فالله هـو الذي خلق الجنس فـي المرأة، وهي ليسـت أقل جنسيًا من الرجل. الله هو الـذي صمم جسد ونفس المـرأة لتكوِّن مع الرجـل جسدًا واحدًا. كل الأعصـاب والمستقبلات العصبية هـي عطية من الله للاستمتاع بالعلاقة الحميمة.

الرجال الناضجون ينبغي أن يحزنوا من أجل ما يرونه حولهم من دمار جنسي، أو اختـلال الوظائف الجنسيـة، أو العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج، لأن هذه الأفعال تشـوه صـورة الله في المرأة. علينا أن نصلـي وكلنا شوق أن نرى الفـداء الجنسي، وقد لمس أخواتنا، زوجاتنا، بناتنا، وأصدقائنا.

إذا نظرنـا إلـى المرأة بصورة أشمل مـن مجرد العلاقة الجنسيـة، نستطيع أن نرى بصـورة أوضـح الصفات المتميزة للمرأة والتي تقدم لنـا صورة أوضح لما صممه الله. فـالمرأة تستطيع أن تـحبل بـأولاد، وتتمم وصية الرب «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ». وتتمتـع المـرأة بقـدرة فـائقـة في تغذيـة وتربية الطفـل، الأمر الذي يتجلـى في معنى الأمومـة. إضافة إلى هذا، فعندمـا نركز على مجد الله، يتملكنـا إحساس داخلي يساعدنا أن نسير طبقًا لمشيئة الله.

كل مـا فـي المرأة (وأيضًـا الرجل) يعبر عن صورة الله. الخطيـة دنست بل وشوهت هذه الصورة، لكن صورة الله مـازالت موجودة[٢]. هل الأنوثة هي جزء من هذه الصورة؟ بـالطبع. وهكذا أيضًـا الذكورة. فـالله ليس بذكر أو أنثى أو الاثنين. كتب چون بيبر، واين جروديم عن ما قـاله الكتـاب المقدس عن الذكورة، والأنوثة «عندما نقول أن عيوننـا هي صـورة الله، تذكـر أننا لا نقـول أن الله له عينـان، لكن نقـول أن عيوننـا تصور صفة من صفــات الله، وعلـى ذات المثـال، حياتنـا الجنسية تصور صفـات وقدرات الله»[٣]. عندما نتصور الله ذكرًا أو أنثى، فنحن نشوه طبيعته الإلهية.

نحـن لا نستطيـع أن نستوعـب بصورة كاملة، صـورة الله التي تتضمـن كل ما في المـرأة أو الرجـل أو كل مـا هو إنسانـي. لهذا أعتقـد أن جسد المرأة المؤمنـة ينبغي أن يعـزز إدراكنا لجمالها الذي لا يذبـل، وأن إيمـانها يُظهر صورة الله، ويُظهر للنـاس روح الوداعة والهدوء الأنثوي، الأمور التي في نظر الله لا تقدَّر بثمن.(١ بط ٣ :٤). لكن هنـاك أمـر آخر، فـالأنوثـة الأصيلة تُظهر الجـرأة والشفـافية! وهنـا نرى المـرأة التي لا تخـاف «مـن أي تهديـد» (١ بـط ٣ :٦) إن هذه ليست امـرأة نقوم نحن بتشكيلهـا، لكنها المرأة التقية، التي تسير وفق كلمة الله، عـاملة الصلاح، وواثقة في الله.

تريد أن تكون مكرمة (معززة)

مـا هي رغبة المرأة؟ اسأل هذا السؤال لأي امرأة، سواء كـانت متزوجة أم لا، وسيكون الـرد واحدًا. سواء كـانت امرأة اجتمـاعية، أو امـرأة ليس لها علاقـات اجتمـاعية نـاجحة، سيكون الرد بلا استثنـاء «أريد أن أكون مكرمة (معززة)».

الإكـرام كلمـة تصـف رغبـة قلـب المرأة. قـد تستطيـع أن تجـد معنـى للكلمة في القـاموس، لكن قد يخفى عليك معنـاهـا الأنثوي الشخصي. فـالمرأة لا تحتـاج أن يُعرِّف

لهـا أحـد معنى هذه الكلمة. فهي تدرك في قلبها ما معنـى أن تكون مكرمـة، بل وتدرك هل تنال هذا الإكرام أم لا. لتتجنب المرأة الألم الذي يصيبها من جراء عدم إشباع هذه الرغبـة ، قـد تلجأ إلى بعض الأمور التي تخـدر إحساسها... هذه الرغبة تنبع من القلب، وتجعل المرأة تبحث عن النبع الذي لا ينضب، والذي يسمح لها بأن تعيش، سواء كانت متزوجة أم لا، وهي تُظهر للعالم من حولها جمالاً لا يذبل.

أن تكـون مكرمًـا هذا أمر يتعلق بالقلب، فنحن نتحـدث من عقولنا، لكن ما نختزنه فـي قلوبنا يحدد محتوى حديثنـا « فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ. اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِـنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْـبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيـرُ مِنَ الْكَنْزِ الشِّرِّيرِ يُخْـرِجُ الشُّرُورَ». (مـت ١٢ :٣٤ – ٣٥) وعندما يكـرم الرجل المرأة، عندئـذ تدرك أن الرجل وضعها بإعزاز في فكره، وبلغة أخرى تكون هي الشخص الوحيد الذي في فكره. إن قلب الرجل هو مخزن للأفكار المسرة والصالحة عن زوجته.

هكذا كانت امرأة حزقيال، يصفها الكتاب أنها كانت «بهجة عينيه» (حز١٦:٢٤). تخيلـي.. أنـك بهجـة عيني زوجـك، تخيلي أيضًـا أن كل من في المجتمـع يدركون أنك مصدر بهجة وسرور لزوجك.

هـذا ليس معنـاه أن تكوني جذابة جنسيًـا أو جميلة شكلاً، فالتركيـز الأساسي في يومنـا بالنسبة لكثير مـن السيدات (وأيضًا الرجال)، على المظهـر الخارجي ... لكن أن تبدين جميلة أو جاذبة للأنظار لا يقدم لك كل ما تحتاجيه. إن نظرة الرجل الشهوانية التي تتغذى من خلال القلب الشرير، ومحاولة المرأة لأن تكون مغرية، كل هذه الأمور، تحط من قيمة المرأة ولا تجعلها مكرمة.

فالمـرأة التي تتحلـى بالوداعة والتواضع تظهر جمالاً لا يذبـل. فالجمال الأنثوي موجود في كل امرأة لأنها خُلقت على صورة الله، والجمال الحقيقي لا يقود أي شخص إلـى الخطيـة. ينبغي على الرجال أن يلاحظوا إبداع الله فـي خلقه للمرأة، في أنوثتها ، وفي جمالها الطبيعي، وفي تقواها.

مـن القصص التي كسرت قلبي، قصـة لوري، تلك الشابة التي فـي العشرينات من عمرهـا، ولم تكن موضع مسـرة عيني زوجها أبدًا. بل بالعكس شجعها لكي ما تتجرد

من ملابسها أمام الرجال حتى يراهم وهم يحدقون النظر فيها. لقد بدَّل امتياز وبهجة العلاقة الحميمة مع زوجته إلى الانغماس في شهوات وقتية، كاذبة وخسيسة. إن هذا الرجل كان لديه قلبًا مدججًا بالشرور بدلاً من أن يكون له قلب صالح (مت ١٢ :٣٥).

ضعف المرأة

يعتبر التدليل سمة من سمات الضعف لدى المرأة، لذلك لا نجده كثيرًا في هذه الأيام. البعض يرى أن هذا موروث قديم لا يناسب العصر... بل اعتبر البعض أن تدريب السيدات البالغات للشابات أن يكن معززات ومدللات من خلال ما قاله الكتاب «أن يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لأزواجِهِنَّ .... مُتَعَقِّلاَتٍ، عَفِيفَاتٍ، مهتمات بشؤون بُيُوتِهِنَّ، صَالِحَاتٍ، خَاضِعَاتٍ لأزواجِهِنَّ، حتى لاَ يتكلم أحد بالسوء عَلَى كَلِمَةِ اللهِ». (تي٢: ٤–٥)هو نوع من القمع. بدلاً من ذلك نجد أن هناك تيارًا يشجع المرأة أن تحيا حياة الاستقلالية، ولا تنتظر من الرجل أي تدليل أو إعزاز تعبيرًا عن المساومة. الرسالة الواضحة هنا «اهتمي بنفسك، لأنه في الأغلب لن يهتم بك أحد».

أعتقد أن الله يفرح عندما نضع ثقتنا فيه من خلال اعتمادنا الكلي عليه. نعم إنه يريد أن يرانا في حالة احتياج، أولاً لشخصه، ثم لبعضنا البعض في إطار خطته وأهدافه.

نحن لا نمانع أن نعلن عن طلباتنا، لكننا نرفض مجرد فكرة أن نكون محتاجين. هناك مفهوم سلبي فيه صُوِّرت المرأة أنها مخلوقة ضعيفة بائسة ولا تستحق الشفقة. كثير من السيدات يرفضن أن يروا أنفسهن في موقع الاحتياج، خصوصًا الاحتياج للرجل. فالمرأة التي تعتمد على ذاتها تكون مقدَّرة، واستقلاليتها تُعتبر فضيلة. حقيقة أنها تستطيع أن تكون مستقلة ومعتمدة على نفسها علامة من علامات الأنوثة الحقيقية.

إلا أن الرغبة مازالت موجودة، ولا يمكن تجنبها، الرغبة الموروثة الدفينة تقود إلى اتجاه واحد، وهو الحاجة إلى العلاقات، خصوصًا علاقة العهد مع الرجل.

بلا شك أن وجود الرغبة أمر حيوي لكنه محفوف بالمخاطر، وإذا لم تجد المرأة ما يشبع رغباتها، تبدأ في سلوك طريق بديل. فقد تركز على الأولاد أو قد تنفق ببذخ في المشتريات، أو تأكل بنهم، أو تندمج في قراءة الروايات الغرامية. فمنذ اللحظة

الأولـى التي تبدأ فيها الفتـاة ملاحظة الفتى يتولد لديها نوع من التوتر الداخلي. تزداد مخاوفهـا عندما تكتشـف أنها هـي الفتاة الوحيدة التي لم تذهـب إلى احتفال التخرج (البـروم) فـي المدرسة. ثم يتطـور الأمر إلى الأسـوأ في مراحل الدراسـة المتقدمة في الجامعـة، عندمـا ترى من معها قد ارتبطن في خطوبة أو زواج. وهنا ينتقل خوفها من إحساسها بـالاحتياج وتقبل أي شخص يسدد احتياجها ولو سطحيًا.

قد يتطور الأمر معها فتبدأ في مواعدة أحد الشباب لتسدد الاحتياج. إن هذه الشهوة متأصلة في الفتاة مصحوبة بالشعور بعدم الأمان، وهكذا يبدأ الصراع الداخلي ويكون محوره هذا السؤال «هل سأجد أبدًا شخصًا يحبني ويهتم بي؟»

يصبـح الفـداء الجنسـي حقيقـة، عندما يبحـث الجمال الـذي لا يذبل عـن الإعزاز والتدليـل في إطـار إرادة الله النقية. وهكذا تصبح لرغبات المـرأة جمالها الخاص لأن الله هو الذي خلقها فيها.

من الذي يسود؟

نختلـف كرجال ونساء نعيش تحت سلطان الخطية في تعبيرنا عن مفهوم القيادة. مـن خـلال الطبيعـة الفاسدة التـي ورثنـاها عن آدم، يكـون تعبير الرجـل وهـو الصمت والإصغاء لما تقوله الزوجة، بدلاً من استماعه إلى الله ، وبالتالي لا يكون قائدًا حاسمًا.

أمـا تعبيـر المـرأة عن رغبتهـا فيدور حـول التحكم فـي مقاليد الأمـور من خلال تطلعها إلى السلطة. لقد تحولت من خضوعها لسلطان الله، إلى خضوع لسلطان العدو، إذ أرادت أن تتمتـع بسلطـة أكبـر لتكـون كالله، وباحثة عـن سلطة أكبـر أيضًا لتتمتع بالحكمـة (تـك٣: ٦) ثم تجاهلت سلطان الله وقادت زوجها إلـى ذات الأمر. إن تحدي سلطان الله هو أساس كل معصية وكل خطية.

نستطيـع أن نرصـد أعراض الخطايا الجنسية والخطايا فـي العلاقات لدى المرأة مـن خلال تركيزها على جسدها ومظهرهـا، تخليّها عن الحشمة، عدم ميولها الجنسية في الزواج، تحكمها في العلاقات، اعتناقها بعض الأفكار عن الأنوثة وعدم الأمانة[٤].

تضمَّـن عقـاب الله للمرأة في (تـك ٣ :١٦) ألمًا جسديًا في الـولادة، بل وفي علاقة

الـزواج «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِيـنَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ». يأتي الألـم نتيجة لصراعها مع زوجها وتسلطه عليها، نستطيع أن نـرى الألم الناتج عـن العلاقات من خلال محورين: فهناك كثيـر من المفسرين ربطوا بين كلمة الاشتياق «الشهوة» في (تك ٣ :١٦)، وبين ذات الكلمة في (تك ٤ :٧) «وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَـةٌ، وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا». وبلغة أخرى، الخطيـة تشتـاق أن تسود على كل واحد فينـا، وغالبًا تفعل ذلك من خلال خداع قلوبنا أو عنادهـا أو كبريائها. فالتجربة تنبع من الداخل، من أهوائنا الشريرة، بل وأيضًا من عوامـل خارجية. لذلك فالعلاقة التي تنشأ من تصفحك للإنترنت، هي أولاً تجربة من الداخل، تتحول إلى تجربة خارجية. كثير من النـاس ليس لديهم مشاكل من أن يجلسوا منفرديـن طويـلاً أمام جهـاز الكمبيوتر وهم على شبكـة الإنترنت، ويـدون أي برامج تحجـب المواقع الخليعة ولن يقعوا في أي تجربـة. على الجانب الآخر كثير من النـاس لا يستطيعون المقاومة. التفسير هنـا ليس هو إدمان أو مرض متأصل في بعض الأسر، لكنه رغبة داخلية للشعور بالشبع والاكتفاء.

كمـا أن الخطيـة تريد أن تسود علينا، هكذا المرأة تريـد أن تسود على زوجها. حول موضـوع مـن يتسيّد في نطاق الحيـاة الزوجية، هنـاك نساء يـردن أن يتسيدن بطريقة مستتـرة، وأخريات بطريقـة واضحة. بعض النساء ينكـرن أنوثتهن ويعشن في خنوع للرجـل، لكـن البعض الآخر يبدو عليهن أنهن سلبيات لكنهن في واقع الأمر مسيطرات، ويحصلن على ما يردن بكل الوسائل والحيل.

أنـت تسود من جانـب، ومن الجانب الآخـر تخضع ظاهريًا (لكنك تريـد أن تسود). كلا الأمريـن مـن نتـاج الخطية. هذا الصـراع يؤثر في الحب، الجنس، وفي كل جوانب العلاقـات الأخرى. وهكذا كيفية تنـاول الزوجان موضوع القيـادة والخضوع في هذا العالـم الساقـط سوف يظهر فـي علاقاتهما وحياتهمـا الجنسية. فاشتيـاق المرأة إلى زوجهـا، مثـل اشتياق الخطية أن تتحكم في حياتنا (تـك ٤ :٧). لاحظوا معي أن عقاب الله ليس بسبب رغبة المرأة في أن تبنـي علاقة مع زوجها ورغبة في ممارسة الجنس معـه، فكلا الأمريـن كانا موجودين قبل السقوط وكانا من ضمـن الأمور التي وصفها الله بأنهـا حسنـة. لكـن جزء من عقـاب الله للإنسـان نتيجة السقـوط أن يسود الرجل علـى المـرأة. (لاحظ أن هذا أمـر مختلف عن خطة الله التي رسمها فـي أن يكون الرجل هـو القائـد ورأس للمرأة). قد يأخـذ التحكم شكلين، أولاً: أننا نملـي ما نريد ونتوقع أن

الشخص الآخر يتجاوب. الأمر الثاني هو أن نتحكم في ألمنا أو شعورنا بالرفض عندما يخذلنا الآخرون ولا ينفذوا رغباتنا.

كخطاة، كل منا شخص مسيطر ولكن بطريقته الخاصة. يأخذ التحكم في ظل العلاقات التي نتجت عن السقوط أبعادًا معقدة ومتشابكة. فغالبًا نجد أن الشخص المسيطر يشعر بأن الشخص السلبي يتحكم فيه (التحكم الخفي)، ويشعر الشخص السلبي أن الشخص المسيطر يتحكم فيه، وبرغم ذلك فهو يمسك بزمام أموره الخاصة. بلغة أخرى كل شخص سواء كان مسيطرًا أو سلبيًا يتحكم ويُحكم فيه. قد يختار الزوج أن يكون «جبانًا»، لكنه يستمر متمسكًا بزمام الأمور في مجال العلاقات، أو قد يكون دكتاتورًا مسيطرًا. أما من جهة العلاقات الجنسية فذلك الشخص الذي نسميه جبانًا، في محاولته ليظهر بمظهر المتحكم قد يصاب بالعجز الجنسي أو قد يفقد الرغبة في ممارسة الجنس. قد تتحكم المرأة بأن تكون خانعة، وفي ذات الوقت لا يحصل الرجل على ما يريده جنسيًا أو في مجال العلاقات، ونتيجة لذلك يتولد لديها إحساس أنها أداة لإشباع رغبات زوجها الجنسية. من الجانب الآخر قد تبدو وكأنها امرأة متوجة تعتلي عرشًا، لكنها أيضًا لا تحصل على ما تريد، وهكذا تفقد الرغبة في ممارسة الجنس، أو تشعر أنها قوية من خلال مفاتنها الجنسية. في كلا الأمرين، التحكم في العلاقات سلبًا أو إيجابًا يعد كابوسًا مزعجًا.

وجدت أن ما تريده كل امرأة تحدثت معها في جلسات المشورة هو علاقات بناءة مشبعة مع زوجها. أعتقد أن هذا ما تريده كل السيدات، بمن فيهم زوجتي، حتى لو كان الزوج من «النوع الجبان». لكن عندما تحاولين أن تجعلي زوجك يتجاوب بإيجابية، في المجال الاجتماعي، الجنسي والروحي، ما الذي تحصلين عليه في المقابل؟ هو مازال المتحكم! فهو يقرر إن كان على استعداد للتجاوب أم لا. فإن كان لا يريد، فلن يتجاوب، ويصمت وينسحب. ربما يكون أسهل عليك أن تحركي جبلاً من أن تقنعي زوجك الرافض. على النقيض من هذا فالزوج التقي الناضج، سيتجاوب بتفهم متممًا قول الكتاب: «**سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الْفِطْنَةِ مَعَ الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ كَالأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً**» (١بط ٣ :٧). إلا أن الحقيقة ستستمر، فالرجل السلبي «الجبان» سواء في مجال العلاقات الاجتماعية أو في مجال العلاقات الجنسية، سينسحب وستتحكم المرأة في كل القرارات. بالرغم من ذلك لن تحصل المرأة على كل ما تتمناه، لكنها تستمر في التحكم وتحرك الأمور في الاتجاه الذي تريده. الرجل بصورة عامة لا يحب أن يشعر أنه

من خلال سلبيته يكون تحت السيطرة، لكن في واقع الأمر، عندما يرفض ويثبط شهوتها الأنثوية، هو يتحكم بقوة عندما يقول لنفسه «لن تنالي أي شيء مني أيتها المرأة!».

إن الرغبة في التحكم تعمل من خلال مستويين متضاربين: الأول، يهتم بمن سيدير الحياة الزوجية، وهذا يتعلق بالقيادة أو كونه هو رأس البيت. أما الأمر الثاني يتعلق بحصولك على ما تريد في مجال العلاقات. إذا تناولت الأمر الأول بطريقة سيئة ، فالأمر الثاني بالتأكيد سيتأثر. بلغة أخرى، عندما تحاول المرأة أن تحصل على ما تريد، يظهر فيها عنصر التحكم بقوة، وكرد فعل، يتراجع الرجل، ويقل دوره القيادي. بالتالي سيتأثر دوره الرجولي وتُفقد العلاقة التي تريدها المرأة، والنتيجة أنها تشعر أنها أداة جنسية عندما تمارس الجنس مع زوجها.

لدينا اعتقاد أن الشخص المتحكم هو ذلك الشخص الصريح، الذي يعبر عن نفسه، أو الديكتاتور أو الذي يحب المواجهة. إلا أن كثير من الأشخاص المتحكمين يتمتعون بهدوء وتبدو عليهم علامات التواضع بل والسلبية. تعلمت هذا الأمر وأنا في الجامعة، عندما لاحظ أستاذ علم النفس أني لا أنطق بكلمة واحدة في المجموعات الصغيرة. وكأستاذ لعلم النفس كنت أتوقع منه أن يفهمني ويتعاطف معي عندما شرحت له أني أشعر بالتهديد والخوف من باقي أعضاء المجموعة لأن ليس لديَّ ما أستطيع أن أشارك به. كان رد فعله يبدو وكأنه غير حساس وغير منطقي عندما قال «أنت تفوق أقرانك!» كان يقصد أني أتحكم في المجموعة، الأمر الذي لم أكن مقتنعًا به ولم يلفت اهتمامي. في الأسبوع التالي، جلست في وسط المجموعة بهدوء بدون أن انطق كلمة واحدة، لكني ترددت في أذنيَّ ذات العبارة «أنت تفوق أقرانك!»، ثم لاحظت أن الجميع ينظرون إليَّ قبل وبعد كل مشاركة من أعضاء المجموعة. كانوا يريدون أن يقرأوا رد فعلي. أخذت هذه العبارة تراودني كثيرًا «أنا أفوق أقراني» كنت متحكمًا في ديناميكية المجموعة بل وفي فعاليتها. محاولة إشباع علاقاتك من خلال السيطرة على شخص آخر أمر خطير يشبه الكابوس. منذ عدة سنوات قدمت المشورة لراع إحدى الكنائس الصغيرة الذي كان يتقاضى مرتبًا تافهًا. كان هذا الشخص أكبر «جبان» رأيته في حياتي. كما ذكرت أنه كلما كان الرجل جبانًا كلما تحكمت الزوجة في كل الأمور. أقر ذلك الرجل أنه يتجنب اتخاذ القرارات في حياتهما الزوجية. كانت زوجته شخصية متسلطة، من أكثر النساء المتسلطات اللاتي رأيتهم في حياتي. أقرت الزوجة أنها قررت أن تتزوج بأضعف رجل حتى لا يتسلط عليها أبدًا. لقد نالت ما أرادته بحماقة،

لكنها فقدت علاقتهما الجنسية بل وعلاقتهما معًا. لم تطلب منه أي نوع من المودة والعلاقة الحميمة، الأمر الذي جعله يبحث عن شبعه من مصادر أخرى. فاستدان لينفق في السر أكثر من خمسين ألف دولار على العاهرات.

كل المحاولات لكي نتحكم في خطايا العلاقات الجنسية قد تؤدي إلى ألم بل وتشويش أكثر. إن العلاقات الجنسية المشبعة لا تأتي إلا عندما يخضع الزوج والزوجة إلى النظام الذي وضعه الله ويكون هدفهما هو مجده.

يا للحماقة، فالنساء يلمن الرجال، والرجال يلومون النساء. لكن الحقيقة أن الله من خلال عدله وإحسانه معًا، يسمح لنا أن نختبر الألم من خلال خبرات الحياة اليومية. ففي فجر التاريخ، عندما تمرد آدم وحواء على سلطة الله، في محاولة لتحسين حياتهم، كانت نتيجة عصيانهم هو الوقوع تحت دينونة الله لكل منهما من خلال الألم والإحباط. إلى يومنا هذا نحن نحاول أن نتجنب حقيقة دينونة الله، ونختار طريقًا مختلفًا لنتعامل مع متغيرات الحياة. إن كبرياءنا يقودنا في محاولات أن نتحكم في كل الظروف الصعبة بمجهوداتنا الشخصية. هذا نوع من الحماقة فيه نحاول أن نستبدل سلطان الله. كتب أوزوالد تشامبرز في كتابه (My Utmost for His Highest)وقال: «إن طبيعة الخطية ليست هي الزنا أو فعل الشر، لكن طبيعتها تكمن في النظر إلى الذات التي تقودنا لكي نقول (أنا إله نفسي)»[٥]

الحقيقة التي لا نستطيع أن نتجنبها

لا يمكن أن نهرب من حقيقة السقوط، فالسقوط حقيقة مؤكدة في علاقاتنا سواء كانت جنسية أو اجتماعية، تمامًا مثل الارتباك الذي نختبره نتيجة لاحتياجاتنا العاطفي الشديد وما يستتبعه من شعور بالخزي.

بصفة عامة، عندما ينتهي شهر العسل تتبدد كل التأكيدات والتوقعات عن السعادة الناتجة من العلاقات، في طريق لا نهاية له من الخسارة والمكسب... فالقلب يدرك أن العلاقات هي مصدر للشبع، لكنه يصاب بإحباط في محاولاته لتحقيق هذا الشبع الدائم . هذه هي حياتك. هذه هي حياتي. هذه هي حياة كل شخص.إن هذه الحقيقة المحبطة هي نتيجة انفصالنا عن الله وعدم السماح له بأن يتغلغل في حياتنا. تمتد هذه الحقيقة لتشمل أمور أكثر من مجرد العلاقات. فقد تشعر بالشبع إن كان لديك

عمل مريح ومشبع، مستقبل مهني ناجح، قدر كاف من المال للوفاء بالالتزامات. لكن تحت كل هذه الأمور دوامات تستطيع أن تشدنا بسرعة أسرع من سرعتنا في السباحة، وحتى وإن تجنبنا الفشل المادي «مَنْ يُحِبُّ الْفِضَّةَ لاَ يَشْبَعُ مِنَ الْفِضَّةِ، وَمَنْ يُحِبُّ الثَّرْوَةَ لاَ يَشْبَعُ مِنْ دَخْل. هذَا أَيْضًا بَاطِلٌ». (جا٥: ١٠) قد نصاب بالإحباط. إن الطريق الحقيقي للشبع هو أن نتوقف عن الحياة بطريقتنا ونبدأ الحياة بطريقة الله.

لعل البعض قد يتفق معي أنه هناك صراع خفي لما يسميه البعض «شعور المرأة بأنوثتها». ففي الظل، نجد أن المرأة تحولت من تدليل أكثر وعلاقة جنسية أقل إلى علاقة جنسية أكثر بدون تدليل ... فاعتزاز الشخص بجسده يجعل من عدم الاحتشام لذة محرمة. ويستبدل الرغبة المتأصلة للتدليل والإعزاز إلى رغبة في الاهتمام بالجنس، وهكذا وجدنا الجنس في كل مكان غير مناسب. المشكلة هي أن الرغبة الطبيعية تحولت إلى رغبة شريرة، بالنسبة للرجل من خلال نظراته الشهوانية، أما بالنسبة للمرأة ففي رغبتها أن تكون مغرية جنسيًا للرجل. فالرغبة قد تتحكم فيك أو قد تتحكم أنت فيها (راجع يع ١: ١٤-١٥) الرغبة في جذب الانتباه، قد تقودك إلى محاولة إشباعها من امرأة أخرى.

الخطورة هنا أن يتحول الميل الطبيعي للتدليل أو الإعزاز إلى علاقة مشوهة لجذب انتباه الرجل، سواء عاطفيًا أو جسديًا. من خلال هذا الخداع تحاول المرأة أن تحتفظ لنفسها بصورة نقية أمام الجميع لكنها تخفي وراءها نزوات أو علاقات جنسية غير سليمة. أحيانًا بالرغم من عدم الأمانة، إلا أن رغبة المرأة في أن يظل مظهرها الخارجي نقيًا يجعلها تقول بإصرار «لم أفعل هذا من قبل، لست أنا تلك المرأة».

أتت إليَّ امرأة مؤمنة لها أولاد متزوجين، استمرت في علاقة مع زميل لها في العمل لمدة سنتين وقالت لي: «لا أعرف ما الذي حدث لي، أنا أمقت الخيانة».

إن الفداء الجنسي يبدأ عندما يُظهر الله لنا خداع قلوبنا. وما يحدث بعد هذا الإعلان هو تغيير حقيقي لمجد الله.

الفداء الجنسي هو الأمل بالنسبة لنا! لكن قبل أن نحصل على هذا الفداء علينا أن ندرك حقيقة أخرى.

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. هل شعرت بالإعزاز؟ هل تعتقدين أن هذا الإعزاز مشبعا؟

٢. عندما تشعرين أن زوجكِ لا يهتم بك الاهتمام الكافي، ما هو رد فعلك؟

٣. عندما تشعرين بالإهمال: هل تذهبين للتسوق وتنفقي الكثير من المال، أم أنك تتناولين طعامًا أكثر، لتملئي الفراغ؟ هل تبحثين عن اهتمام من رجل آخر وتبررين لنفسك عدم الاحتشام، أو المغازلة أو الإشباع الجنسي من خلال الإنترنت أو مواعدة شخص آخر؟

٤. كما أشار چون بيبر في أكثر من مكان وفي أوقات متعددة «إن الله يتمجد فينا أكثر عندما نشبع منه أكثر» إن لب مشكلة القلب البشري ليست هي أن رغباتنا قوية، لكن على العكس أنها ضعيفة! هل ترى ضعف رغباتك وهل أنت على استعداد أن تحيا حياة أكثر شبعًا؟

الفصل الثامن

المشكلة الحقيقية

أحمل بين ضلوعي قلب شرير

وأدرك أنه بدونك لا أستطيع أن أفعل شيئًا

وكل شيء أهتم به

حتى وإن بدا غير ضار

قد يقودني إلى الخطية أو الضلال

إذا لم تحفظني قوتك[1]

أثناء مقابلتي الأولى مع كاري وچيم، روت كاري الجانب الذي يخصها من القصة. فبشاعة خطية چيم والدمار الذي سببه لزوجته، جعل آلامها محسوسة في الغرفة.

سألت كاري «هل تريدين أن تقولي شيئًا آخر، ما هي مشاعرك الأخرى تجاه كل هذا؟»

«أنا غاضبة جدًا، لا أعلم من الذي يجب أن أخبره بهذا الأمر، ومن الذي لا يجب أن أتحدث إليه. إنه أمر محرج. نعم نحن في غاية الخجل، لقد كان معروفًا عنا أن علاقتنا كزوجين من أفضل العلاقات في كنيستنا! كنت أرى أنه من الواجب عليَّ أن أذهب إلى راعي كنيستنا وأسأله هل يجب أن أطرد چيم، وفعلاً ذهبت وأنت تعرف! أنا لا أستطيع أن أصلي أو أنام، وبالكاد أتناول طعامي. ماذا أقول لأولادي؟ إنهم ليسوا معنا في البيت الآن، لكنني أتحدث إليهم كل بضعة أيام. أولادي يدركون أن هناك أمر غير طبيعي في البيت، لذلك أخبرتهم بما حدث. أما ابنتي سوزان، فلقد جن جنونها وقالت لي أنه ينبغي أن أطلقه لأنه كذب عليَّ كل هذه السنوات، وبدأت تصرخ في التليفون، كان أمرًا فظيعًا»

توقفت كاري عن الحديث لتأخذ رشفة من الماء، ثم أكملت حديثها وقالت: «أنا أكره هذا الوضع يا دكتور شومبرج. أشعر بالمهانة. لا أدري إن كنت أريد أن أستمر في هذا الزواج، ولا أعلم كيف يمكنني أن أثق فيه مرة أخرى».

توقفت لبرهة ويكت، كانت ترتجف. قالت: «لماذا كان ينظر إلي هذه المناظر المقززة، بالرغم من أني كنت على استعداد تام لألبي كل رغباته الجنسية؟ لا أستطيع أن أدخل في منافسة مع كل هذا! لكن المشكلة أنه لا يريد أن يلمسني! ما هو الشيء المنفر فيَّ. عندما كنا نمارس الجنس معًا، كان يبدو وكأنه ليس معي. كان يحاول دائمًا أن يناورني ويقترح عليَّ بعض الأمور. الآن أدركت ما الذي كان يحدث! كان يفكر في المناظر الإباحية. أنا أكره ما كان يفكر فيه. لماذا لم يستطع أن يحبني؟ أنا لا أستطيع أن أستوعب هذا! لا أريده أن يلمسني مرة أخرى، لا أريد أن أكون هنا . هل أريد أن أظل متزوجة به؟ لا أدرى...»

تسمر جيم في كرسيه، وتسمرت عيناه، كانت تعبيراته جامدة، لكنني شعرت أنه ممتلئ بمشاعر الغضب والخجل معًا، ولم يتفوه بكلمة.

▬ ▬ ▬ ▬

لم أشاهد من قبل أفلام رعب، فلا أجد تسليتي في مشاهدة الأفلام المرعبة التي تجعلني أنهض فجأة من على مقعدي. لكن أقول أن قلب الإنسان الذي يمتلئ بالخداع هو أكثر رعبًا.

ما سمعته من خلال القصص الكثيرة ، مثل قصة كاري وجيم، عن رعب الخطايا الجنسية، والخيانة والدمار الجنسي من الممكن أن يملأ عشرات الكتب. إلا أن كثرة استماعي إلى الجانب المظلم للعلاقات الجنسية، ودراستي المستمرة لكلمة الله، جعلتني أؤمن أكثر بفسادنا الداخلي الأمر الذي جعلني أتمسك أكثر بنعمة الله غير المشروطة، وبره.

وجدت من خلال تعاملي مع الخطايا الجنسية، أن إدمان مشاهدة الأفلام الإباحية تمثل المشكلة السائدة بين أغلب أصحاب تلك المشاكل. أما المشكلة الثانية المنتشرة هي الزنا سواء كان مع شخص آخر أو حتى مع شريك غير موجود فعليًا والذي سميته «الجنس الغيبي». تأتي بعد ذلك قائمة طويلة من الأمور التي تتم في السر مثل الدعارة، الرقص الخليع ذو المدلولات الجنسية، الشذوذ الجنسي، التحرش الجنسي بالأطفال، التدليك الجنسي، ..... عبر السنين رأيت، الخطايا الجنسية السرية الشنيعة والبذيئة في حياة كثير من الرعاة والمرسلين وأعضاء الكنائس. أنا أدرك هذا؛ إنه لا يوجد تدريب حتى لو وصل إلى أعلى مستوى كمستوى الدكتوراه، أو شهادة مهنية راقية تستطيع أن

تؤهلك للتعامل مع هذا الكم المفزع من الخطايا في حياة الناس. إن كل هذه الخطايا لها مصدر واحد هو القلب.

مشكلة القلب

ليس بإمكاننا أن نقلل حجم ما يدور فينا أو نغض النظر عنه أو نتجاهله، فعندما نفعل ذلك فنحن نرى فقط ما تسببه الخطية من ألم ودمار. عندئذ نبدأ في البحث عن الكتب التي قد تساعدنا في تغيير ظروفنا الصعبة، .وننخدع بهذه الوسائل محاولين أن نصلح من أنفسنا ومن الآخرين سطحيًا وننسى أنه «مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شِرِّيرَةٌ: قَتْلٌ، زِنىً، فِسْقٌ، سِرْقَةٌ، شَهَادَةُ زُورٍ، تَجْدِيفٌ. هذِهِ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ». (مت١٥: ١٩-٢٠).

يعلن بعض الوعاظ والكُتّاب المشهورين أن المؤمن يتمتع بقلب صالح بسبب مركزه في المسيح. وينسب البعض الآخر الخطايا في حياة أي شخص إلى عمل الشيطان، وهكذا يتجنبوا الحديث عن القلب غير النقي ويختاروا أن يتعاملوا مع المشاكل الأسرية، الصدمات الشخصية، لوم الآخرين، المجتمع المدمن، الوحدة، عدم الشعور بالقيمة، الخجل، الشعور بالذنب، الحاجة الإنسانية، على أنها مشاكل قائمة بذاتها. اختلف سينكلار فيرجيسون عن هؤلاء جميعًا عندما قال: «تحدث الرب يسوع عن الزنا، وكان واضحًا من حديثه أنه كان يقصد كل أنواع الخطايا الجنسية. ركز على أن أساس هذه الخطايا يكمن في القلب. فالرجل الذي ينظر إلى امرأة ليشتهيها قد زنى بها في قلبه».[٢]

إن الذي في داخل الإنسان أسوأ بكثير من كل كلماته أو تصرفاته. ففي الواقع، أنت لا تستطيع أن تصف ما يدور داخل قلبي وقلبك. وإن استطعنا أن نرى بعضنا بعضًا على هذا المستوى، سيتملكنا الرعب والفزع. يا لها من نعمة عجيبة أن يصل الله إلى أمثال هؤلاء.

الخطية ليست مجرد نوع من «الحماقة» أو كما يعتقد البعض أنها نوع من «النزوات البريئة». غالبًا نحن لا نفهم مدى خطورة الخطية فهمًا كاملاً، فهي أكبر من مجرد شعور الشريك بالألم نتيجة خطأ شريكه. فالخطايا موجهة أساسًا إلى الله وفيها إهانة له، وكل أشكال عدم الأمانة الزوجية هي موجهة أولاً ضد الله ثم إلى الشريك. «إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ». (مز ٥١ :٤).

وصف الرب يسوع الخطاة بأنهم «فَاعِلِي الإِثْمِ» (مت ٧ :٢٣). فاعلي الخطايا الجنسية يكسرون الناموس، فهي ليست خطية عقابها مثل «غرامة السرعة» في طريق الحياة، لكن على العكس إنها مثل سرقة تحت تهديد السلاح. إنها جريمة خطيرة تُنظر أمام محكمة السماء. لا توجد عدم أمانة من الدرجة الثالثة، أو زنا من الدرجة الثانية. هناك فقط درجة واحدة من الخطايا الجنسية التي تُرتكب في حق الله، والعقاب المطلوب طبقًا للقانون هو الموت.

قد يقول أحدكم: «هاري... هذا أمر مخجل، هل كل حياتنا عبارة عن رحلة ممتلئة بالذنوب، أنت رجل خطير!». لقد قيل لي في مناسبات عديدة أن بعض المشيرين قالوا لشخص لجأ إليَّ طالبًا المشورة «لا تذهب إلى دكتور شومبرج، لا تقرأ كتاب (المودة الزائفة)، لأنه شخص خطير. فهو يعتقد أن هناك أمرًا خطأ في هؤلاء الذين يرتكبون خطايا جنسية».

نعم أنا أؤمن بهذا! وأعتقد بشدة أن هناك شيئًا مدمرًا في داخلي، وفي داخل كل شخص من حولي. ما أريد أن أقوله هو أن لا تقلل من حجم الخطية، خصوصًا الخطايا الجنسية. كتب سينكلار فيرجيسون وقال: «إن الشهوة التي تقود الإنسان إلى الزنا، ستقوده أيضًا إلى الجحيم. من الأفضل أن تتعامل مع الشهوة الآن – أن تنكر ذاتك هنا– عن أن تعيش في عذاب أبدي. لقد تحدث يسوع عن ما هو أبعد من مجرد عدم اقتراف بعض الخطايا الجنسية، فتحدث عن ناموس الله الذي يتطلب النقاء والاستقامة في قلوبنا وأفكارنا تجاه الآخرين. أصبحت العلاقات الجنسية الباب الذي يعبر منه كثير من المسيحيين الأسميين إلى هلاكهم الأبدي».[٣]

لا يوجد شخص يستطيع أن يفتخر؛ فأي صلاح فينا هو ثمر عمل الله في قلوبنا، فقبل أن تتعامل معنا نعمة الله كانت قلوبنا كلها من نوعية واحدة بل ولها ميول واحدة «لأَنَّنَا كُنَّا نَحْنُ أَيْضًا قَبْلاً أَغْبِيَاءَ، غَيْرَ طَائِعِينَ، ضَالِّينَ، مُسْتَعْبَدِينَ لِشَهَوَاتٍ وَلَذَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، عَائِشِينَ فِي الْخُبْثِ وَالْحَسَدِ، مَمْقُوتِينَ، مُبْغِضِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا». (تي٣: ٣)

إن لم نقع في الخطايا الجنسية، نحن معرضون أن نعتبر أنفسنا طاهرين. فنحن ننظر إلى الخطايا الجنسية في الآخرين، بمن فيهم الشريك ونسأل أسئلة استنكارية ونقول: «كيف استطعت أن تفعل هذا؟»، «فيما كنت تفكر؟» هذه بعض الأسئلة التي يسألها الشخص الذي لم يدرك بشاعة قلبه الشرير.

بدون الإدراك الصحيح والعميق لمفهوم النعمة والخطية، لن نكون جاهزين للتعامل مع الطبيعة الفظيعة للخطايا الجنسية ومدى الخراب الذي تحدثه العلاقات الجنسية من حولنا. إن فساد القلب والخطية الموروثة التي ولدنا بها حقيقة واقعة. عندما نقتنع بحالتنا، عندئذ سنتضع أمام الرب يسوع المسيح «الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً». (١كو ١ :٣٠). بمجرد أن نتحد بالمسيح ندرك أنه لا نستطيع أن نثق في «برنا» لكننا نتكل اتكالاً كليًا على «البر الآتي من الإيمان بالمسيح. البر الذي من عند الله على أساس الإيمان» (في ٣ :٩). من الجانب العملي، إن هذا البر الذي زُرع فينا ، سيصبح أساسًا للبر الذي سنكتسبه..... أولاً لأننا مدانون، أعطانا الرب يسوع البر الذي به نصير أبرارًا في الحال. هكذا نستطيع أن نقف أمام الله لا كمذنبين بل كأبرار. هذا هو البر القضائي. ثانيًا: لأننا بطبيعتنا نحيا في عبودية للخطايا الجنسية، فالروح القدس يعمل في حياتنا لينقي أفكارنا وتصرفاتنا. هذا هو البر المكتسب. إن كنا نتمسك بهذا العمل الرائع للنعمة، ستتغير قلوبنا ولا نستطيع أن نعيش مستمرين في الخطية. إن مثل هؤلاء المؤمنين ليسوا كاملين لكنك تستطيع أن تميزهم «مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ». (مت ٧ :١٦).

ما هي الخطية؟

يستخدم الكتاب المقدس عبارات متعددة ليصف الخطية. الخطية هي عدم إيمان، عصيان، انحراف، والخيط المشترك الذي يميز الخطية هو الفشل في إتمام ناموس الله. الخطية ليست مجرد عدم سلوكنا وفق مطالب الله، الأمر الذي يشمل أفكارنا الداخلية ودوافعنا. لكن الخطية تشمل الأفعال والدوافع، بل وأيضًا ميولنا وحالتنا الداخلية.

بعد أن تعاملت مع العديد من الخطايا الجنسية في حياة الكثيرين، أفضل هذا التعريف للخطية: الخطية هي فشلي في أن يكون الله هو السيد. في النهاية الخطية تنتج عندما نضع أنفسنا وشهواتنا في مكانة قبل الله.

إن أولى الوصايا العشر هي أن يكون الله أولاً. في العهد الجديد أكد الرب يسوع على هذه الوصية. «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى». (مر ١٢ :٣٠). لهذا السبب فعبادة الأصنام أساس كل خطية. فإن كنا نريد أن نفعل إرادتنا، فنحن نبحث عن ما يرضينا قبل أن نبحث عن ما يرضي الله. فنحن نطلب أولاً ما يشبع رغباتنا، بل قد ينتهي الأمر بنا أن نهتم بالأمور

الروحية أكثر من اهتمامنا بالله وبتحقيق إرادته. وينتهي بما الأمر أن نضع قيمنا في مكانة أعلى من الله ذاته. النتيجة هي أن «الله» لن يكون «السيد» في قلوبنا، ولن يكون هدفي هو مجد «الله» بل مجدي «الشخصي».

ما الذي يقود إلى الخطية وما هي مسبباتها؟ علينا أن نجيب على هذا السؤال بدقة متناهية لأنه يؤثر بطريقة مباشرة على كيفية التخلص من الخطية. عليك أن تنتبه أن هناك من يتبنى «نظرية العلاج» فينظر إلى الخطية كأنها مشكلة نفسية، قد تسببها بعض الجروح أو قد تكون أعراض لها. مثل هذه النظرية الفاسدة، هي مشكلة في حد ذاتها، لأنها تدمر تقدير الإنسان لذاته. مع هذا فإن كان سبب الخطية هو الشر والفساد، فالخلاص من الخطية ليس تكنيكًا سطحيًا يؤدي إلى تغيير في السلوك مثل التخلص من الشعور بالغضب تجاه الوالدين أو غض النظر عن ما يثير الشهوة داخلك.

إن السبب الرئيسي للخطية هو القلب الشرير، فنحن وُلدنا فاسدين روحيًا، بل وأموات. «وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا .... نَحْنُ أَيْضًا جَمِيعًا تَصَرَّفْنَا قَبْلاً بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ الْجَسَدِ وَالأَفْكَارِ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضًا». (أف ٢: ١، ٣). نحتاج إلى طبيعة جديدة وقلب جديد. إن استخدامك شاكوشًا صغيرًا في محاولة لهدم الصخور بدلاً من استخدام مثقابًا كهربائيًا ضخمًا، هو مثل محاولتك لتغيير السلوك كعلاج للخطية، فالأمر يحتاج إلى قوة علوية مغيرة، والفداء الجنسي هو جزء من هذا التغيير.

النعمة والأعمال

فجّر التحذير في العهد الجديد بخصوص الخطايا الجنسية، سؤالاً غاية في الأهمية. ففي هذا السياق قال چون بيبر: «كيف نتمتع بالأمان في الرب يسوع، عندما يطلب منا تغييرًا حقيقيًا في القلب وسلوكًا مستقيمًا؟»[٤] أنا أتفق تمامًا مع كلمات بيبر، حتى ولو كان هذا يمثل رأي الأقلية. «فكّر في إحساسنا بالأمان – في الضمان الذي لنا بأننا سندخل إلى ملكوت الله في شكله النهائي في نهاية الأزمنة – مؤسسين هذا أساسًا على مركزنا الذي نلناه من خلال رحمة الله العظيمة، بل وأيضًا على «إظهار» سلوكنا الذي يوضح أننا في هذا المركز».[٥] مضى بيبر في حديثه ليوضح معنى كلمة «إظهار» فقال:

ما أقصده بكلمة «إظهار» أن طريقة سلوكنا توضح مركزنا، لا تخلق مركزنا. فالله وضح أن هذا المركز نناله بالإيمان فقط، لكنه أيضًا رسم أن من يتأهل لهذا المركز عليه أن يظهره للعالم، هذا هو البر الذي يزيد على بر الكتبة والفريسيين، وهو أمر حتمي لا اختياري.[1]

كيف نطبق هذا على النظرة التي سماها الرب يسوع (النظرة الشهوانية)؟ قدم لنا أيضًا بيبر توضيحًا رائعًا وأنا أتفق تمامًا مع خبرته في هذا الأمر. قال:

لقد تعلمت مرة ومرات أن هناك كثير من المؤمنين لديهم انطباع على أن الخلاص ينفصل تمامًا عن الحياة العملية. هذا يقلل بل ويلغي تحذيرات الكتاب المقدس، ويضع الشخص الخاطئ الذي يدَّعي أنه أصبح مؤمنًا بعيدًا جدًا عن تطبيق تلك التحذيرات الكتابية. أعتقد أن هذه الفكرة عن الحياة المسيحية قد تريح الآلاف الذين يسلكون في الطريق الواسع الذي يؤدي إلى الهلاك (مت ٧ :١٣). قال الرب يسوع إن لم تقاوم الشهوة، لن تذهب إلى السماء. فالقديسون لا ينجحون دائمًا، لكن التحدي الذي أمامنا هنا هو أن نجاهد، لا أن ننجح على الدوام.[2]

ألا يخالف هذا الكلام التفكير والتعليم الذي نراه في أيامنا هذه؟ قد يقول الكثيرون من خلال أسلوب حياتهم: «إن كنت أمتلك النعمة وحب الله غير المشروط، لا ينبغي أن أجاهد كثيرًا في طريق الطاعة والطهارة». كان لاري راعيًا، وكان يتصفح كثيرًا المواقع الإباحية. شعرت زوجته بالإحباط عندما اكتشفت أنه يتصفح تلك المواقع. في أثناء المشورة قال لاري: «أنا أعلم أن هذا خطأ، وأدرك أن هذا يضايق سيندي، وأريد أن أتوقف، لكن الله يحبني في كل الأحوال». نعم أنه يحبك! لكن الله يحزن من هذا بل ويطلب الطاعة من أولاده. التحريض واضح «فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ». (كو٣: ١) بل قد «مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ». (كو٣: ٣) لذلك «أَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ، الأُمُورَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ». (كو٣: ٥-٦) وَأَمَّا الآنَ «فَاطْرَحُوا عَنْكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا الْكُلَّ: الْغَضَبَ، السَّخَطَ، الْخُبْثَ، التَّجْدِيفَ، الْكَلاَمَ الْقَبِيحَ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ». (كو٣: ٨). وإن كان يجب علينا أن «نطرح» الكثير، إلا أن هناك أمورًا أكثر جدا علينا أن «نلبسها» (انظر كو ٣ :١٢-١٧).

إن كنا قد خلصنا بالنعمة، لماذا نهتم كثيرًا بالطهارة بما فيها الطهارة الجنسية؟ إنه ليس سؤالاً جديدًا، ولقد رد عليه چون كلفن وقال: «ما أعلنه الله لنا من خلال رحمته، قد يعتبره البعض فرصة لعمل أي شيء، بينما البعض الآخر يتقهقر وهو يقف كسولاً، لا يجاهد، لكن ما يعمله هو أن يتأمل في ما تعنيه عبارة «جدة الحياة». فالإعلان عن نعمة الله يحمل دائمًا معه التحريض على القداسة في الحياة».[٨]

يخرج من القلب المنقسم رغبات ينبغي أن يتحكم فيها الإنسان أو يرفضها تمامًا. إذا كانت طبيعتنا الساقطة تقودنا إلى مصير حتمي هو جهنم، لذلك يجب أن نكون أكثر حزمًا في التعامل مع الخطية النشطة في حياتنا. دعونا نفهم بعمق عن الخطية من خلال ما تحدث به تشارلس سبرچن في عام ١٨٨٣، وكان يعظ من (١يو ٣ :٨) «مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ فَهُوَ مِنْ إِبْلِيسَ، لأَنَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْبَدْءِ يُخْطِئُ. لأَجْلِ هذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ». أشار سبرچن إلى أن أعمال إبليس هي وصف للخطية وأشار يوحنا إلى أن الرب يسوع أتى ليهدم هذه الأعمال– أي الخطية. أحيانًا نحاول أن نتجنب أن نفكر في أن خطايانا فاسدة جدًا في نظر الله، لدرجة أنها تُوصف كلها على أنها «أعمال إبليس». بدلاً من أن نتجنب هذا الوصف المرعب، دعونا نفهمه كما قاله سبرچن: «آه لو أن الإنسان يستطيع أن يرى سم الثعبان الذي يغطي خطاياه المحببة، وسم الحية وهو يغطي شهواته اللذيذة، ودخان الجحيم وهم يخيم على فكره المتكبر، فبلا شك سوف يشمئز من ما يتلذذ ويفرح به الآن. إن كانت الخطية تربطنا الآن بالشيطان نفسه، دعونا نهرب منها كما نهرب من أسد جائع مفترس. إن تعبير (الحظية هي أعمال إبليس) هو تعبير مصيري. يا ليت هذا الفهم يتعمق داخل قلوبنا، الأمر الذي يجعلنا نخاف من الخطية».[٩]

يقول الرب يسوع في (مت ٥ :٢٩–٣٠): «فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ». ويكتب چون بيبر معلقًا على هذا الجزء ويقول: «عندما يتعلق الأمر بتعاملنا مع فساد الشهوة الجنسية في داخلنا، فإن الرب يسوع يطالبنا بأن نستخدم كل الوسائل في هزيمتها لأن أنفسنا في خطر».[١٠]

قبول النعمة

إن كنـا نؤمن بتعليم الرب يسوع عن قلوبنا، عندئذ سنفتح قلوبنا أمام عمل النعمة بتصميم علـى التوبة. فالنعمة هي الأمل في التغيير الحقيقي. فكل شخص يعاني من مشاكل بسبب الخطايا الجنسية يجد صعوبة شديدة في الإقلاع عنها، وعندما يحاول عشرات المرات ولا ينجح فعندئذ يُصاب بالإحباط. إن زوجة هذا الرجل الذي لا يستطيع أن يقلـع عن مشاهدة الأفـلام الإباحية إما أنها تصاب باليأس أو أنها قد هجرت هذا الزواج منذ زمن حتى وإن كانا يعيشان معًا في بيت واحد. أنا مقتنع أنه بدون نعمة الله سيكون التغيير الحقيقي مستحيلاً. أولاً.. ينبغي أن نرى الخطية على حقيقتها، ثم نفتح قلوبنا لله ليكشف لنا عن نعمته العجيبة. لقد رأيت هذا في عيون بل وسمعته من مئات الأزواج. إن مأسـاة الخيانة مؤلمة حقًا، وتترك حـالات الخيانة الزوجية صاحبها في حالـة من الخجل ورثاء النفس. إلا أن مثل هذه الخبرات لن تقود صاحبها إلى التبكيت والتوبـة عن الخطية. كتب أزوالد تشامبـرز: «إن التبكيت على الخطية أمر من النادر أن يحدث لأي شخص. وإن حدث فهو بداية لفهم الله».[١١]

إن التبكيت هو حزن روحي عميق على الخطية. إنه ليس مجرد خجل أو اشمئزاز من أن تُضبط وأنت تفعل الخطية. فالتبكيت الحقيقي مؤسس على اقتناع تام بشرنا، وبأن الله يملـك كل الحـق أن يضعنا تحت طائلة غضبـه. إن التبكيت هو اقتناع كامل بالحق المعلن في كلمة الله، واقتناع تام بنجاستنا وبقداسة الله.

عندمـا نـرى مجد الله نتضع ونضع رؤوسنا في التـراب. فمن المستحيل على القلب الطبيعي الفاسـد أن يصل إلى مرحلـة التبكيت التي تقود إلى التوبـة عن الخطية. لكن الذي يحرك هذا القلب هو نعمة ورحمة الله لا ذواتنا. فنحن فاسدون جدًا لدرجة أننا لا نريد أن نتغير. من خلال ما تقدمه كلمة الله من تعليم نستطيع أن ندرك أنه في جهادنا مـع الخطية نحن نحتـاج إلى عمل الله لنقتنع وتستنير قلوبنـا حتى ما يتجاوب القلب المخـدوع.[١٢] التبكيـت الحقيقي مؤشر علـى أن الله يعمل، وأمام هـذا الندم يتدخل الله بقوته ليحدث تغيرًا حقيقيًا– تغييرًا في القلب.

فـي العهد الجديـد تُستخـدم عبـارة «نعمـة الله» لتصـف مـا أعطاه الله لنـا بدون استحقـاق. فالنعمـة هي محبة الله لنا نحن الخطاة الذيـن لا نستحق، الممتلئة قلوبنا بالشـر والمكـر، لكن الله فـي نعمته يعمل في هـذه القلوب ويستطيع مـن خلال فاعلية

الروح القدس أن يغيرها. فالنعمة ليست ساكنة، لكنها تخترق الظلمات لتتمم إرادة الله وتعلن مجده. نعم فهناك الكثير من عمل الله لا نستطيع أن نراه.

إن نعمة الله التي لا نستحقها التي ظهرت في المسيح يسوع امتدت لتشمل كل الناس بغض النظر عمَّا فعلوه. إنها تشمل تلك الجدة المهذبة الرائعة، كما إنها تشمل العاهرة بمنظرها الوقح. إنها تشمل الزوج الذي يحيا حياة طاهرة مع زوجته والزوج الذي يغوي مئات السيدات ليشبع رغباته الجنسية. تشمل الأب المحب المضحي وأيضًا الأب الأناني الذي قد يقيم علاقات جنسية حتى مع بناته، تشمل المرأة التي تتمتع بالجمال الذي لا يذبل والمرأة غير المحتشمة التي تريد أن تلفت الأنظار إلى جسدها، تشمل الزوجين اللذين يتمتعان بألفة صادقة في حياتهما الزوجية من خلالها يمجدون الله، والزوجين اللذين من خلال حماقتهما يعيشان في الضياع بمودتهما الكاذبة، تشمل زوجين احتفظا بعذريتهما حتى ليلة الزفاف، وشخصين يعيشان معًا بدون زواج ولا يريدان أن يعيشا في نقاء جنسي.

إن نعمة الله تقدم فداء لكل من دُعي. (انظر ٢ تس ٢ :١٣–١٤؛ ٢تي ١: ٩–١٠). إنها تزرع فينا البر الذي ليس منا ولا نستطيع أن نناله بمجهودنا. إن النعمة تدفعنا لا من خلال اشمئزازنا من أنفسنا أو احتقارنا لأنفسنا أو للآخرين، لكنها تحضرنا إلى مكان لا نستطيع فيه أن نحتمل الشر في ذواتنا «لأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ، لِجَمِيعِ النَّاسِ، مُعَلِّمَةً إِيَّانَا نُنْكِرَ (أَنْ نقول لا) الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ». (تي ٢ :١١–١٢). إن المجتمع الذي نعيش فيه يقول أنك لا تستطيع: «مجرد أن تقول لا» للإدمان الجنسي، إن المشكلة بالنسبة لفهمهم هو ما تعنيه عبارة «مجرد أن تقول لا». المؤمن الحقيقي لا يقول: «لا» بمفرده، لكن نعمة الله التي تقف من خلفه تقول أيضًا: «لا!» إن معرفة نعمة الله تكمن في هذه الكلمة «لا» من خلال الإيمان بقوة عمل الله وبغرض تمجيده. إن المؤمن الحقيقي لديه دائمًا قوة متجددة يواجه بها مشكلة قلبه الشرير. إن نعمة الله هي التي تكسر ظهر الشهوات الجنسية غير المنضبطة، وهي الدواء الوحيد المضاد للخطايا الجنسية.

إن الحقيقة الكتابية المفتاحية في هذا الفصل هو أن الخطية الأصلية التي تتوغل في قلب الإنسان تجعلنا غير قادرين على طاعة الله (انظر ١كو ٢ :١٤–١٥) . إن الإحباط الذي يتملكنا ونحن نحاول أن نتغير هو أن القلب والذهن يقفا عائقًا أمام

التغيير. الخطية هي عبودية لا توجد وسيلة بشرية قادرة على أن تحرر الإنسان منها. أمام الفكر الذي يعتقد أن الإنسان حر ومستقل ألا تجعلنا هذه الحقائق نتضع. علينا أن ندرك أن هذا الفساد جعل من المستحيل أن نؤمن بالحق الكتابي من ذواتنا. أثناء قراءتك لهذا الفصل، قد تشعر بالإحباط وخيبة الأمل، لكن الخبر السار الذي أريد أن أقدمه لك هو أن «الْمَسِيحَ، إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ، مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ» وأن «اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا». (رو ٥ :٦-٨).

بسبب عمل المسيح الفريد نحن نتمتع الآن «بقدر من الحرية»[١٣]. علمنا الرب يسوع «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ». إن رجاؤنا هو في «إِنْ حَرَّرَكُمْ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا». (يو ٨ :٣٤، ٣٦). علينا أولا أن نفهم العبودية حتى نستطيع أن نفهم الحرية. الحرية الحقيقية هي أن نخدم الله وأن نتمم مشيئته – الأمر الذي لا نستطيع أن نتممه دون نعمة الله. إلا أن الحرية التي يقدمها الرب يسوع في الفداء تتطلب استجابة حية متفاعلة. عندما يختبر القلب التغيير الحقيقي، عندئذ سنفهم ما كتبه روبرت بيترسون «إن كلمة الله تؤكد على سلطان الله، وفي ذات الوقت تقدم تعليمًا عن حرية الإنسان بمعنى مسئولية الإنسان الحرة أمام الله. إن كنا نستطيع أن نفهم كثير من العلاقة بين سلطان الله وحرية الإنسان، إلا أن هناك أسرارًا لن نفهمها الآن».[١٤]

الأمور الأولى أولا: تب

في عبارة صغيرة علم الرب يسوع وقال: «بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ». (لو ١٣ :٣). كتب چون بيبر عن ما طلبه الرب يسوع من العالم وقال: «إن الأمر الأول الذي طلبه الرب يسوع في خدمته الجهارية هو «التوبة». كان هذا الأمر موجهًا لكل السامعين دون أي تفرقة بين شخص وآخر. كانت دعوة لتغيير جذري داخلي في العلاقة بين الله والإنسان».[١٥]

إن التوبة هو ما يحدث في الداخل. إنها ليست مجرد مجهودات لتغيير السلوك من خلال بعض الخطوات أو محاولة أن تبعد عينيك عن مصدر التجربة. إن تحريض الرب يسوع لنا أن نثمر «فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ». (لو ٣ :٨). إن تغيير القلب الداخلي يحدث تغييرًا خارجيًا في علاقاتنا الجنسية. فهو يحمل ثمار النقاء الجنسي، الأمانة، الاحتشام، بل وتمجيد الرب من خلال علاقة جنسية بين رجل واحد وامرأة واحدة.

إلا أن التوبة تشمل أيضًا تغييرًا في مفهوم السلطة. وتعيد الأمور إلى نصابها الصحيح. قال الرب: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ». (مت ٤ :١٧). قبل التوبة، كنا نملك على أنفسنا ، لكن بعد التوبة أصبح الرب هو الذي يملك علينا. إن كنا مؤمنين حقيقيين فلا بد أن ندرك أن مُلك السيد علينا قد بدأ، وأن الرب بنفسه يملك على قلوبنا أكثر وأكثر. إن رسالة الملكوت، بل وسيادة الملكوت تقدم لنا رؤية لنوعية حياة جديدة من النقاء الجنسي، بل ولأهداف جديدة في علاقتنا الزوجية، وتغييرًا في علاقاتنا مع الآخرين. لكن كيف يحدث هذا؟

نحن مستعبدون للخطية، والأمر يتطلب أن ننال من الله استنارة قلبية واقتناع داخلي لنتجاوب مع عمل الله. هذا هو مبدأ كتابي قديم وأساسي كتبه إرميا: «هَلْ يُغَيِّرُ الْكُوشِيُّ جِلْدَهُ أَوِ النَّمِرُ رُقَطَهُ؟ فَأَنْتُمْ أَيْضًا تَقْدِرُونَ أَنْ تَصْنَعُوا خَيْرًا أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُونَ الشَّرَّ!» (إر ١٣ :٢٣). نحن فاسدون، مستعبدون للخطايا الجنسية، والتوبة مستحيلة دون أن ينير الله أذهاننا وقلوبنا. إن فتحت قلبك وأصغيت للحق، فطوباك!

من جهة العلاقة الجنسية، ما نقاومه هو طبيعتنا العنيدة. وسأضع أمامكم قائمة توضح لنا خداع القلب في مجال الخطايا الجنسية.

- يتصرف دائمًا من يخطئ خطايا جنسية كما لو أنه شخص نقي جنسيًا.
- يبرر دائمًا من يخطئ خطايا جنسية خطاياه الجنسية.
- يعلن دائمًا من يخطئ خطايا جنسية أن هذه الخطايا عبارة عن احتياج طبيعي.
- يخدع دائمًا من يخطئ خطايا جنسية نفسه أو نفسها بأن الخطايا الجنسية قد يكون لها تأثير إيجابي.
- يضع دائمًا من يخطئ خطايا جنسية لنفسه أعذارًا لممارسة الخطايا الجنسية.
- من لا يخطئ جنسيًا يتحدث إلى نفسه عن صلاح قلبه.

هل هناك أي شيء نتلمس من خلاله الأعذار أو المبررات لأنفسنا أو للآخرين يدنس قلوبنا أو عقولنا أو حياة الآخرين؟ إن كانت إجابتك: «لا» قبل أن تتحرك بسرعة أشجعك أن تبحث في كلمة الله لتجد التحريض واضح: «جربوا أنفسكم لتروا هل أنتم في الإيمان. امتحنوا أنفسكم. ألستمْ تعرفون أنفسكم، أن يسوع المسيح فيكم إن لم

تكونوا مرفوضين» (٢كو ١٣ :٥) إن التهديد بأن ننخدع أمر واقعي ، والأمر يتطلب منا أن نسأل أنفسنا أسئلة أمينة حول حياتنا الجنسية.

يبدأ طريق الخلاص بالاستنارة، وهو عمل الله المستمر فينا طوال رحلة حياتنا. إن فسادنا الداخلي أكبر جدًا من قدرتنا على تغيير قلوبنا وإظهار ثمار التوبة. لكن في ذات الوقت هناك وصية بل وأمر للتغيير. إن التوبة ليست عمل نعمله مرة واحدة فقط، لكنها أمر يحدث في حياة المؤمن الحقيقي كل يوم. يكتب الرسول بولس ويقول: «أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟» (رو ٢ :٤)

إن الوضع يدعو إلى اليأس

لكن العون أتى!

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. لماذا تعتبر خطية عدم الأمانة أكثر تأثيرًا من الضرر الذي تحدثه في العلاقات؟

٢. لماذا نعتمد كلية على تدخل النعمة الإلهية؟

٣. لماذا تعتقد أن النعمة والأعمال (الطاعة) أمورًا محورية في حياتك؟

٤. قد تكون قد قدمت توبة عن خطاياك الجنسية السابقة، لكن هل أنت تتوب باستمرار عن ضعفات أخرى في حياتك (انظر ١ يو ١ : ٩)؟

الفصل التاسع

التغيير الذي يجلب الحرية

انزع مني العين الزائغة، الأذن المتلصصة،
والميل إلى الجشع، وشهوة القلب
وضّح أمامي أن أي من هذه الأشياء
لا تستطيع أن تشفي النفس المجروحة،
أو تدعم الكيان المتهدم
أو ترفع الروح المنكسرة،
ثم خذني إلى الصليب واتركني هناك[1]

بينمـــا كانت كاري تقدم ملخصًـــا عن خيانة چيم الجنسيـــة، رأيت چيم وهو جالس علـى كرسيه وتبدو عليه علامات الانكسار، هل كان هذا دليلاً على التوبة الحقيقية، أم أنه مجرد إعلان عن ندمه وخجله؟ هذا ما ستبينه الأيام.

قلت لكاري: «أعرف أن ما حدث لك مؤلم جدًا». ثم وجهت حديثي إلى زوجها وقلت: «چيم، عندما ترى كاري متألمة بهذا المقدار، ما الذي يثيره فيك هذا الأمر؟»

أجـاب: «لا أستطيـع أن أصـدق إني أنـا قد فعلت هــذا وأني تسببت لهــا بهذا الأذى البالــغ. إن ابنتــي لا تريد التحدث إلــيَّ، أنا غاضب جدًا من نفسي. هـل من المحتمل أن أكـون مدمنًـا؟ لقد قرأت بعض الكتــب، لكني لم أتمكن من التغلب علــى هذا الأمر، ربما أعاني من الإدمان الجنسي؟»

تدخلـت كاري في الحديث وقالت: «هــل تعتقد أنه يعاني من الإدمان الجنسي؟ هل هناك أمل لهذه الحالة؟ هل العلاج سيكون مجديًا؟»

أجبت وقلت: «نعم، هنـاك أمل كبير، أنتما في المكان الصحيح. أنـا أناشد كل منكما أن

يستمر في هذه العملية، ينفذ البرنامج الموضوع الخاص باليوم والغد، وأن لا يتشاجر مع شريكه.... اتفقنا؟ أرجو أن يعطي كل واحد للآخر وقتًا ليختلي بنفسه، وأن يعمل الواجب ويقرأ ما هو مكلف به. أخرجا لتتمشيا. ليطلب كل منكما من الروح القدس أن يكشف له ما هي حالة قلبه. أرجو أن يركز كل منكما لا على المشاكل أو الأذى الذي لحق بك، بل إلى جذور المشكلة. أطلب من الله أن يكشف لك عن الخطايا المستترة. سأراكما بعد بضعة أيام، وإلى أن أراكما فأنا على استعداد لتلبية أي طلبات إن احتجتما لأي شيء. إن كنتما تحتاجون إلى التحدث معي خلال هذه الفترة، فأنا مستعد»

وعند هذه النقطة وقفت وودعتهما وداعًا مؤقتًا.

▬ ▬ ▬ ▬

الخطايا الجنسية هي عبودية للنشاط الجنسي، وهي اتجاه قلب فيها يتصرف الإنسان بأنانية، ويضع وصايا الكتاب المقدس جانبًا. من الملاحظ أن النتائج السلبية للخطايا الجنسية لا تدفع الشخص في اتجاه التغيير، فهي لا تملك الفاعلية التي تجعله يتوب. في هذا الفصل دعونا ننظر إلى ما هو مطلوب لتحقيق الفداء الجنسي – تغيير القلب – هذا التغيير الحقيقي الدائم.

التوبة الحقيقية تعني تغيير

التوبة هي نعمة الله التي تعمل داخل الإنسان، فهي لا تجعل الخاطئ متضعًا فحسب، بل تحدث تغييرًا واضحًا في حياته. نحن لا نرى الخطايا التي في الداخل، لكن ما نراه هو السلوك الخارجي. علينا أن نكون على استعداد أن نخطو خطوة أعمق من مجرد أن نقول: «أنا أخطأت». التوبة هي أن أقر بماهية الخطية، وأن أرفض أن تظل الخطية في حياتي وفي قلبي.

في التوبة عن خطية ما، نحن ننتقل من فعل الإرادة الذاتية، إلى رغبة صادقة لعمل إرادة الله في حياتنا إزاء هذه الخطية، فالذات ينبغي أن تموت والله ينبغي أن يسود.

جلست مع رجال كثيرين، بعضهم فقدوا خدمتهم، وظائفهم بل وحياتهم الزوجية، كانوا يبكون بمرارة مدركين أنهم فقدوا كل شيء. لكن بالرغم من كل ما بدا عليهم إلا أن آلامهم النفسية لم تكن كبيرة. إن الخسارة الكبرى هي حزن الله على العبد الذي اشتراه بثمن كبير. كان ينبغي أن يكون الخاطي المستعبد لخطايا جنسية الذي دُفع

فيه ثمنًا غاليًا، عبدًا للبر، إلا أنه عاد مثل الخنزير وتمرّغ في الوحل، وأهان سيده. يا له من وضع مؤسف.

هنا نرى ما ينبغي أن تكون عليه التوبة الحقيقية. فعلى سبيل المثال يقول الزوج لزوجته: «لقد أخطأت وفعلت الشر مع أعز صديقة لك، سوزان. لقد أخطأت إلى الله. أريد أن أعمل إرادة الله ولا أخطئ مرة أخرى في حقك أو في حق الأولاد، أريد أن أحيا حياة مقدسة أمام الله، وأن أكون زوجًا أمينًا وأبًا مخلصًا متكلاً على معونة الله».

لا يجد من يُخطئ جنسيًا شبعه في اللذة الجنسية فحسب، بل بالحري يتلذذ في ترتيب أمور حياته لتتوافق مع أهوائه الجنسية. التوبة تغير كل هذه الأمور وتقود هذا الإنسان نحو اتجاه جديد.

لقد ذكر توماس واطسون ستة عناصر رئيسية ضرورية للتوبة[٢]

- انظر وتمعن في معنى الخطية: ينبغي أن ننظر إلى الخطية، على أنها وباء قلبي مميت، هذه البصيرة كفيلة بأن تجعل الشخص يتضع.
- تأسف على الخطية: «ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ» (مز ٥١ :١٧)، الله يعمل في الإنسان لا لمجرد أن يُجري تغييرًا في سلوكه الخارجي بل ليخلق فيه طاعة وتوبة قلبية.
- اعترف بالخطية: في المواجهة، يُوجَّه إلى الشخص اتهام بأنه أخطأ جنسيًا... أما في الاعتراف، فأن الشخص يتهم نفسه بارتكابه للخطأ، ويرفض الخطية بشدة.
- اخجل من الخطية: إن الأمر الذي يدعو إلى الخجل هو أن الخطايا التي يرتكبها المؤمن هي أسوأ بكثير من خطايا الأشرار. فعندما يخطئ المؤمن فأنه يسير في اتجاه مضاد للنور الذي أخذه ..... فالمؤمن يخطئ ضد القناعات الواضحة التي اعتنقها».[٣]
- اكره الخطية. «كم هم بعيدين عن التوبة هؤلاء الذين بدلاً من أن يكرهوا الخطية يحبونها! بالنسبة للمؤمن، الخطية هي شوكة في العين، أما بالنسبة للخاطئ فالخطية هي تاج فوق رأسه «مَا لِحَبِيبَتِي فِي بَيْتِي؟ ..... إِذَا صَنَعْتِ الشَّرَّ حِينَئِذٍ تَبْتَهِجِينَ» (إر ١١ :١٥). إن محبة الخطية أسوأ من ارتكابها».[٤]
- تحول عن الخطية: «إن الندم الحقيقي على الخطية ينبغي أن يكون أمرًا عمليًا.

لا يستطيع أحد أن يقول أنه يكره الخطية إذا استمر يحيا فيها. التوبة تجعلنا نرى مدى شر الخطية لا نظريًا بل على المستوى العملي – فهي مثل شخص احترق بالنار من قبل، لذلك فهو يرتعب من النار».(٥)

إن تغيير القلب يزرع في الإنسان دوافع سامية، هذه الدوافع ليست نتيجة للحزن الذي يتولد في قلب الإنسان على الضرر الذي أحدثه بالآخرين، أو اشمئزاز الإنسان من تصرفاته، لكنه أسمى من هذا بكثير.

كلمة الله تغذي التغيير الحقيقي

قال دكتور چورچ لوجري الذي يعيش في سويسرا ويدرّس في (L'Abri Fellowship Community) «إن حاجتنا لكلمة الله كخريطة لترشدنا الطريق أمر حتمي في مواجهة التحديات. فنحن نواجه تحدي مزدوج، فمن جانب نواجه الثقافات التي بدأت تغزو مجتمعاتنا، والأنماط غير المسيحية للأمور الروحية ، لكن من الجانب الآخر، نواجه فقر روحي يعيشه المؤمنون في هذه الأيام»(٦)

ركز لوجري في حديثة على ضرورة وجود التعليم الكتابي الصحيح لكي نتجنب خداع النفس حيث «ينتهي بنا الأمر إلى أن نسير في طريق نظن أنه هو الطريق الصحيح، لكنه قد يكون طريقًا خاطئًا».(٧) في المقابل لهذا، اتباعنا لكلمة الله معناه أننا نخضع لتوجهاتها ونورها وإرشادها، الأمور التي ستنير أمامنا الطريق».(٨) في عب ٤ :١٢ يكشف لنا الكتاب المقدس عن قوة كلمة الله « لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ»

الكتاب المقدس ليس كتابًا عاديًا يستمد سلطانه من رؤية كُتّابه، لكن سلطانه يعتمد على مصداقية صاحبه – الله. حيث أنه هو الإعلان الوحيد المكتوب عن الله، لذلك فهو الذي يستطيع أن يحدد ويوجه سلوكنا وقناعاتنا.

يحوي الكتاب المقدس على كل ما نحتاج أن نعرفه لنحصل على الفداء الجنسي، بل لنحصل أيضًا على الحياة الأبدية. إنه ليس كتابًا عن الجنس أو الزواج، لكنه يخبرنا كيف نحيا حياة زوجية وجنسية واجتماعية طبقًا للقصد الإلهي.

في النهاية، إن كنا نفهم أن «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ» (١ تي ١٦–١٧)، عندئذ لا نستطيع أن نختار لأنفسنا ما نقتنع أنه موحى به ونترك بقية الأجزاء. إن فعلنا هذا، فبلا شك لن نحصل على القوة المغيرة للقلب والحياة، وستفقد كلمة الله فاعليتها في تغيير حياتنا.

إن لم نسمح لكلمة الله أن تحدد علاقاتنا الجنسية، وتشير إلى الخطايا الجنسية التي بيننا، سيحكمنا ما نسميه «نظرية العلاج»، عندئذ سينطبق علينا القول، أعمى يقود أعمى. علينا أن نجتهد لننظر «أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ». (كو ٢ :٨)

الحرية من العبودية الجنسية

بالمباينة مع نظرية المرض فإن الحل الذي يقدمه الكتاب المقدس من عبودية الخطايا الجنسية حلاً جذريًا، تأسس على وعد الله وعمله. كل شخص مستعبد للخطايا الجنسية يستطيع أن يدرك هذه الحرية: «فَشُكْراً للهِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ عَبِيدًا لِلْخَطِيَّةِ، وَلكِنَّكُمْ أَطَعْتُمْ مِنَ الْقَلْبِ صُورَةَ التَّعْلِيمِ الَّتِي تَسَلَّمْتُمُوهَا. وَإِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ صِرْتُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ». (رو ٦ :١٧–١٨)

أقدم ثلاثة أفكارمن خلال هذه الآيات: أولاً، الحرية هي للمؤمن الحقيقي. فلن تتحرر بدون اختبار الميلاد الثاني! كيف ندرك أننا مؤمنون حقيقيون أم لا «كَتَبْتُ هذَا إِلَيْكُمْ، أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ، لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ حَيَاةً أَبَدِيَّةً». (١ يو ٥ :١٣). كان يوحنا واضحًا جدًا عندما قال: «أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ: مَنْ يَفْعَلُ الْبِرَّ فَهُوَ بَارٌّ».(١يو ٣ :٧) ثم قال: «كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ. بِهذَا أَوْلاَدُ اللهِ ظَاهِرُونَ وَأَوْلاَدُ إِبْلِيسَ: كُلُّ مَنْ لاَ يَفْعَلُ الْبِرَّ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ، وَكَذَا مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ». (١يو٣: ٩–١٠).

كانت كتابات مجموعة البيوريتان (المجموعة المتزمتة دينيًا) لها تقديرها حتى القرن التاسع عشر، لكنها أُهملت بعد ذلك. في خمسينات القرن الماضي تم طبع كثير من كتاباتهم التي وجد فيها كثير من المؤمنين فهمًا عميقًا لكلمة الله والذي يقدم العون أكثر من كثير من الكتابات المعاصرة. لعلنا نتذكر من بين هؤلاء توماس

واطسن (١٦٢٠-١٦٨٦) ذلك الدارس الملتزم، الواعظ والكاتب القدير الذي كان يفسر الكلمة باستقامة، ومازالت كتبه السبعة عشر واسعة الانتشار. كتب هذا الكاتب وهو يصف العلاقة بين المؤمن والخطية وقال: «بالرغم من أن الخطية تعيش فيه، إلا أنه لا يعيش هو في الخطية».[٩]

لقد أشار الرسول يوحنا في الأعداد التي تعرضنا لها أنه لا تستطيع أن تعيش كمؤمن حقيقي وتكون الخطية هي أسلوب حياتك. أستطيع أن أعبر عن هذا وأقول: لا يمكن أن تكون مؤمنًا حقيقيًا وتستمر في الخطايا الجنسية.

نحن نحاول أن نستنبط لأنفسنا إنجيلاً ناعمًا، ودودًا، رقيقًا، وهو بالطبع ليس هو الإنجيل الكتابي. لقد وضع أمامنا يوحنا، رسول المحبة والرفق نوعين من الناس: أولاد الله وأولاد إبليس. ببساطة لا يوجد نوع ثالث، فأنت في مجموعة من الاثنين.

احذر! هناك معلمون كذبة يعلمون في أيامنا هذه أنه من الممكن أن تكون بارًا لكن لا تفعل البر. هذا خداع. لا يوجد شخص يحيا حياة بلا خطية لكن «مَنْ يَفْعَلُ الْبِرَّ فَهُوَ بَارٌّ، كَمَا أَنَّ ذَاكَ بَارٌّ». (١ يو ٣ :٧). إن الفداء من خلال عمل الصليب هو الحقيقة القوية العظيمة. كما كتب أزوالد تشامبرز «إن أهم حقيقة نتطلع إليها ليست هي صلاح الإنسان وطهارته، أو حقيقة وجود السماء والجحيم- لكنها الفداء.... وعلينا أن ندرك هذا الإعلان أن الفداء هو الحقيقة الوحيدة».[١٠] إن الفداء يأخذنا إلى ما هو أبعد مما يستطيع أن يقدمه لنا المعالجون النفسيون، فهو يقودنا إلى التغيير الداخلي، وإلى الحرية من العبودية، فنصير عبيدًا للبر.

ثانيًا: ينبغي أن نعمل وفق هذه الحرية، كمؤمنين حقيقيين «أَطَعْتُمْ مِنَ الْقَلْبِ صُورَةَ التَّعْلِيمِ الَّتِي تَسَلَّمْتُمُوهَا». (رو ٦ :١٧). إن النقيض من عبودية الخطية هو الالتزام بالتغيير الحقيقي «لأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ، لِجَمِيعِ النَّاسِ، مُعَلِّمَةً إِيَّانَا أَنْ نُنْكِرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ». (تي٢: ١١-١٢) المؤمن الذي يجاهد ليحيا في إطار طاعة الله من خلال القلب المتغير بقوة روح الله القدوس تتحول حياته إلى حياة القداسة.

ثالثًا: إن مشكلة الخطية الحقيقية - وفي هذه الحالة الخطايا الجنسية - أنها

خطيـة، وأننـا مذنبـون أمام الله القدوس. إن هـذا أكبر بكثير من الشعـور بالذنب الذي يشعره أي شخص يخطئ خطايا جنسية بعد أن يرتكبها. فكثير من غير المؤمنين الذين لجـأوا إلـيَّ طالبين المشـورة، يشعرون بذنب كبيـر عندما يرتكبون مثـل هذه الخطايا دون أن يكـون لديهم الاستنارة الروحيـة أو تبكيت روح الله الذي يقدم للإنسان طريقة التغييـر الحقيقي. الخطايا الجنسية هـي مشكلة أخلاقيـة، لا مشكلة نفسية، فيها تعدِّي على القانون، وبالتالي يشعر المخطئ بالذنب.

إن كنـا مؤمنيـن حقيقييـن، ونريد أن نحيا في التزام، ونرى فـي خطايانا أنها تعدي على الله ، عندئذ سنتحرر من العبودية. هذه الحرية لن ننالها من خلال بعض التقنيات أو الخطوات. مهما كانت بشاعة خطايانا، فعمل المسيح كامل، وبره يغطينا. لقد بدأ الله عمله بالخلاص وسيتمم عمله إلـى التمام. لن يكمل العمل إلا عندما يُنـزع الميل للخطية وفي النهايـة الخطية ذاتهـا. التحرر الكامل من الخطية سيتم عند قيامـة الأجساد من الأموات. كتـب روبـرت بيتروسون هـذه الكلمات الرائعـة» الحرية الحقيقيـة (التـي أسميها الحرية الكاملة) هي القدرة على أن تحب المسيح وتخدمه دون أن تكون الخطية عائقًا لك».[11]

أمـام التزامنـا لعمل مشيئة الله علينا أن لا نخون العهـد. أرسل لي رجلاً لم يستطع أن يـدرك كسـره لهذا الالتـزام واستمر في مشاهـدة الأفلام الإباحيـة رسالة قال فيها «ربمـا تكون لديك ولدى الله مقاييس سامية. أتفـق معك أن مقاييس الله في القداسة لا تقبـل «أي خطيـة»، وأتفق أيضًا معك في حقيقة سلطـان الله. أقول : أنا أؤمن بسلطان الله وحبـه، لكنـي لا أستطيـع أن أثق في قلبي أمام بعضـ المواقف التي يسمح الله بها فـي حياتـي». هل هذا الرجل يعانـي من عدم تصميم أو قلب منقسـم؟ ثم يكمل حديثه ويقـول» أنا أيضًـا أؤمن أن الله حنان، وهو يهتم بحياتي، لكنـي أجد نفسي أتساءل ما هو القدر الكافي؟ كيف أضع توازنًا في حياتي بين العمل والكنيسة وكرة القدم (أعتقد أن الله يريدنـي أن أكـون مهتمًا بكل هذه الأمور في حياتـي) ويتبقى لي وقت بعد ذلك لله؟» قد يعتقد البعض أني قاس على هذا الرجل، لكن في ظل الحالة الروحية في يومنا هـذا، نحـن كثيرًا نفشل في أن نصغي إلى تحذير الرب في مثل الزارع عندما قال « وَهَمُّ هذَا الْعَالَمِ .... يَخْنُقَانِ الْكَلِمَةَ فَيَصِيرُ بِلاَ ثَمَرٍ» (مت١٣: ٢٢). لذلك ونحن نعيش هذه الحياة نتوقع أن الحياة ستضغط علينا وهكذا هذه «الهموم» قد تسيطر على القلب.

لا يجـوز أن يكـون التزامنـا أمـام إرادة الله وأهدافـه التزامًا ضعيفًـا. ففي عبارات

قاطعة، يحرض الرسول بولس هؤلاء الذين من الممكن أن ينساقوا وراء أهواء العالم ويكتب «فَأَقُولُ هذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ: الْوَقْتُ مُنْذُ الآنَ مُقَصَّرٌ، لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ لَهُمْ نِسَاءٌ كَأَنْ لَيْسَ لَهُمْ.........وَالَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَعْمِلُونَهُ. لأَنَّ هَيْئَةَ هذَا الْعَالَمِ تَزُولُ». (١كو ٧ :٢٩، ٣١). فنحن مثل هذا الرجل، من السهل أن نلتزم ببرامجنا الخاصة ، ومن السهل أن نغوى ونحاول أن نشكل حياتنا المسيحية طبقًا لرغباتنا. إلا أن الحياة الأنانية التي نشكلها نحن وفقًا لأهوائنا لا يمكن أن تُظهر قصد الله، وبالتالي لا تمجد الله ولا تحقق الخطة النهائية لله في حياتنا. بل أكثر من هذا، نحن نجعل أعمالنا وعلاقتنا الزوجية، وأولادنا، وكنائسنا تخدم أغراضنا الشخصية. إن فداء المسيح، بما فيه الفداء الجنسي، يجعل كل هذه الأمور تدور في فلك آخر كما قال الكتاب «أقول هذا ...... في سبيل ما يليق ويجعل اهتمامكم منصرفًا إلى الرب دون ارتباك». (١كو ٧ :٣٥)

جاء توم وجودي لحضور برنامج المشورة المكثف، مثلهم مثل أي زوجين يحضران طالبين المعونة لأنه هناك عدم أمانة زوجية. إلا أن الفرق هو أن توم كان لا يزال يعيش مع صديقته، عندما مر على جودي بسيارته ليأخذها معه لحضور البرنامج الذي سيستمر أسبوعًا. لقد أعلنها بكل صراحة أمام الجميع «عندما أنهي هذا البرنامج، سأعود مرة أخرى إلى الفتاة التي أعيش معها»

طوال الأسبوع كان توم يصغي جيدًا لكل ما يُقال ويبدو أنه استفاد جدًا من البرنامج، بل وكان يؤدي الواجبات المطلوبة منه وكان موافقًا تمامًا على كل ما تعلمه. في آخر جلسة ، قام توم من على كرسيه وذهب في اتجاه جودي وركع على ركبتيه وأرتمى في أحضانها باكيًا وقال: «لقد أخطأت في حقك، وتسببت لك في ضرر بالغ، أنا آسف على كل ما فعلت، لكن في الغد عندما نترك هذا المكان سأعود إلى ساندي»

لا أدري من الذي أصيب بصدمة أكثر، جودي أم أنا. بدون شك، لقد امتلأ عقل توم بالمعلومات أكثر بكثير من ذي قبل. في غطرسة شكرني لأجل كل العون الذي قدمته له لأنه سيساعده كثيرًا في زواجه من ساندي. لكن بالطبع لم يكن تائبًا.

إن مثل هذه الاستجابة للحقائق الإلهية أمر مرعب. قال توماس واطسون: «إن المعرفة المقترنة بقلب شرير تشبه تمامًا شخص له وجه جميل لكنه يعاني من سرطان

مميت. فالمعرفة دون توبة هي بمثابة الضوء الذي يضيء الطريق أمام الإنسان ليصل به إلى الجحيم».[١٢]

لقد حاولت جاهدًا، لكنني لم أفلح

سمعت زوجات كثيرات يقلن هذا القول: «سيقول لي چون أنه يرغب في الإقلاع عن هذا أكثر من رغبتي الشخصية، إلا أنه مازال يشاهد الأفلام الإباحية على الإنترنت، أنا لا أعرف ما الذي أستطيع أن عمله».

يرد چون ويقول: «لقد حاولت، صليت، صمت، توسلت إلى الله لأن يخلصني من هذه الخطية. إن كان الله لا يريدني أن أشاهد الأفلام الجنسية، وأن أمارس العادة السرية، لماذا لا يتدخل بطريقة ما؟ ولماذا صنعني بهذه الطريقة؟»

ما الذي يحدث هنا؟ أولاً: أنا أعتقد أن الله لا يستجيب عندما تكون دوافع التغيير أنانية، فإن كنت مثل چون، اسأل نفسك هذا السؤال واطلب من الله أن يفحص قلبك «لماذا أريد أن أقلع عن مشاهدة الأفلام الإباحية؟»

من مئات المستعبدين لمشاهدة الأفلام الإباحية الذين ساعدتهم في مجال المشورة، نادرًا ما كنت أجد شخصًا يطلب المعونة بدوافع صحيحة. فكل شخص ضُبط وهو يشاهد هذه المواقع يريد أن يتوقف عن هذا الأمر للتخلص من الشعور بالخزي أو الذنب أو لينقذ حياته الزوجية من الانهيار أو ليحتفظ بوظيفته. هل الله يستجيب الصلاة التي نصليها بدوافع غير سليمة؟ لا. « تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُمْ». (يع ٤ :٣)

ثانيًا: ماذا الذي يدفع الله ليخلص الخاطئ من خطيته ولا يحدث إلا القليل من التغيير في حياته الداخلية؟ عمل الله بالنعمة عمل كامل، لا عمل جزئي. فمن الممكن أن يتغير سلوكًا معينًا، لكن مازال داخل القلب يمتلئ بالفساد.

ثالثًا: الله يريد أن يكون سيدًا لنا. في الصلاة الربانية نجد التركيز على سيادة ملكوت الله وإتمام مشيئته. هدف الله هو تغيير القلب وليس مجرد التخلص من بعض الأحاسيس المقلقة، أو حفظ الحياة الزوجية من الانهيار، أو ضمان المستقبل المهني.

كان چو راعيًا ناجحًا لكنيسة في مدينة ساحلية صغيرة، لكنه كان مصابًا بمرض التعري أمام الناس. عندما كان في دورة مياه عمومية، كشف عورته أمام أحد الجنود السريين، وقُبض عليه وحُكم عليه بالسجن. عندما أتى چو طالبًا المشورة، وجدته شخصًا متمركزًا حول ذاته، ولم يكن الله هو السيد على حياته برغم من أنه كان يعظ كل يوم احد.

عندما قاد الله چو لينظر بعمق إلى داخله، رأى بوضوح خطية عبادة الأصنام. قال لي أنه مغرم بشراء أربطة عنق غالية تفوق إمكاناته. فهو يشتري رباط عنق جديد، ويأخذه معه للبيت، وهناك يضعه في دولاب الملابس. بعد عدة أسابيع، وفي صباح يوم الأحد، يلبس رباط العنق الجديد. وعندما تسأله زوجته كارول: «هل هذا الرباط جديد؟» فيجيبها: «لا لقد اشتريته منذ فترة».

بدون تغيير القلب – حيث يصبح الله هو السيد، حتى لو أصبح چو أقل أنانية، عندما يتعلق الأمر بشراء رباط العنق – لن تنتهي الخطايا الجنسية ما لم يتغير القلب. كان الله يريد أن يجري تغييرًا حقيقيًا في قلب چو، حتى في دوافعه للخدمة.

كثير من الذين يمارسون الخطايا الجنسية لهم رؤية محدودة، لكن الله لديه رؤية أشمل للصورة بأكملها. فهؤلاء الذين تحولوا عنه «**أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ**». (رو١: ٢٤) ولن يأخذ زمام الأمر إذا استمروا في أن لا «**يَبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ**». (رو١: ٢٨). أصلي أن يفتح الله قلوبنا لنستطيع أن ندرك أننا لا نعطيه الحرية الكاملة في حياتنا. علينا أن نقتنع أننا كنا المتحكمين في أنفسنا ولم نعطِ الله مكان السيادة في حياتنا، لا فقط في خطايانا الجنسية، بل أيضًا في كل أمور حياتنا.

أخيرًا: إن الله لا يريد أن ينزع منك الشهوة دون أن يحولك إلى محب حقيقي، الأمر الذي سأتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد.

اتصل بي سام وأخبرني أن علاقته الزوجية انتهت لأن زوجته قد ملت نتيجة إدمانه ممارسة العادة السرية، مشاهدة الأفلام الإباحية، عدم الالتزام، وفقد علاقة حميمة مشبعة. كانت زوجته ترى أنها مجرد أداة لإشباعه جنسيًا. كان شغوفًا للتغيير، ويريد أن يتجنب هذه المشاكل في زواجه المقبل.

عندمـا التحق ببرنـامج المشورة المكثف، أخبرنــي بـأنه كـان على وشك أن لا يركب الطائـرة ولا أن يأتــي إلى هنـا وقـال: «لقد قرأت كتـابك عـن المودة الزائفة، وأدركت أنه بإمكانـك مساعدتــي لأصبح إنسانًا جديدًا، وأن أخرج من هــذا المكان وقد تحررت من الخطايا الجنسية، لكنني أدركت أني لا أريد أن أتخلى عن صديقتي».

التغيير الحقيقي هو خضوع إرادي لسلطان الله، وأن يكون هو سيدًا على كل جوانب الحياة. كان على سام أن يدرك المعنى الحقيقي لحياة الشبع في المسيح وفي تمجيده. كان عليه أن يتعلم أن علاقته الزوجية تُبنى على المحبة، التضحية والعطاء لا الأخذ.

بعـد أن تحدثـت فـي كل هذا، ماذا لـو أن التغييـر الحقيقي المستمر بـدا وكأنه أمر مستحيـل؟. فـي كتابــه الرائــع الذي يحمـل عنـوان «إماتة الخطيــة» ألقى جـون أوين (١٦١٦-١٦٨٣) الضوء على هؤلاء الناس الذين يفشلون في اختبار التغيير الحقيقي وقال « هنا شخص، إذا كان باستطاعته أن يتخلص من الشهوة، ينبغي أن لا أسمع منه مرة ثانية، دعوه يصارع مع هذا، وإلا سيهلك»[١٣] إن طرق الله ليست طرقنا، من الممكن أن يسمح باستمرار الصراع ليحفظنا متكلين على قوته ومعونته.

ثمر التوبة

عندمــا يتغير القلب ويتوب الشخص، لابد وأن تظهر ثمارًا لهذه التوبة. وهذه الثمار تتعدى مجرد افتخار الإنسان بـأنه تحرر لفترة من الزمن، لكن الحرية الحقيقية هي أن تتحرر من الداخل، الأمر الذي يظهر في الخارج.

أُدعى لأتحدث في كثير من الكنائس أو المؤتمرات في مدن عديدة، ويحرص خريجو برنامـج المشورة أن يحضـروا مثل هذه اللقاءات. عندما يأتــون ليحيوني، إذا أتيح لنا بعضـ الوقت الخـاصـ، أسألهم عن أحوالهم. لعلك تستغـرب أن الإجابة التي لا أريد أن أسمعهـا هـي: «أنا لـم أشاهد أي أفلام إباحية لمدة سنتيـن». بـالطبع زوجة هذا الرجل تريـده أن لا يشاهــد مثل هذه الأفلام، لكن كيف تستطيع أن تدرك أنـه أصبح «نقيًا» بعد أن كان يخدعهـا مرة ومـرات؟ لا يوجد اختبار مثل اختبار ورقــة عباد الشمس لنختبر بها النقاء الجنسي، ولن نستطيع حتى أن نعتمد على جهاز كشف الكذب. إن كان اللجوء إلـى التعذيب لنزع الاعتراف قد يروق لبعض الزوجات لكنه أمر غير قانوني في مجال العلاقات الزوجية!

إن الفداء الجنسي هو عتق يبدأ من الداخل للخارج. فهذا الإناء النجس يبدأ في التلألؤ من الداخل. لعل أفضل ما أسمعه من إجابات متكررة وأنا أسافر وأقابل الأزواج، عندما يقول الشريك: «إن زوجي أصبح رجلاً مختلفًا، أو أن زوجتي أصبحت مختلفةً». نعم فالسلوك الخارجي تغير، لكن هناك تغييرًا أكبر من هذا بكثير في نفس الرجل وتستطيع الزوجة أن تشعر وترى ثمر هذا التغيير.

تُحدث التوبة الحقيقية تغييرًا في شخصية الرجل والمرأة، هذا هو الفداء الجنسي الذي لا نستطيع أن ننكر ثماره. نعم فالله يعمل. فالزوجة تختبر سلامًا، السلام الذي ينبع من رؤيتها لعمل الله الذي يتعدى مجرد التوقف عن الخطايا السرية.

علينا أن نتعلم ألا نثق في أي شخص ، لكن نضع كل ثقتنا في عمل الله الذي نستطيع أن نرى ثماره.

« لأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ، وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ. إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: ‹يَا أَبَا الآبُ› ». (رو٨: ١٣ – ١٥). لا يستطيع أن ينال الإنسان مثل هذا الفداء من قراءة الكتب التي تقدم المعونة أو تصف بعض التقنيات، لكن يحصل عليه من خلال قوة الله المغيرة. إن الطريق إلى الحياة يمر بالموت، الموت عن خطايانا، وهزيمة طبيعتنا الشريرة.

يؤثر الفداء الجنسي في كل جوانب الحياة، فنكره الخطايا الجنسية، وعدم الاحتشام، وأي أمر يشوه صورة الله في رجولتنا أو أنوثتنا. نتوب عن كل خطية جنسية تتعارض مع سلطان الله في حياتنا. نحاول أن نميت كل خطية سمرت على الصليب عندما صار يسوع ذبيحة خطية ليكفر عنا (٢كو ٥ :٢١). علينا أن ننتبه ولا نعتبر الخلاص هو «الشيء الذي من خلاله نتجمل لكي نحيا حياة أفضل في هذا العالم»[١٤] فعمل الرب يسوع ليس لإرضائنا أو إشباعنا، لكن لتمجيد الله. وذات الإرادة التي تمكننا من الخلاص من عبودية الخطية، تجعلنا نختار طريق البر لنحيا فيه.

التوبة حقيقية معناها أن تحيا في صراع يومي مع ظروف وعلاقات ساقطة، مشوشة بل فاسدة. فأنت تحيا في هذا العالم الفاسد، وهذا معناه أنك تواجه علاقات

غير سليمة سواء كنت متزوجًا أم لا، سواء كنت في البيت أو في العمل أو في الكنيسة. كيف يمكن أن نحيا بأمانة في كل هذه الظروف؟

في الفصول الباقية، سنتحدث أكثر عن بعض الأمور الخاصة بالفداء الجنسي الذي سنحياه لمجد الله، فنحن افتدينا وخلصنا من طرقنا الشريرة. كمؤمنين نحن لا نحيا مجرد حياة يومية عادية إلى أن نذهب إلى بيت للمسنين أو ندخل القبر، لكننا دُعينا أن نحيا حياتنا لتميم إرادة الله. الإيمان الذي بررنا ما زال فعالاً، لذلك فنحن نحيا حياتنا لا لأنفسنا، بل لإتمام مشيئة الله.

كثير من المؤمنين لهم أهداف شخصية؛ أن ينهي دراسته الجامعية، يمتلك بيتًا، يتزوج ويكوِّن أسرة، يكون له مستقبل مهني ناجح أو حتى خدمة ناجحة، وفي النهاية قد يفكرون قليلاً في حياتهم الروحية المثمرة.

عندما تزوجت بعد ثلاثة أيام من تخرجي من كلية اللاهوت، كان لدي العزم أن أذهب وأعمل لأجل الرب. لكنني الآن أدركت معنى كلمات أزوالد تشامبرز عندما قال: «إن العمل الذي نعمله لا يساوي شيئًا أمام قصد الله. فالعمل قد لا يمثل إلا الهيكل الخارجي الذي يحيط بعمل الله وخطته».[١٥]

التقيت بآلاف السيدات والرجال من كل أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، من مختلف الأعمار، والمهن، والمستويات التعليمية. ووجدت أن هناك خيطًا يجمع كل هؤلاء، وهذا ما قاله أيضًا تشامبرز: «نحن لم نفهم بعد كل ما ينبغي أن نعرفه عن خطة الله التي يجب أن نخضع لها».[١٦]

يتحرك قلبي وتدمع عيناي عندما أرى القلوب تغيرت بقوة عمل الله، يا لها من قوة عظيمة مدهشة! وبدون شك، أستطيع أن أكرر مع الرسول بولس هذه الكلمات: «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ، إِذْ لَنَا هذِهِ الْخِدْمَةُ كَمَا رُحِمْنَا لاَ نَفْشَلُ». (٢كو ٤ :١). وسط كل بشاعة وآلام الخطايا الجنسية، أجد قلبي يطفر فرحًا عندما أرى خاطئ واحد يتوب، ويجد الحرية ويصير «بر الله».

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. هل اختبرت معنى التوبة الحقيقية، أم أنك تحاول أن تغير من سلوكك؟

٢. لماذا تريد أن تتوقف عن جنون الخطايا الجنسية؟ ما هو دافعك الحقيقي؟

٣. إن كنت تشعر أنك حققت نجاحًا في التغلب على الخطايا الجنسية، هل لاحظ الآخرون ثمر هذا النجاح؟

٤. هل بكل أمانة قدمت حياتك للرب يسوع دون أي تحفظات، بحيث يستطيع أن يغيرك من خلال طاعتك له؟

الفصل العاشر

الجانب الروحي في الجنس لدى الرجل

إذا قمت بمغامرة وحدي فإني سأعثر وأسقط

لكن بين يدي المحبوب

سأظل ثابتًا مثل الجبل

إذا تركت نفسي لقلبي الخائن

سأجلب العار على اسمك

لكن إذا أنار لي روحك وأرشدني

سأعطيك كل المجد[1]

في أثناء جلسات المشورة المكثفة أقدم بعض المحاضرات للحاضرين. بعد المحاضرة الثانية أتت كاري لتتحدث معي، كانت تبدو أقل توترًا من اليوم السابق.

قالت لي: «دكتور شومبرج، لقد قدمت معلومات رائعة، أعتقد أنه يوجد الآن بعض الأمل لي ولچيم. لا أفهم على وجه التحديد ما الذي قد يحدث في مشكلة چيم، لكني أرى أنه من خلال التدخل الإلهي الواضح، من الممكن أن يحدث تغييرًا عميقًا. صلاتي أن يدرك چيم هذا في أثناء وجودنا هنا!»

أجبتها: «أرجو أن ما تقولينه يكون صحيحًا، سوف نرى ما الذي سيحدث في أثناء جلسة الغد». رأيت ابتسامة أمل على وجه چيم أثناء خروجه من قاعة المحاضرات.

ما يدهشني أن الحقائق الكتابية، حتى وإن بدت صعبة أن نتقبلها في البداية،

إلا أنهـا تعطي رجـاءًا حقيقيًا للناس، حتى في أحلك اللحظـات. هذه هي قوة الإنجيل المغيرة للحياة!

▬ ▬ ▬ ▬

فـي سنـوات عملي في مجال المشورة للمشاكل الجنسية، كنت أواجه عدد لا نهائي مـن الأسئلة عن الجنس، لكن عندما نتعمق فيها نجد أن لها جانب روحي. لكن الأغرب من ذلك، أنه عندما يُوجَّه إليَّ أسئلة روحية، كانت في الواقع تتعلق بالحياة الجنسية! هـل خبراتـي هذه تعبر عن الواقع، أم أن خبرتي في هـذا المجال في الخدمة أثرت على توجهاتي؟

عندما تفرغت للعمل في مجال الحياة الجنسية للناس، كنت أتساءل لماذا وضعني الله فـي هـذه الخدمة التي كنت أعتقد أن ليس لها علاقة بخدمة الله، لكني الآن أستطيع أن أرى بوضـوح أنـه مـن المستحيـل أن نُخرج الله بعيـدًا عن موضـوع الجنس، ولكي تتعامـل مع العلاقـات الجنسية، فأنـت تتعامـل أساسًا مع موضوع روحـي في حياة النـاس.

لذلـك فالغرض من هـذا الكتاب منبعه قناعتي بكلمة الله. وأنـا أثق أن هذا الكتاب سيسمـو بأفكارنا الكتابية المشتتة عن الجنس، ويصل بنا إلى فهم كتابي متكامل عن الفداء. فالفداء هو مفتاح فهمنا الصحيح عن الجنس.

الله – الإنسان – الجنس

إن الخـواء الروحـي عنـد الرجـل أمـر شائـع. كثيـر من الرجـال، حتى القـادة في الكنائـس، يقدمون القليل في طريـق الحماية والإمدادات الروحية ، ذلك لأن مواردهم الروحية الخاصة بهذا الأمر ضحلة. منذ سنوات كثيرة كنت أقدم مشورة لراعي كنيسة مـن الكنائـس الكبيـرة. كان مشغـولاً كل أسبوع بتقديـم عظات في منـاطـق مختلفة فـي المدينـة. يبدو أن الكثيريـن كانوا يريـدون الاستماع إليه وإلـى مبادئه في زرع الكنائس، لذلك كان برنامجه مشغولاً لمدة سنتين. إلا أنه كانت له علاقة غرامية لمدة خمس سنوات، الأمر الذي جعله يحضر هو وزوجته إلى ورشة عمل المشورة المكثفة. بينمـا كان كبريائـه يـذوب تحت تـأثيـر نور الله الساطـع، قـال لي: «هــاري، كل رعـاة الكنائـس المبتدئيـن يريـدون أن يتحدثوا إلـيَّ ليستفيدوا من أفكاري، لكـن إن جلسوا معـي لمدة عشر دقيقة سيكتشفون فراغـي الداخلي الروحي». عندمـا تـأخذ رغباتك في

أن تكـون محبوبًـا ومحترمًا الأولوية أكثـر من تحقيق مقاصد الله فـي حياتك، وأكثر مـن احتياجات النـاس، فعندئذ قد لا تستطيع أن تقاوم التجربـة الجنسية. ذكر بولس ثـلاث مـرات «أسلمهم الله» (وهنا يتحدث عـن الذين أداروا ظهورهـم لله). لقد أسلمهم الله إلـى شهـوات داخليـة مدمـرة (رو ١ : ٢٤، ٢٦، ٢٨) لأنهـم رفضـوا أن يجعلوا الله محـور حياتهم. فالعبوديـة للخطايا الجنسية هي في الواقـع أن تضع نفسك فوق الله والآخرين.

إن القلـب المخـادع لا يهتم بالآخرين بعمق. بـدون تعليم روحي كاف عن الصراع فـي العلاقـات ، سنجد أن التمركز حول الـذات يبدو وكأنه أمر طبيعي، بل وقد نضع له المبـررات. فقد تشعـر أن فكرة الاهتمام بزوجتك، خصوصًـا عندما تكون هناك جروح فـي العلاقـات، أمر غير منطقي. قد تبرر عدم الاهتمام بهذا السؤال «لماذا يجب عليَّ أن أستمر مع هذه المرأة؟»

كثير من الرجال لا يعبرون عن هذه الفكرة علانية، لأنهم يدركون أنهم سيواجهون غضـب عنيف واحتقـار وازدراء من زوجاتهـم. ففي داخل قلبه وعقلـه قد يبرر الرجل اهتمامـه بنفسه، وهكذا تتحول المودة الكاذبة إلى إغراء لا يمكن مقاومته، ثم إلى قيد. لا يرتكـب الرجل المؤمـن الخطايا الجنسية سواء في قلبه أو فـي جسده لأنه ينبغي أن يسلـك داخل إطار القداسـة. لكنه يرتكب هذه الخطايا الجنسية عندما يستخف بحماقة بـالله وبالآخرين. أمام كل رجل اختيار من اثنيـن: الأول أن يتجاهل إرادة الله، ويعناد يسلك في طريق آدم، فيتخلى عن رجولته، يلوم زوجته، يبرر ما فعل، يهتم بنفسه، حتى يصبح الأحمق الذي يدعو للشفقة.

أمـا الاختيـار الثاني هو أن يتبـع المسيح بتواضـع وبخضـوع لإرادة الآب ويحيا ليمجـد الرب يسـوع بكل جسده. وبهـذه الطريقة سوف تكـون «اَلْمَحَبَّةُ»... «بِـلاَ رِيَاءٍ». ونكون «كَارِهِينَ الشَّرَّ (حتى الداخلي)، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ». (رو١٢ : ٩). هكذا حتى وإن شعـر الرجل أنـه مرفوض، فإنه سيختـار «إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ (حتى لو كانت هي زوجتك) فَأَطْعِمْـهُ (فأطعمها روحيًا، جنسيًـا، اجتماعيًا، في مجال العلاقـات)». (رو١٢: ٢٠). أرجـو أن تـدرك أن هذا ليس مجـال لتوجيه اللوم للزوجة. فالأنانيـة موجودة في قلب الرجـل قبـل ليلة الزفاف، وهكذا يحاول أن يبرر ما يفعلـه، وينسبه للصراعات العادية التى تحدث بين أي زوجين.

إذا فشل الرجل في أن يفعل ما هو صحيح، الأمر الذي قد يتعارض مع شهواته الأنانية، عندئذ «سيغلبه الشر». (رو ١٢ :٢١). لكن إن كان يريد أن يتمجد الله، فينبغي عليه أن يكون سبب بركة لزوجته وللآخرين سواء روحيًا أو اجتماعيًا أو حتى جنسيًا وأن يغْلِبِ «الشَّرَّ بِالْخَيْرِ».

في ضوء كلمة الله، على كل رجل أن يسأل نفسه بشجاعة «ما الذي أحتاجه روحيًا كرجل؟ ما هي نقاط ضعفي؟» كقائد للأسرة ينبغي أن يسأل نفسه بحسم لكن بروح التواضع «ما الذي تحتاجه زوجتي روحيًا؟ كيف أستطيع أن أخدم المسيح من خلال مساعدتها للنضوج؟ أخيرًا يجب على الرجل أن يسأل كأب وكجد «ما الذي تحتاجه الأجيال القادمة روحيًا؟» إن هذه هي بداية طريق الشفاء للحياة الجنسية عند الرجل، والرجولة الحقيقية. إن أولى معاني الأمانة في الزواج طبقًا لمقاييس الله هو أن يكون رجل واحد لامرأة واحدة: لا توجد أية علاقات غرامية مؤقتة أو طارئة، مغازلات، كما لا توجد نظرات وأفكار شهوانية. لعل المقياس هنا عاليًا جدًا لأنه ترتيب الله من بداية الخليقة، وهو الطريق الوحيد لتمجيد الله.

إن ما يحتاجه كل رجل روحيًا هو أن يتحد بالمسيح – الإتحاد الكامل الذي به «نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ». (عب ١٢ :١٠). ونصبح «شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ». (٢بط ١ :٤). إذا اخترنا هذا الطريق، ستتجدد صورة المسيح فينا باستمرار ونعيش بحق في حياة البر – روحيًا، جنسيًا واجتماعيًا. وبلغة أخرى، بالمباينة مع الرسالة التي تقدمها لنا الثقافة المنبثقة من أن الخطايا الجنسية هي مرض، نجد أن ما نحتاجه بحق ليس هو مجرد إشباع العلاقات، أو التنمية البشرية، أو إرضاء الذات. لكننا نحتاج بشدة إلى الشبع بالمسيح الأمر الذي يمجد الله.

الجانب الروحي في رجولتنا

يبدأ الجانب الروحي في الحياة الجنسية بالفداء، هذا الذي أسميه «الفداء الجنسي». «الرَّجَاءِ الْمَوْضُوعِ لَكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ». (كو ١ :٥) الذي ينبع من (نِعْمَةَ اللهِ التي اختبرناها بالحق) (كو ١ :٦). تقود نعمة الله الإنسان ليدرك أن «الْجَسَدَ لَيْسَ لِلزِّنَا بَلْ لِلرَّبِّ، وَالرَّبُّ لِلْجَسَدِ». (١كو ٦ : ١٣). إن الله يريد أجسادنا وسيقيمنا «وَاللهُ قَدْ أَقَامَ الرَّبَّ، وَسَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ». (١كو ٦ :١٤). لذلك إن كان جسدك ليس ملكًا لك

لذلك «مَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ لِلهِ». (١كو٦ :٢٠). ما الذي يعنيه هذا بالنسبة للرجل؟

بدون شك، أولاً ينبغي أن يكون الرجل طاهرًا جنسيًا. لا يتحد بجسده مع امرأة أخرى غير زوجته، ويهرب بتصميم من كل أنواع الزنا الجنسي (انظر ١ كو٦ :١٥-٢٠). هذا الأمر يبدأ قبل الزواج ويستمر طوال حياته الزوجية مع امرأة واحدة حتى تموت. وإن أخطأ الرجل «فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ، وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا». (١ يو ٢ :١-٢)، وهذا يشمل خطايانا الجنسية. فمن اليوم الأول لاستنارة الرجل، وتبكيته وتوبته الحقيقية، بلا شك أنه سوف يجاهد ليحيا في أمانة لله ولزوجته أو «لزوجة المستقبل». «لأَنَّ هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الزِّنَا، أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَقْتَنِيَ إِنَاءَهُ بِقَدَاسَةٍ وَكَرَامَةٍ، لاَ فِي هَوَى شَهْوَةٍ كَالأُمَمِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ». (١ تس ٤ :٣-٥).

تعلن لنا كلمة الله الكثير عن إرادة الله، والكلمات التي سأضعها أمامك وإن كانت موجهة أساسًا إلى الأزواج، لكن ينبغي أن يفهمها ويطبقها أيضًا كل الرجال غير المتزوجين «لأَنَّ الرَّجُلَ (الزوج) هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ. وَلكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا». (أف ٥ :٢٣-٢٥).

كيف نستطيع أن نتجاهل هذه المقارنة الواضحة؟ سواء رضينا أم لا، يُشبِّه الكتاب الزوج في دوره بالرب يسوع، بينما يشبه الزوجة بالكنيسة! والزوج يُشبه بالرأس والزوجة تُشبّه بالجسد.

ثم يوصي الرسول الأزواج أن يحبوا زوجاتهم بنفس محبة المسيح، وأوصى الزوجات أن يخضعن كما تخضع الكنيسة للمسيح. على الأزواج أن يأخذوا دور القيادة. يعيد الفداء الجنسي العلاقات بين الرجل والمرأة في الزواج طبقًا لهذه المبادئ. في كل أدوار القيادة للرجل، كما سنرى بعد لحظات، على الرجل أن يهتم بزوجته، وعلى الزوجة أن تقبل اهتمام زوجها بها، والأسرة عليها أن تعمل كوحدة روحية واحدة.

سواء قبلت هذا الكلام أم لا، ويغض النظر عن مدى سوء الوضع الحالي، هذه الوحدة تحوي هيكل قيادي واضح.(٢)

على الرجل أن يقود

بالنسبة للحياة الجنسية، يتحمل كل شريك مسئولية كبيرة تجاه الآخر. «مُلاَحِظِيــنَ لِئَلاَّ ...... يَكُونَ أَحَدٌ زَانِيًا». (عب ١٢ :١٥-١٦). هذه مهمة خطيرة في بيئتنا بل وفي كنائسنا التي امتلأت بالخطايا الجنسية. ما الذي نحتاجه لكي نقوم بهذه المهمة بفاعلية؟ أعتقد أن هذا يتطلب خبرة وقيادة الرجل. يعلق چون بيير ويقول «في قلب الرجولة الناضجة هناك إحساس دفين بمسئولية القيادة، هدفها أن تقدم للمرأة الحماية».(٣) وهذا الأمر ينطبق على الرجل المتزوج وغير المتزوج.

عندما يُفهم الدور القيادي في الزواج، ينبغي أن يُطبق هذا أيضًا على علاقة الرجل سواء كان متزوجًا أم لا مع المرأة. نستطيع أن ندرك المفهوم الصحيح للقيادة عندما ندرك أن دور القائد هو أن يخدم لا أن يتسلط. على كل رجل أن يتعلم من التاريخ أو من اختباره الشخصي ما هي المساوئ التي تنتج عن دوره المتسلط أو دوره السلبي. أهمل كثير من الرجال تقدير زوجاتهم، وكثير من الرجال يعاملون زوجاتهم كأنهم أدوات جنسية، وكثير منا أناني لا يفكر إلا في ذاته. لذلك فعندما ندعو الرجل ليقوم بدوره القيادي، نحن لا ندعوه ليكون مسيطرًا أو لينفذ رغباته الخاصة. في هذا الإطار وضع چون بيبر تسعة مبادئ فيها أراد أن يعالج عدم فهمنا لمعنى القيادة الحقيقية، ويقدم لنا الفهم الصحيح.(٤)

١. تظهر قوة القيادة الناضجة لا في طلب الخدمة من الشريك، لكن في تقديم الخدمة والتضحية لأجل خير المرأة.
٢. الرجولة الناضجة لا تفترض أن المسيح يطلب تسلطًا على المرأة بل حماية.
٣. الرجولة الناضجة لا تفترض أنها الأفضل، لكنها تحفز الآخر ليُظهِر مواضع قوته.
٤. الرجولة الناضجة لا تأخذ المبادرة في كل عمل، لكنها تشعر بالمسئولية في وضع الإطار العام لأي عمل.
٥. الرجولة الناضجة تقبل عبء مسئولية أخذ القرار عندما يحدث خلاف في وجهات النظر بين الزوج والزوجة، لكن لا تستغل هذا الحق في كل مرة.

٦. الرجولة الناضجة تُظهر روح القيادة من خلال علاقة رومانسية جنسية في جو من المتعة الرقيقة.
٧. الرجولة الناضجة تعبر عن نفسها في الأسرة بأخذ المبادرة في تربية وتأديب الأولاد عندما يكون الوالدان معًا أو عندما يخطئ الأولاد خطأ يستحق العقاب.
٨. الرجولة الناضجة تكون حساسة بالنسبة لتقاليد المجتمع وتتأقلم عليها (دون أن ترتكب أي خطية). الأمر الذي يجعل الرجل قادرًا على التواصل مع المرأة التي يريد أن يقيم علاقة معها، لا بطريقة عنيفة أو فاسدة لكن بنضوج ووقار كرجل.
٩. الرجولة الناضجة تدرك أن الدعوة إلى القيادة هي دعوة للتوبة والإتضاع وتحمّل المخاطر.

إن قيادة الرجل لابد وأن تسير وفقًا للإطار الكتابي. أولاً: بموقف فكري صحيح «كَذلِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ، كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الْفِطْنَةِ مَعَ الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ كَالأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً، كَالْوَارِثَاتِ أَيْضًا مَعَكُمْ نِعْمَةَ الْحَيَاةِ، لِكَيْ لاَ تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ». (١ بط ٣ :٧). هذا معناه أن في علاقتك الزوجية اسلك بفطنة (أي بطريقة تدل على فهمك لها). هذا ليس معناه أنك تحاول أن تفهم أو تعرف ما الذي لا يضايقها لتعيشا معًا حياة هادئة، وهو ليس بالطبع الحياة التي تنسحب في سلبية لمجرد أن تحفظ السلام.

في كل الأحوال ينبغي على الرجل أن يتعلم كل شيء عن زوجته طوال فترة الزواج. ينبغي أن يكون هذا الأمر واضحًا؛ افهم كيف خلق الله في المرأة الجمال الضعيف وكيف أنه من السهل عليك أن تجرحها. أنا متزوج منذ حوالي أربعين سنة من روز ماري، وأنا بطيء التعلم عندما يتعلق الأمر بفهمي للأمور، ومعرفتي أنه من السهل أن أجرحها. المشكلة أنه لدي غباء في الفكر (وهذه مشكلة قلبية) فغالبًا لا أفكر في الجروح التي أسببها لها لكن في الجروح التي قد تسببها لي. لقد حان الوقت لأكون رجلاً وأظهر بعض القوة وأتوقف عن التفكير في نفسي أولاً.

هناك تفسيرات كثيرة لعبارة «الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ كَالأَضْعَفِ». فالرجل الطبيعي هو أقوى جسديًا من المرأة، لكن لا أعتقد أن هذا الفكر ينطبق مع القرينة التي ذُكرت فيها هذه العبارة، لكن لعل المقصود هنا أن المرأة تكون أكثر حساسية للجروح التي قد يسببها لها الرجل الأحمق.

على الرجل أن يكرم زوجته باعتبارها شريكة له في ميراث نعمة الحياة من خلال تقديره لها، حنانه وأمانته. كثير من الرجال يظنون أن إكرامهم لزوجاتهم هو أن يوفوا احتياجاتهم في الحياة. وينتهي بهم الأمر أن يصبح البيت كفندق به كل وسائل الراحة. هنا يتضح أن الهدف غائب تمامًا، تعالوا بنا نرى المعنى الصحيح لمن يسدد الاحتياج، إنه الشخص الذي يبذل نفسه روحيًا ليُشبِع ويكرم زوجته.

بالإضافة إلى ذلك، ينبغي أن الرجل يقود بالطريقة الصحيحة. فقيادة الرجل في الكنيسة تعطي مؤشرًا على طريقة قيادته في البيت. قدم الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس خمسة عناصر أساسية ينبغي أن تتوفر في روح القيادة. «وَعَبْدُ الرَّبِّ لاَ يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ، بَلْ يَكُونُ مُتَرَفِّقًا بِالْجَمِيعِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، صَبُورًا عَلَى الْمَشَقَّاتِ، مُؤَدِّبًا بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ». (٢تي ٢ : ٢٤-٢٥). إن كان هذا الإصحاح موجهًا إلى قادة الكنيسة، وإلى تيموثاوس على وجه الخصوص، أعتقد أن ذات مبادئ القيادة التي ذُكرت تنطبق على علاقة الزواج.

إن موقفنا عند حدوث مشاجرة، وخاصة ما نقول وكيف نقوله، يعبر عن طريقتنا في القيادة. كم من السهل أن تكون سريع الغضب بل وساخرًا أحيانًا، خصوصًا عندما يكون الحوار مع زوجتك غير منطقي من وجهة نظرك. أتذكر أنه في كثير من المرات في حواري مع زوجتي ، كنت متأكدًا أني على حق (وفي كثير من المرات اكتشفت فيما بعد خطأي)، كنت أدرك أني سأندم فيما بعد على كل كلمة قلتها - لكني بالرغم من ذلك لم أستطع أن أتوقف عن الجدل. ينبغي أن يدرك الزوج ، هذا القائد التقي، أن لا يفعل هذا، لا تصنع خصامًا.

إن عكس أن تكون صانع خصام أو عنيف هو أن «تكون شفوقًا، قادرًا على التعليم! صبورًا! تصحح الأمور برقة». نستطيع أن نقولها بطريقة أخرى «كن مثل المسيح». تستطيع أن ترى الصورة مجسمة أمامك من خلال قصة الرب يسوع مع المرأة السامرية عند البئر. كان يسوع حازمًا ومباشرًا، لكن كانت كلماته رقيقة، حتى وهو يشير إلى خطاياها الجنسية.

على كل رجل أن يتعلم أيضًا كيف يُعلِّم بمهارة. لا أن يقول رأيه، ويُشعر زوجته أنها أقل منه، لكن يساعدها وهما يعيشان سويًا على أن تشاركه النعمة التي تعلمنا «أَنْ

نُنْكِـرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ». (تي ٢ :١٢). هذه هـي القيادة الروحية في البيت التـي تسيـر في ذات الخـط الذي رسمه لنا الكتاب في (أف ٥). تلـك القيادة التي تحب الزوجة «كما أحب المسيح الكنيسة».

وردت عبـارة « صَبُـورًا عَلَـى الْمَشَقَّـاتِ». (٢تـي ٢ :٢٤) في ترجمـة ESV بمعنى «يتحمـل الشـر بصبر»، عندما تقـول أو تعمل لك زوجتـك أمر يبدو أنه جائـر، عليك أن تتحمل بصبر ما هو شر أو ما تعتقد أنه شر (في ذلك الوقت). وفي ترجمة NIV وردت هذه العبارة بمعنى «يتحمل بدون أن يغتاظ». هناك خطايا عديدة في الزواج، لكن بعد خبرة سنوات أقول أنه لا توجد خطية تسبب أذى أكثر من الغيظ أو الاستياء. من السهل أن يجرح أحد مشاعري، لكن كم من الصعب أن أغفر له!

أخيرًا، ينبغي أن يتحلى القائد بروح الوداعة، أي يكون رقيقًا، يحسم الأمور بلطف، تعالـوا بنـا نشترك في هذه الصلاة طالبيـن أن «يَهْطِلُ كَالْمَطَـرِ تَعْلِيمِي (توجيهاتي)» وأن يكـون كلامي «كَالنَّدَى.... وكالطلِ (المطر خفيف) عَلَى الْكَلاءِ» على قلب زوجتى، «وَكَالْوَابِلِ عَلَى الْعُشْبِ». (تث ٣٢ :٢).

إن القيــادة لها قـوة عظيمة لتتميم إرادة الله ولتمجيـده، فعندما لا يغتاظ الرجل من ذلك الشخص الذي يتكلم معه بكلام قاس أو غير محترم، أو يفعل الشر أو يتصرف بخبث، ألا تظهـر مـن خلال هذه الـروح القياديـة اللطف والرقـة. أليست هذه هـي نوعية قيادة المسيح التي ينبغي أن نتمثل بها؟ ليت الرب يعطينا هذه النعمة التي تجعلنا نتمثل به.

أخيـرًا، فقيـادة الرجل ينبغـي أن يكون لها الهـدف الصحيح. سـل أي زوج مؤمن: «كيـف تحب زوجتـك؟» أغلب مـا تسمعه من إجابـات: «كما أحب المسيـح الكنيسة». مـن المدهش أن أسمع مثل هذا الرد من كثير من الرجال، لكن أعتقد أن قليل منهم هم الذين يفهمون ما الذي يعنيه الكتاب المقدس من هذه العبارة. كل شخص من الممكن أن يقتبس هـذا الجزء مـن الآية من (أف ٥) لكن يتجاهل بقيـة الآية، أن تحب زوجتك «كما أحب المسيح الكنيسة» هذا معناه أن تحبها بذات الطريقة التي أحب بها المسيح الكنيسة، وللتركيز على هذا الأمر كرر الرسول بولس هذه الفكرة ثلاث مرات في الفقرة التـي تلتهـا. ولهـذا أنا أؤمن أن كل ما يصـف كيف أحب المسيـح الكنيسة في (أف ٥) ينطبق تمامًا على الزوج!

المحبة ليست كافية

أن تكون متزوجًا هذا أكثر بكثير في كونك تحب أو تظل تحب. إن للزواج هدفًا إلهيًا، فقضاء ليلة رومانسية مع شريكتك أمر رائع لكنه أمام الغرض الحقيقي للزواج يبدو وكأنه أمر سطحي. الفداء الجنسي لا يتعلق أساسًا بالأمور الجنسية وعلاقات الزواج المُشبعة. بلا شك ستفهم هذا الأمر عندما تبدأ في إدراك أن الزواج هو صورة لارتباط الله بشعبه.

إن هذا هو أحد الأسرار المدهشة كما أخبرنا الرسول بولس في (أف٥: ٣٢) عن الحياة الزوجية. فالسر يظل سرًا حتى يعلنه صاحبه. وهكذا ظل هذا السر مكتومًا حتى أعلنه الله في المسيح. لقد اقتبس الرسول بولس من (تك٢: ٢٤) ما كتبه في (أف٥: ٣١-٣٢) وشبه العلاقة الزوجية بعلاقة المسيح بالكنيسة. إن الأمر المدهش والذي يفوق تفكيرنا هو أن الله، عندما وحّد الرجل والمرأة ليكونا جسدًا واحدًا، كان يشير إلى اتحاد المسيح بالكنيسة، التي هي جسده (أف ٥ :٢٣) يا للعجب!

الله يعمل فينا ليؤسس في شعبه مقياس القداسة التي في المسيح يسوع. فالله يعمل وينبغي علينا أن نساعد بعضنا البعض. أحد الوسائل التي ينمي من خلالها الله حياة القداسة فينا هي من خلال حياة زوجية ناضجة تقية. ينبغي أن يبدأ التدريب لمثل هذا الأمر منذ الطفولة، والمحك العملي يبدأ حين يحفظ الرجل عذريته في تقوى إلى أن يرتبط بامرأة واحدة.

كيف يحب الزوج زوجته كما أحب المسيح الكنيسة ويكون الخادم القائد في العلاقة الزوجية؟ أولاً: عليه أن يبذل «نفسه لأجلها». (أف ٥ :٢٥) كما بذل المسيح نفسه لأجلنا. إن الحراس السريين المعينين لحراسة رئيس الولايات الأمريكية يلقون بأنفسهم أمام أي هجوم ليحموا حياته. لا توجد محبة أفضل من هذه «لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ.» (يو ١٥ :١٣).

لو اعترضت وقلت: «بالنسبة لزوجتي هي لا تستحق أن أضحي بحياتي لأجلها» هنا أنت لم تفهم الأمر مطلقًا. فالرب يسوع لم يضع نفسه لأجل امرأة جميلة، رائعة. لكن من هي عروس المسيح التي بذل نفسه لأجلها؟ ربما كانت تعيش في أنانية،

لعلها كانت عاهرة، من الممكن أن تكون مارست الجنس معك في وقت ما، ثم طعنتك من الخلف أو سلبتك بعد وقت قليل.

لا يوجد زوج يستطيع أن يدَّعي أنه لا يستطيع أن يحب زوجته لأن حالتها أسوأ من حالة كنيسة المسيح (وهم في الخطية).

على مثال المسيح، يجب على الرجل أن يبذل نفسه لأجل زوجته «لِكَيْ يُقَدِّسَهَا» (أف ٥ :٢٦). يحتاج كل رجل وامرأة إلى نقاء داخلي ، لكي يكون هذا الإمداد الروحي هو هدف بذل الذات والتضحية. قد يفتخر الزوج أنه يسدد كل احتياجات زوجته المادية، لكنه يسدد القليل من احتياجاتها الروحية. أنا أؤمن بشدة في كلمة الله. أنا أؤمن أن المرأة المؤمنة ستتبع بكل طواعية الرجل المؤمن الذي سيضحي بكل شيء في سبيل أن تكون حياتها الروحية سامية. المرأة التقية بلا شك ستتجاوب مع هذا الرجل التقي! فالزوج يجب أن ينشغل لتلك المهمة إلى أن يتصور المسيح في زوجته وهكذا يتمم مشيئة الله ويمجده.

يريد بعض الرجال الضعفاء أن تتبهرج زوجاتهم ليلفتوا أنظار كل من ينظر إليهن سواء رجال أو نساء. إن هذا هو سوء استغلال للسلطة التي منحها لك الله لتساعد زوجتك أن يكون مظهرها ممجدًا لله.

الفساد الداخلي للمرأة لا يقل عن فساد الرجل. وكلاهما يحتاج إلى تطهير الروح! والرجل المؤمن الذي يقوم بعمله بأمانة هو يغسل زوجته بماء الكلمة «مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ». (أف٥: ٢٦). إن هذا هو التطهير الداخلي من الخطية الذي يتم من خلال التعليم الصحيح لكلمة الله «قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَق». (يو١٧: ١٧). إن هذا ليس معناه أن يهمل الزوج الاحتياجات الطبيعية لزوجته، لأن هذه هي مسئولية الرجل، لكن أن تحب زوجتك كما أحب المسيح الكنيسة، أكبر بكثير من أن تكون زوجتك في حالة نفسية جميلة، لكن الأمر يتعلق بالتقوى. أنه يتعلق بالمستقبل، إنه يتعلق بالاستعداد للأبدية.

سمعنا الكثير عن أن الرجال «كائنات بصرية»، وهم هكذا بالفعل، بل ينبغي أن يكونوا هكذا – لكن من خلال نظرات مقدسة، حتى يمكنهم أن يتمموا ما جاء في

(أف٥: ٢٧) «لِكَـيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَـةً (الزوجة إن كنا نقصد الرجل) مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَـا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ، بَلْ تَكُـونُ مُقَدَّسَةً (الزوجة إذا كنا نقصد الرجل) وَبِلاَ عَيْبٍ». إن الرجل التقي الذي يقوم بدوره القيادي ينظر إلى زوجته ويقول بفخر: «إن زوجتي متلألئة في طهارتها».

إن التغيير للتقوى هو عمل الله في قلوبنا وفي حياتنا سواء كنا متزوجين أم لا. لكي يتمم الله هذا العمل يستخدم «رُسُـلاً... أَنْبِيَاءَ... مُبَشِّرِينَ... رُعَاةً... مُعَلِّمِينَ.. لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ». (أف ٤: ١١-١٢). هناك قادة في الكنائس مؤهلين لهذا العمل. فالزواج من تصميم الله بغرض تمجيده، وللزوج دور مميز في القيادة.

على الرجال غير المتزوجين أن يروا الفتيات غير متزوجات، لا كأدوات جنسية ليستمتعوا بها، لكن لينظروا إليهن «مثل الكنز» الذي يكون في أحضان رجال أقوياء أتقياء. يُظهر الزوج والزوجة معًا للعالم التفرد الرائع لحق الإنجيل. ألا تتفقوا معي أن هذه القيادة الصحيحة التي صممها الله لها أهداف سامية.

الرجل الحميم

لكي تحدث الحميمية الحقيقية، نحتاج إلى القيادة الروحية والجمال الذي لا يذبل. فبينما يأخذ الرجل المبادرة في الجانب الجنسي، عليه أن يتعلم أن يكون محبًا، يتغلب على مخاوفه وإحساسه بالرفض. أما الزوجة فقد صممت لتتجاوب مع مبادرات زوجها. لهذا إذا كانت زوجتك أقل اهتمامًا بالحميمية الجنسية، لا تذهب بعيدًا عن النظر في المرآة.[٥]

قمت بخدمة مشورة لشخص (صائد نساء) أغوى أكثر من مائة امرأة. شرح لي أنه كان من السهل عليه أن يفعل هذا. لم أصدقه حتى اعترف وقال: «أنا شخص محتال، وأستطيع أن أقنع أي شخص بأي شيء. إذا استطعت أن أجعل المرأة أن تتحدث عن نفسها، وما الذي يضايقها، سأقنعها بأني أهتم بها، وبعد ذلك تكون ممارسة الجنس معها أمرًا سهلاً» كانت دوافعه فاسدة، لكن هذا الشخص برغم أنانيته فهم تصميم الله للمرأة، وأيضًا تصميم الله للدور القيادي للرجل، وبالتالي استطاع أن يستغل المرأة.

إن فهمك لطبيعة زوجتك وحبك لها «بطريقة تعبر عن فهمك» (ابط ٣ :٧) أمر حقيقي ومرتبط بخطة الله. حاول أن تطبق هذا الأمر، وبالتأكيد ستحبه!

الآن إذا بذلت الجهد المستمر والأمين لتعيش مع زوجتك بفطنة وبفهم وظهرت في حياتك ثمار الروح من خلال توبتك عن الخطايا السالفة، بما فيها الخيانة – ولم تستجب زوجتك لكل هذا، هنا أقول أنه يوجد مشكلة في القلب تحتاج إلى الفداء الجنسي. هنا عليك أن تبحث عن عدم غفران أو إحساس بالمرارة. وإذا أصرت زوجتك على أنها لا تستطيع أن تنفتح لخوفها من أن تتعرض لجروح أخرى، عليك أن تساندها أن لا تنزوي في دائرة رثاء النفس.

عند هذا المستوى من الخوف، كيف يمكن أن تستمر بفهم أو بفطنة؟ اذهب وادرس ما كتبه الرسول بولس في (أف ٥ :٢٥-٣٣)، امتلك الشجاعة لتبدأ في تطبيق الإطار الخاص بالقيادة وأنت تقدم لزوجتك الاهتمام والحب كما أحب المسيح الكنيسة. قد يظن البعض إني ساذج، لكني أؤمن بشدة بعمل الله في قلوبنا، ومن خلالنا ليظهر التغيير الداخلي أمام الآخرين. إن هذا ليس هو الوقت أن تشتري لها باقة من الزهور، قد يأتي هذا الأمر لاحقًا، عندما تحتفلا معًا بنعمة الله وحبه. الآن هو وقت للاعتراف، التوبة، التحرك تجاه زوجتك لتلمس أعماق نفسها.

كلما كان قلبها أكثر صلابة تجاهك وتجاه الحق، كلما كان من السهل عليك أن تصل إلى قلبها. إن الجفاف دائمًا يتمخض عنه عطش شديد. أنا أؤمن أن كثير من هؤلاء السيدات، دون أن يدركن، لديهن قابلية شديدة لينالوا رغباتهن من أزواجهن المؤمنين، تلك الرغبات التي من الممكن أن يقدمها رجل انتهازي. وإن كانت هذه حقيقة ، وأنا أؤمن بها، أقول أن هناك أيضًا فرصة عظيمة لله أن يعمل في قلب رجل خاطئ لكنه يعيش في طاعة. مثل هذا الزوج هو الرجل الوحيد الذي يصلح لهذا العمل.

أنت هو الرجل

إن قيادة الرجل ليست بالأمر السهل، لكنه سينال المكافأة في هذا العالم وفي الأبدية. والزوجة التي تتعامل مع زوجها المغرم بالمواقع الإباحية، تتحطم بسبب ما يشاهده زوجها. ياله من تناقض؛ زوج يسعى لخلق صورة الله في زوجته لمجد الله، وزوج يسعى لمتعته الشخصية. ما الذي من الممكن أن تضحي به المرأة لتحتفظ

بجمالها. بالتأكيد ليس هو مكياج خارجي أو عملية تجميل خارجية، إنه شيء أهم وأعظم بكثير من هذا.

فقد چيف كل شيء عندما قُبض عليه ودخل السجن. كان يحاول أن يُغري فتاة عاهرة، التي اتضح فيما بعد أنها تعمل في البوليس السري. فقد چيف خدمته، دخله، احترام كنيسته له، أصدقاءه وأسرته وكان على وشك أن يفقد زوجته ديانا. لكن استمر الزواج وبدأ چيف يعمل مع والده، واستطاع أن يسدد احتياجات أسرته المادية. يعتقد الرجال في مثل هذه الظروف أنه ينبغي عليهم أن يعيشوا بقية عمرهم دون أن يسببوا أي أذى آخر لزوجاتهم، وأن يقدموا لهم كل ما يحتاجونه. قد يبدو هذا صحيحًا وقد تستمتع الزوجة بكل هذا التدليل السطحي، لكن هذا ليس بديلاً للقيادة الروحية الناضجة. إن الزوج القائد ينبغي أن يحيا الحياة الطاهرة الملتزمة ليرى زوجته وهي تتغير من الداخل للخارج لتظهر صورة الله.

كرر الرسول بولس ما كتبه في (أف ٥ :٢٥) في (أف ٥ :٢٨) عندما قال: «مثلما، على هذا المثال» (ترجمة كتاب الحياة)، ينبغي «عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ». قد يقرأ الرجل (أف ٥ :٢٥-٢٧) ويتساءل كيف يمكنه في هذا العالم أن يكون القائد الخادم مثل المسيح، لعل بعض الرجال يقولون: «لكن ليس أمامي مثل حي أحتذي به، كيف يمكنني أن أفعل هذا؟»

إن ردي الذي أردده على هذا التساؤل: «أنت رجل! الرب يسوع هو مثلك، توقف عن الأنين، كن رجلاً، وستستطيع أن تتم هذا». نعم إنها مهمة صعبة، لكن هذه هي الصورة التي كوِّن عليها الرجل ليكون على صورة الله. إن الله يشكلك على صورته من خلال قبولك التحدي اليومي

دعونا نصلي هذه الصلاة:

يارب يسوع

انعم عليَّ بأن تكون أنت قائدي

استظلّ بارشادك ومعونتك بل وبكلمتك

دع الرحمة تتبعني طوال أيام حياتي

وساعدني لكي أسلم ذاتي لك.[٦]

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. ما الذي تحتاجه كرجل روحيًا؟ ما هي مواطن الضعف فيك؟

٢. ما الذي تحتاجه زوجتك روحيًا؟ كيف تستطيع أن تخدم الرب من خلال مساعدتها لتصل إلى مرحلة النضوج؟

٣. هل تستطيع أن تصلي الصلاة السابقة من أعماق قلبك؟ إن لم تستطع فلماذا؟

٤. هل أنت مستعد لهذا التحدي أن تكون قائدًا تقود باتضاع وبقوة وبشجاعة؟

الفصل الحادي عشر

الجانب الروحي في الجنس لدى المرأة

إحفظني من أن أفكر عاليًا في نفسي أو في عملي
فأنا لست إلا إنسانًا خاطئًا ضعيفًا
فلا يسكن فيَّ شيء صالح، وأفضل أعمالي هي خطية.
قبل كل شيء، علمني أن أتضع أمامك في التراب
انزع كل حشائش البر الذاتي الضارة من حياتي
اجعلني مدركًا لطبيعتي الشريرة[1]

حان موعد لقائي مع چيم وكاري مرة أخرى. ذهبت إلى مكان الانتظار ورأيتهم جالسين في مقعدين منفصلين بدلاً من يجلسا على كنبة واحدة، الأمر الذي استنتجت منه أن هناك شيء ما. فإن كان الزوجان يجلسان معًا فهذا معناه أنهما «استوعبا» جوهر ما تعلماه، لكني لاحظت أنه يبدو عليهما علامات الراحة مقارنة بمقابلتي الأولى معهما، وهذه علامة ايجابية.

سرنا معًا إلى مكتبي، وبعد تعليقات قليلة عن حالة الجو سألتهما: «حسنًا، كيف تسير الأمور؟ ما الذي يسيطر على قلبيكما هذا الصباح؟ هل حدث أي شيء في علاقاتكما أو حياتكما الروحية؟» ابتسمت وأنا أرتشف من فنجان القهوة واسترخيت على مقعدي.

بدت على كاري علامات القلق وهي تجلس على حافة كرسيها، وبدأت الحديث وقالت: «دكتور شومبرج، هل قرأت تاريخنا؟» كانت تشير إلى الورقة التي كنا نعطيها لكل شخص وكنا نسأل فيها عن بعض التفاصيل وكان عليه أن يكتبها ويعيدها لي قبل أن نجلس معًا الجلسة الثانية. ثم أكملت حديثها وقالت: «هل تعلم أن والد چيم كان سكيرًا؟ هل سنتجاهل أهمية هذا الأمر؟»

أجبت وقلت: «نعم لقد قرأت تاريخكما وأنا مدرك كل هذه التفاصيل من خلال ما كتبه چيم، لماذا أنت تهتمي بهذا الأمر؟»

نظرت إلى چيم نظرة تحمل معنى الارتباك أكثر من الغضب وقالت: «في الواقع أنا لا أعرف على وجه التحديد لماذا أسأل هذا السؤال، لكنني لا أستطيع أن أفهم لماذا لم يستطع أن يتوقف عن مشاهدة الأفلام الإباحية؟»

عند هذه النقطة، تكون الزوجة قد بدأت تشعر ببصيص من الأمل، مع أنها مازالت ممتلئة بالخوف. أعتقد أن هناك حوارًا جيدًا أو أكثر قد تم بين چيم وكاري، وفيه استمعت كاري إليه وهو يعبر عن أشياء لم تسمعها منه من قبل.

سألت: «كاري، يبدو لي أنك تشعرين بالعصبية، وربما بعض الخوف. هل هذا صحيح؟»

«حسنا، أعتقد أننا حققنا بعض التقدم، لكن كيف أعرف على وجه التحديد إن كان قد تغير أم لا؟ لقد وعدني من قبل، لكنه لم يف بوعوده. كيف أستطيع أن أثق به؟»

وجدت أن الوقت قد حان ليشترك چيم معنا في الحديث فقلت له: «چيم، ما رأيك في كل هذا؟ كيف تسير الأمور معك؟»

«إن ما علمتنا إياه هو أن هذا الأمر يتعلق بالقلب، وهذا يعني الكثير بالنسبة لي. أعتقد أني أدرك هذا الأمر بعمق. ليس أمامي طريق محدد لأسلكه. من قبل كنت أضع لنفسي القوانين، وكلها مرتبطة بأنانيتي. لكني الآن أستطيع أن أفهم لماذا تشعر كاري بمثل هذا الشعور».

ردت كاري وهي تضع بعصبية رجلها على الرجل الأخرى، بينما تنزع الغطاء من على زجاجة الماء وقالت: «لا... أنت لا تفهم!»

تجاهلت رد كاري هذه اللحظة، حتى أُنهي الحديث مع چيم، وسألته هل لعب الشطرنج، وأجاب أنه فعل ذلك.

سألته: «هل سبق لك ولعبت لعبة الشطرنج وكان المنافس لك هو جهاز الكمبيوتر؟»

أجاب: «نعم، وكان الكمبيوتر دائمًا هو الفائز!»

قلت له: «چيم، لقد انتهت اللعبة، فأنت قد خسرت. في مباراتك أمام الله وبحسب قوانينه، هذا معناه أنك ستخسر دائمًا. حان الوقت للخضوع التام لإرادة الله، وهذا معناه أن تُخضع إرادتك له».

«هل تعرف يا دكتور شومبرج، أنه باستطاعتك أن تكون قائدًا في الكنيسة دون أن تعيش وفقًا لإرادة الله. أعتقد أني فهمت الدرس، أنا لست ملكًا لنفسي، والآن ينبغي أن أحيا حياة الطاعة».

نظرتُ مباشرة إلى عيني چيم، وأكدتُ على ما قاله بهزة رأسي. ثم التفتُ إلى كاري وسألتها: «كاري، ما هي مخاوفك الحقيقية؟ هل أنت تقدرين الله التقدير الكافي؟ يبدو أن الله يعمل في حياة چيم. هل تتجاهلين ما يمكن أن يحدث؟»

لم تجب على الفور، وبدأت دموعها تنساب من عينيها. لفت انتباهها إلى علبة المناديل الورقية. كنت أفهم حالة الضعف التي تمر بها. فالعالم الذي كانت تظن أنه آمن اكتشفت أنه ممزق ومهلهل. هل يمكنها أن تثق أن هناك عالم أفضل سوف يأتي كنتيجة لكل هذا الألم؟ كانت تحتاج أن ترتمي في أحضان الله الآب المحب الذي يعطيها الضمان، بل بين ذراعي ذلك الرجل الذي سبب لها ذلك الألم البالغ، لكن كان عليها أن تأخذ هي هذا القرار.

▬ ▬ ▬ ▬

البداية الصحيحة لتعرف المرأة الجانب الروحي للجنس لديها هو إدراكها أولاً لمصدرها ومركزها في المسيح. إن الخطأ المميت في عصرنا هذا هو أننا نركز أولاً على الألم الناتج عن فقد المودة، ثم بعد ذلك نبدأ في محاولة ضبط العلاقات. نحن نقف مبهورين أمام جمال خليقة الله، إلا أن المرأة التي خُلقت على صورة الله بالطبع هي أكثر إبهارًا! من خلال تميزها الأنثوي تعلن عن جزء من مجد الله لا يستطيع أحد غيرها أن يعلنه.

كانت ليديا امرأة نشيطة تعمل باجتهاد، وكانت أم وزوجة تقدس عهود الزواج.

لمدة خمسة وثلاثين عامًا، كانت تعتقد أن زوجها هوارد أمينًا لها ولعهودهما، إلى أن اكتشفت أنه على علاقة جنسية مع أعز صديقاتها. كشف اعتراف هوارد عن تاريخ طويل من الخيانة، الأمر الذي حطمها وجعلها تتمنى الموت. لم تكن تريد أن تموت جسديًا، لكنها لم تكن تريد أن تشعر بمثل هذا الألم النفسي مرة أخرى.

لم تكن حالة الإحباط أمر غريب بالنسبة لليديا. كان هوارد يلبي كل احتياجات الأسرة، لكن كانت لديه قناعة أنه كلما قلل من كلامه، خصوصًا مع زوجته، ستكون المشاكل أقل. لم تكن علاقتهما معًا علاقة حميمة على الإطلاق، ولم تشعر ليديا يومًا من الأيام بأنها مدللة من هوارد، بل عاشت كل حياتها الزوجية وهي محرومة من هذا الأمر. لجأت للمشورة، لكنها لم تتخلص من صراعها الداخلي. كانت في أعماقها تريد أمرًا واحدًا، لكنها لم تستطع الحصول عليه.

بعدما اكتشفت خيانة زوجها، بدأت تتحدث إلى نفسها بالمنطق وتقول: «سأعيش حياتي لنفسي» لكن رغباتها التي لن تموت، كانت تشدها في اتجاه ما كانت تتوق إليه. نصحها كثير من أصدقائها وآخرون أن تكون لها حياة خاصة بها. فكرت في اقتراب موعد تقاعدها عن العمل، لكنها تساءلت: هل ستتقاعد وتعيش مع هوارد، عدوها؟ كيف يمكنها أن تعيش مع رجل، سبب لها مثل هذه الإساءة البالغة ومن الممكن أن يكرر الأمر مرات أخرى؟ لكن في ذات الوقت كيف تستطيع أن تعيش بمفردها؟ لا من الناحية الجسدية فحسب، بل في وحدة الإنعزال؟ كيف تستطيع أن تعيش بدون إشباع لاحتياجها في أن تكون معززة ولا تتحطم تحت وطأة ألم حاجاتها غير المُشبعة؟

نظر الكاتب هنري نيوين إلى هذا السؤال من منظور مختلف وقال: «ماذا تعمل لهذه الجروح الداخلية التي من السهل أن تنزف مرة أخرى بمجرد لمسة خفيفة؟ لا أعتقد أن هذه الجروح – الحاجة الماسة للتعاطف الوجداني (أن تكون مكرمة) والخوف العميق من الرفض – ستلتئم. إنها ستظل موجودة، لكن ربما تكون مفيدة. ربما تكون هذه الجروح هي الباب المؤدي إلى طريق الخلاص، الباب للمجد، والدرب الذي يؤدي إلى الحرية».[٢]

الاستماع إلى الصوت الصحيح

منذ البداية وعبر التاريخ تكلم الله (عب ١ :١–٢) وأعلن مشيئته لكل الناس. لم يصمت الله أبدًا، خصوصًا في هذه الأيام، فالله تكلم لنا «فِي ابْنِهِ» (عب ١ :٢).

كان الأمر يستلزم من آدم وحواء أن يستمعا بإصغاء لصوت الله وأن يطيعاه. إلا أن عصيانهما في الجنة قادهما إلى الموت. نفس هذا المشهد يتكرر كل يوم ، من خلال اختياراتنا التي نختارها. كيف يمكن أن نتحول من موقع إيماننا وإتباعنا لإرادة الله إلى عدم أمانتنا للمسيح ولبعضنا البعض؟ الإجابة ببساطة عندما نصغي إلى الصوت الخطأ والرسالة الكاذبة، فنحن ضعفاء مع عدونا الذي يهمس لنا ويقول كما فعل مع حواء: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» إن التشكيك في كلمة الله، يُضعف ثقتنا في الكلمة وسلطان الله من خلال الكلمة.

إن رغبتنا لنكون منطقيين وحكماء في فهمنا الخاص للحياة جعلنا نتساءل بل ونتشكك في حكمة الله الأزلية وجعلنا نعصى إرادته. فوصايا (أوامر) الله لا ينبغي أن تتقلص إلى مجرد سؤال (قضية للحوار)، حتى لو فعلنا ذلك بطريقة مؤدبة وبريئة. فما يبدو منطقيًا أمام أعيننا، خصوصًا لو وضعناه في قالب سؤال، قد يجعلنا نشك في دوافع وإخلاص بل ورحمة الله. بمجرد ما نصل إلى هذا المستوى، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالخطية، نبدأ في إنكار سلطان ومُلك الله، ولا نثق في مشيئته. عندئذ قد ننخدع ونظن أن تحذيرات الله لنا ليست جادة (أي وهم) ونتقبل فكرة أنه لا توجد في الواقع أية عواقب لعدم الطاعة. ويتقبل القلب والذهن تلك الأكذوبة القديمة التي انخدع بها آدم وحواء عندما قالت لهما الحية: «لَنْ تَمُوتَا!». (تك ٣ :٤)

عندما نواجه مواقف صعبة، ونكون على استعداد لعمل أي شيء لنهرب من هذه المواقف، تصبح رغباتنا هي الأصعب في مواجهتها. فعندما تبدو اختياراتنا منطقية خصوصًا عندما تتفق مع رغباتنا الدفينة وتكون هي الوسيلة الوحيدة لإشباع تلك الرغبات، عندئذ لا نستطيع أن نقاوم التجربة.

في الألم نميل للاتكال على المنطق (الفطرة) أكثر من اتكالنا على الله. إن كانت الفطرة لا تضيف إلى أنانية طبيعتنا الشريرة، خصوصًا عندما نستخدمها كطريقة مختصرة تساعدنا على الخروج من المواقف السيئة، إلا أن الحكيم يضع أمامنا حقيقة قلب الإنسان عندما يقول: «تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً، وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ الْمَوْتِ». (أم ١٤ :١٢).

في الأوقات التي تمرّي فيها بعلاقات صعبة، قد يأخذ المشير، الصديق بل وحتى

الراعـي دون أن يدركـوا دور المجرِّب، فقد يسألـكِ أحدهم هذا السؤال: «هل يريد الله لكِ أن تعانـي مثـل هذه المعاناة في علاقتـك الزوجية؟» تستمع الزوجة إلـى السؤال وما يحملـه مـن معاني باهتمام وفضول. لكن يدور في داخلها هذا السؤال: «كيف أستطيع أن أتركه، وأنا قطعت على نفسي عهدًا أن أظل معه حتى الموت؟»

يعود المجرِّب في صورة الشخص الذي يقدم نصيحة، ويقول: «تذكري، لديك أسباب قويـة للطـلاق». فالمرأة غير متأكدة من مدى صدق هذه المشـورة التي استمعت إليها، لكـن لديهـا الرغبة في أن تتحرر مـن الألم، وتحصل على قدر مـن الراحة. رويدًا رويدًا تضعـف أكثـر أمام رقـة واهتمام الرجل سـواء كان مشيـرًا، أو صائدًا للنسـاء أو حتى صديقًـا محبًـا. تلمع أمامها فكرة الزواج مرة أخرى، لتبـدأ حياتها من جديد مع شريك محب «يفهمها بصدق».

أعتقـد أن مثـل هـذه الكلمات ستثيـر تساؤلات لـدى الكثيرين، لهذا وجـدت أنه من الأفضـل أن نتنـاول فـي هـذا الجزء من الكتـاب بنوع مـن التفصيل موضـوع الطلاق والـزواج للمـرة الثانية. لمدة ثلاثين سنة من خدمتي فـي مجال المشورة، كانت تحمل كلمـة الطلاق بالنسبة لـي إحساسًا عميقًا بالأسى، الغضب، الذنب، والإحباط. أعتقد أن مـوت الشريـك أو أحد الأولاد هو الشـيء الوحيد الذي يفوق الطلاق فـي تأثيره المدمر. فالمـوت يسبـب ألمًا عميقًا لكنـه نهائيًا. لكن الطـلاق يسبب ألمًا يعـاود الإنسان مرة ومـرات، وهـو بمثابة جرح العلاقـات الذي لا يندمل بل ينزف بيـن الحين والآخر. من خـلال خبرتي ومن خـلال ما تعلمته من كلمـة الله، أستطيع أن أقـول أن الطلاق يمزق النسيـج الرائـع المكوَّن من الرجولـة والأنوثة. إن عملية الطلاق تُحـدثُ جروحًا تستمر طـوال العمـر، وهي تقلـب الأمور رأسًا على عقـب، فيكون هنـاك شعـور مستمر بالذنب، ويعيش الشخـص في وحدة قاتلـة، وينشأ صراع حول حضانـة الأطفال، بل مع الأب أو الأم البديلـة، ويكـون هنـاك صراع حول المال. أمـام كل هذه الحقائق رأيت تجاوب الكنيسـة من خلال محورين. في أغلب الحالات، تقدم الكنيسة الدعم المصحوب بالحب والإرشـاد للمطلقيـن. أما المحور الثانـي، فهو نـادر وقد يُساء فهمـه. فعلى الكنيسة أن تقـدم تعليمًا عن كراهية وبغض الطلاق (ليس المطلقين) وتشرح كتابيًا لماذا لا يتفق الطـلاق مـع إرادة الله. ومع كل هـذا سيصر النـاس على أن الطلاق هـو الشيء الصحيح الذي عليهم أن يتخذوه، وسوف يحل الخراب على الأجيال القـادمة. نحن نريد أن تتبنى الكنيسة هذين الإطارين في هذه الأيام، وتعمل العمل بأمانـة لمجد الله.

ومن دراستي لكلمة الله، أصبحت لدي قناعة منذ عدة سنوات بكلمات چون بيبر:

إن معنى الزواج هو علاقة لا يملك أي إنسان من وجهة النظر القانونية أن ينهيها. فالمعنى الأسمى للزواج هو تعبير عن عهد الحب بين المسيح وكنيسته. لذلك فالمعنى الحقيقي للزواج أن تمارس هذه الحقيقة وتظهرها. هذا هو الهدف الرئيسي للزواج. نعم هناك أهداف أخرى لكن هذا هو الهدف الأساسي للزواج.

لهذا ، إن افترضنا أن المسيح يمكن أن يتخلى عن كنيسته وينبذها، عندئذ من الممكن أن يطلق الرجل امرأته. وإن رفضت الكنيسة التي اقتناها المسيح بدمه، تحت ظل العهد الجديد، أن تكون عروسًا للمسيح، فهنا قد يكون للزوجة الحق أن تطلق زوجها. لكن طالما أن الرب يسوع يحفظ عهده مع الكنيسة، وأن الكنيسة من خلال نعمة الله مستمرة لتكون الشعب المختار للرب يسوع، لذلك فالمعنى الحقيقي للزواج يتضمن: ما جمعه الله لا يفرقه إنسان.[٣]

أستطيع أن أشعر بقلبي وبذهني بل وبكل جزء من جسدي بمدى الألم والخراب والدمار الذي يحدث عندما ندمر عمل الله. علينا أن نتعلم أن نحزن من أجل خطورة ما نعمل وما يعمله الآخرون! ثم علينا أن نبكي طالبين الرحمة لأنفسنا ولمن حولنا.

لا عجب إن كان الرب يسوع والرسول بولس اتفقا معًا على هذا الأمر. إن الجسد الواحد في الزواج ليست عمليه خلق نجريها من خلال تخطيطنا ومشاركتنا في ليلة الزفاف. إن هذه الوحدة هي عمل الله الآب، لا عمل العريس أو العروس، أو حتى الكاهن أو الراعي. يقول الكتاب في (مر ١٠ :٨-٩): «وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ». لا توجد كلمات أروع وأهم من هذه الكلمات ينبغي أن تلفت نظر الزوجين المؤمنين في ليلة زفافهما، بل وباقي أيام عمرهما.

بعد أن قدمت بعض الأفكار، أريد أن أعود مرة أخرى للموضوع الأساسي لهذا الفصل. وتستطيع أن تقرأ أكثر عن الطلاق في الملحق رقم.[٥]

هنـاك بديـل آخـر للتصالح مـع زوجها، وهـو أن تغلق المـرأة علـى رغباتها التي صنعهـا الله فيهـا، الأمر الذي قد يدمر نفسها بل وأنوثتها. إلا أن الدافع لكي تتحكم في ألمهـا يهزمها داخليًـا ويقودها من ألم إلى ألم أكبر. أضرارهـا أن تتحكم في الظروف، وفي الرجل الذي سبب لها الأذى، يجعلها تعاني من أوجاع في قلبها تنتشر لتملأ كل كيانها.

كانـت ليديـا واحدة من أكثـر النساء اللاتـي قابلتهم في حياتـي ممتلئة بالغضب والمـرارة. كانـت ممتلئة بالغيظ وعـدم الغفران لزوجها. عندمـا التقيت بالزوجين في جلسـة المشـورة، أدركت أن هـوارد وليديا يعيشان في حالة مـن الغضب المستمر. فقد كان زوجهـا يخونها مع أعـز صديقاتها لمدة عشرين عامًا. سألتهـا برقة: «ليديا، هل غفرت لهوارد أبدًا؟» أدهشتني إجابتها. لقد أجابت على السؤال من خلال قسمات الوجه القاسيـة والسـم الذي ينفث من فمها، وقالت بتحدي: «نعم، في عام ١٩٨٨!» وكان هذا هو التاريخ الذي اكتشفت فيه الخيانة لأول مرة.

أريـد أن أذهـب بعيـدًا وأقول أن المـرأة المؤمنة الغافرة، ينبغـي أن تفهم أنه في كل مشـاكل العلاقات، سوف يحميها الله ويحفظها حتى تستطيع أن تُظهر جمال خليقة الله بالرغـم من الألم. الهروب من الألم ورفض التعامل معه نوع من الحماقة يقف حائلاً أمـام فهمنـا «مَا هِيَ مَشِيئَةُ الـرَّبِّ» (أف ٥ :١٧). إن تعليم الرب يسـوع عن الغفران يتخطـى الأفـكار العصرية التـي تركز على ذواتنا في هذا العالم، بـدلاً من أن تركز على استعادة علاقتنا مع الله. «فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ». (مت٦: ١٤–١٥).

لقـد تمم الله إرادتـه من خلال الخطية الفظيعة التي ارتكبهـا إخوة يوسف. ففي كل أنمـاط الخطايـا، حتى في خطايـا الخيانة، هنـاك تحدي ومخاطرة كبيـرة تنتظر كل شخص له علاقة بهذا الأمر حتى لو كان هذا الشخص هو ذلك الحفيد الذي لم يولد بعد. أراد أخوة يوسف أن يقتلوا الأحلام وصاحب الأحلام، لكن الله كان متحكمًا في الأمور لا مجـرد الصدفة. في محاولتهم الوحشية لقتـل أخاهم، نجد هؤلاء الأخوة الذين امتلأ قلبهـم بالغيـرة المرة والغضب ساهمـوا في تحقيق أحلامه. كان عمـل الخطية الحقير الـذي ارتكبـوه ضد واحد من دمهـم ولحمهم، نابعًا من أنانيتهـم وقلبهم المخادع. في ذات الوقت استخدم الله هذا العمل الحقير، لينفذ إرادته الصالحة «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا،

أَمَّــا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا، لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ، لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا». (تك ٥٠: ٢٠). من خلال هذه الآية ندرك «أنه في ذات العمل الشرير، هناك خطتان: في عملهم للشر، كانوا يخططون للشر، وفي ذات عملهم للشر، كان الله يخطط للخير».(٤)

علـى ذات المنـوال، مـا فعلـه هوارد ضـد ليديـا، كان لله خطة رائعة لهمـا. الله هو المتحكم في الأمور لا الصدفة، والله في حكمته الأزلية «يقصد به خيرًا». الألم هو نوع مـن دينونـة الله، إنه حقيقة عادلة من حقائق الحياة حتى وإن لم نكن نريده فهذا ليس معناه أن نقول أنه لا يجب أن يحدث. يدرك كل إنسان أن الله لا يخطئ، ولا يسئ إدارة الأمـور.إن الفداء الجنسـي مؤسس على أساس النعمة. ما الذي يريـد أن يعلمنا إياه الله عن ذاته، وعن التقوى في ظل عدم الأمانة الزوجية المفزعة؟

الجانب الروحي في الجنس الأنثوي

لقد هيأ الرب يسوع الطريق لنكون واحدًا فيه، فهو رأس الكنيسة، وله مكان القيادة. نحـن ككنيسة نخضع للمسيـح (أف ٥ :٢٤). على الرجل في قيادته المتمثلة بالمسيح، أن يأخـذ المبـادرة لخلق جسـد واحد مقدس من خـلال علاقة الزواج. وكمـا تستجيب الكنيسة، هكذا تستجيب الزوجة لزوجها في خضوع.

نحـن معرضون لخـداع القلب الذي يجعلنا نستمع إلى الأمـور التي نريد أن نستمع لهـا. فعندمـا نحكِّـم المنطق في الألـم الذي نمر به، قـد يعمينا عن الحـق ويتركنا في الظلام. إن أصعب زوجين في مجال المشورة هما هذان الزوجان الذي يعتقد كل منهما أن شريكـه هـو الذي يحتـاج أن يستمع ويتغير. في كثيـر من المرات في مجال المشورة أرى بصـورة واضحـة عمل الله في قلب وحياة الرجل، فتحدث استنارة وتبكيت وتوبة حقيقية. ثم تأتي الزوجة وبنبرة صوت حادة، كما لو كانت أمه التي توبخه وتقول له: «هل فهمت ما قاله دكتور شومبرج لك؟» وبينما تقذف بهذه الكلمات من فمها، تستدير وتطوي ذراعيها وتنظر نظرة معناها «لن يستوعب أبدًا!»

ما يقلقني بعمق لا أنها تنتقص من قدر زوجها فقط ، بل إنها لا تقدِّر فاعلية عمل الله في حياته. هناك أوقات في حياة المرأة يتحدث فيها الله لقلبها. لكن هذا هو الوقت الـذي يجـب أن تتوقف فيـه عن الاستماع لزوجهـا وهو يتجاوب مـع طريقة تفكيرها، وتستمع بدلاً من ذلك لصوت الله.

اخضعي له

إن فكرة الخضوع من الممكن أن تكون كريهة عندما لا نرى ولا ندرك عمل نعمة الله. ما جاء في (أف ٥ :٢٢-٢٤) هو وصية من الله، لا من البشر، ولا من معلم أو مشير. نحن لا نستطيع، إلا إذا كنا نريد الأذى لأنفسنا، أن نتجاهل الدور الرائع للزوج في قيادته والاستجابة الرائعة للزوجة في خضوعها. «أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ، لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ. وَلكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ». (أف٥: ٢٢-٢٤).

وإذا نظرنا إلى هذه الأعداد ببساطة، بغض النظر عن ما تحمله من خبرات سابقة أليمة من الرجال، نستطيع أن نرى أنه كما لا يستطيع أي شخص مؤمن أن يتجنب الخضوع للمسيح، كذلك لا تستطيع أي زوجة أن تتجنب الخضوع لزوجها. وطبقًا لما جاء في (أف٥: ٢٢-٢٣) هناك مسئوليات على الرجال، مثل مسئوليات المسيح. بينما مسئولية المرأة مثل مسئولية الكنيسة. ولا يمكن تبديل الأدوار، تمامًا كما لا يمكن تبديل دور المسيح والكنيسة.

هكذا فالكتاب المقدس يبعدنا تمامًا عن مجرد التفكير في تبديل أدوار الزوج والزوجة. فالزوج ينمو في المحبة على مثال المسيح، والمرأة تنمو في الخضوع على مثال الكنيسة، ودور كل من الرجل والمرأة لا يتبدل. قال دكتور فرن س. بويثرس أستاذ العهد الجديد في كلية لاهوت ويستمينستر: «إن الكتاب المقدس يتضاد مع فلسفة التحرر الأصولية التي تنادي بأن أدوار الرجل والمرأة قابلة للتبادل في كل شيء وأن تكوينهم الجنسي ليس له علاقة بأدوارهم».[٥]

الأنوثة الناضجة

تتمثل الأنوثة الناضجة في التجاوب مع إرادة الله. كتب چون بيبر «في قلب الأنثى الناضجة، هناك ميل بلا تحفظ لتأكيد وقبول وتعزيز فكرة قبول القيادة والقوة من رجل جدير بهذا الأمر، بطرق تتناسب مع العلاقات المختلفة للمرأة».[٦] قدم لنا بطرس إطارًا عظيمًا لرد فعل الأنوثة الناضجة عندما قال: «كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ». (١ بط ٣ :١) وكلمة «كذلكن» تعود بنا إلى المبدأ العام للخضوع الذي نراه في (١ بط ٢ :١٣)، فخضوع الشخص هو «مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ» لأن هذا الأمر يمجد المسيح أمام الآخرين وفي هذه الحالة أمام الزوج العاصي.

فـي أيام الرسـول بطرس، وطبقًا للقانـون الروماني، كانت على الزوجـة أن تتبع دين زوجها. كانت المرأة التي تقبل المسيح تُعتبر مثل الزانية، غير أمينة لزوجها، وتُسبب العار للعائلـة. فـي مثل هذه الظروف، تُـرى كيف تتصرف المـرأة التقية المؤمنـة؟ كان اهتمام المرأة الأساسي كيف تعلن الحق أمام زوجها المتقسي القلب، الخاطئ. كانت المهمة صعبة بل ومرعبة فهذه الزوجة التي يعصى زوجها كلمة الله، مثل الزوجة التي يخونها زوجها.

امرأة بطرس الأولى ٣

كَذلِكُـنَّ أَيَّتُهَـا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَـاتٍ لِرِجَالِكُنَّ، حَتَّـى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لاَ يُطِيعُـونَ الْكَلِمَةَ، يُرْبَحُونَ بِسِيـرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَـةٍ، مُلاَحِظِينَ سِيرَتَكُنَّ الطَّاهِرَةَ بِخَوْفٍ. وَلاَ تَكُنْ زِينَتُكُنَّ الزِّينَةَ الْخَارِجِيَّةَ، مِنْ ضَفْرِ الشَّعْرِ وَالتَّحَلِّي بِالذَّهَـبِ وَلِبْسِ الثِّيَابِ، بَلْ إِنْسَانَ الْقَلْبِ الْخَفِيَّ فِـي الْعَدِيمَةِ الْفَسَادِ، زِينَةَ الرُّوحِ الْوَدِيعِ الْهَـادِئِ، الَّذِي هُوَ قُدَّامَ اللهِ كَثِيرُ الثَّمَنِ. فَإِنَّهُ هكَذَا كَانَتْ قَدِيمًا النِّسَـاءُ الْقِدِّيسَاتُ أَيْضًـا الْمُتَوَكِّلاَتُ عَلَـى اللهِ، يُزَيِّنَّ أَنْفُسَهُـنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِـنَّ، كَمَا كَانَتْ سَارَةُ تُطِيعُ إِبْرَاهِيمَ دَاعِيَةً إِيَّاهُ «سَيِّدَهَا». الَّتِي صِرْتُنَّ أَوْلاَدَهَا، صَانِعَاتٍ خَيْرًا، وَغَيْرَ خَائِفَاتٍ خَوْفًا الْبَتَّةَ. (١بط ٣ :١-٦)

هنـاك وقت ينبغي أن تلتزم فيه الصمت ولا تتفوه بـأي كلمة، حيث يتحدث الصمت فـي هذه الحالة عاليًا «يُرْبَحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَـاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ». (ع١) إن أعلى الكلمات التـي نسمعهـا تـأتي من امـرأة تسلك سلـوكًا نقيًا راقيًـا، فيستخدمهـا الله لينير القلب القاسـي فيصغـي لكلمة الحـق، هذه هـي القـوة الأنثوية فـي أفضل مظاهرهـا وأجمل معانيها، القوة التي تُستخدم لمجد الله.

مـرة أخـرى يكشـف لنا الرسـول بطرس في (١بـط) أن الرجل «كائـن بصري» من المفترض أن يـرى الجمـال الحقيقي – الذي يلاحظه الله أيضًـا! في ضلالنا الجنسي الـذي يضع في اعتباره كون الرجال كائنات بصريـة، انحدرنا إلى حيث ينظر الرجال بنظرة شهوانية، وهكذا تخلت المرأة عن الاحتشام لتشبع نظرات الرجل الشهوانية. هنـا أقـدم سؤاليـن: هل نؤمـن بسلطان كلمة الله؟ ما الذي يجذب نظـر الرجل؟ إن ما تظهره خارجيًا في صمت هو «زِينَةَ روح الوداعة والهدوء» (ع٤).

علـى عكس ما نعتقـد نحن به وما يعتقـده الكثيرون، المظهـر الخارجي ليس هو

الفيصل. فالمظهر الخارجي الجميل قد يشوه غرض الله إذا لم يكن تعبيرًا عن «الجمال الذي لا يذبل» (ع ٤).

لا أؤمن بوصفات تساعدنا على التغلب على خطايا القلب، لكني أجد أن هذه الوصفات قد تكون قريبة جدًا من الواقع العملي لحياة شخص تمتع بالفداء الجنسي. فإن كنتِ امرأة يخونها زوجها، سواء بالقلب أو بالجسد، قدمي له ما لا يمكن أن يقاومه. فمن خلال التغيير الحقيقي الذي أجراه الله في حياتك، أنت تمتلكين ما يريده زوجك، وبذاك تستطيعي أن تدخلي في منافسة بما في داخلك من صفات. لذلك كوني تلك المرأة التي تظهر الجمال الداخلي الذي لا يفنى!»

أستطيع أن أسمع اعتراض زوجة على هذا الكلام فتقول «لقد حاولت، لكن هذه الطريقة لم تنجح».

للرد على هذا الاعتراض أقول أولاً: إني أرى سيدات لديهن دوافع خاطئة في محاولتهن تنفيذ هذا الأمر. تستطيعي أن تحاولي أن تكوني هذه المرأة التي يتحدث عنها (١ بط ٣) بهدف أن يتوقف زوجك عن الخيانة، وبالتالي تتخلصين من مزيد من الألم وتحفظين أسرتك من الانهيار. أو قد تحاولي هذه المحاولة، لأنك تكرهي الخطية التي تدمر نفس زوجك. لا تتسرعي في الدفاع عن دوافعك، لكن اطلبي من الله أن يوضح لك حالة قلبك الحقيقية.

ثانيًا، وهو أمر مرتبط بالفكرة الأولى، كم من الوقت أنت في هذه الحالة من النقاء والاحترام؟ إن امرأة ١بط ٣ هي امرأة تغير قلبها، وظهر ثمار هذا التغيير خارجيًا. إن تحقيق هذا الهدف لا يتم سريعًا أو في لحظات، لكنه عمل يستمر طوال العمر لأجل مجد الله. لأن «إِنْسَانَ الْقَلْبِ الْخَفِيَّ». المتزين بزِينَةَ بروح الوداعة والهدوء «هُوَ غالي الثمن» (ع٤) قدام الزوج، والأهم من ذلك غالي الثمن أمام الله.

كثير من الزوجات يقلن لي: «لا استطيع أن أغيره، فليس دوري أن أغيره» ويقررن أن ينسحبن ليتجنبن مزيد من الألم والإحباط. أقدِّر ردود الأفعال هذه، وأستطيع أن أتفق معها جزئيًا. لكن في ذات الوقت أختلف معهن في بعض الأمور. إن الدافع الصحيح لتغير الزوج، ليس لأجل احتياج شخصي، لكن لأجل غرض الله السامي الذي

يعمل في قلب هـذا الزوج – وفي ذات الوقت تكونين أنت المرأة التي تمجد وتكرم الله. لذلك لا توجـد نقطة نعتبرها نقطة نهايـة أو يأس حتى عندما تبدو الأمور مظلمة. إن روح اليأس تسيطر علينا عندما نقول لأنفسنا: «إن الأمور لا تسير في الإطار الذي أريده وأحتاجـه» إن خطايـا الآخريـن ضدنا، بكل مـا تحمله من عدم أمانـة وظلم ونجاسة، مـن الممكـن أن تنظـر إليهـا المرأة المؤمنـة بعين الحنـان والشفقة عندمـا تنظر إلى نفسهـا وترى أنها مجرد امرأة خاطئة خلصتها نعمة الله. لهذا يطلب منا الكتاب قائلاً: «مُحْتَمِلِيـنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَـا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا». (كـو ٣ :١٣). دون هذا الفكر، سيجد الشخص الذي نـخطئ فـي حقه أنه من المستحيل أن يقدم غفرانًا ونعمة.

أرجو أن تكون هذه هـي صلاتك:

يارب ليتك تستمر في تعليمي أن بر المسيح
يغطي مطالبك، ويدل على محبتك
ساعدني لأستخدمه بالإيمان كأساس لتمتعي بالسلام والقبول لديك
حتى أستطيع أن أحيا دائمًا بجانب الصليب.
إنها ليست المشاعر التي يبرهن لنا من خلالها الروح
بأننا مخلَّصون
لكنه الحق بما فعله المسيح لأجلي
كل قداسة المسيح أنالها بالإيمان
كما لو كنت فعلتها
لذلك دعني أتمسك ببره
الذي يوفي مطالب العدل الإلهي، ويجعلني بارًا
إنه ليس إحساسي الداخلي
الذي جعلني أن أخصص موت المسيح لي،
لكنها كلمة الله
إلا أني فهمت بالإيمان موته
وهكذا يشهد لي الروح والحق

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. كم هو مقدار الضعف الذي تشعرين به أمام زوجك؟ إن كنتِ غير متزوجة، هل تشعرين بضعف شديد أمام رجل إذا تعمقت علاقتكما معًا؟

٢. هل ضعف أو سقطات زوجك أو أبيك تجعلك تصممين على التحكم في الألم؟

٣. هل تعتقدين أن فكرة التزين بروح الوداعة والهدوء فكرة جذابة أم مدمرة؟ لماذا أو لماذا لا؟

٤. بكل أمانة، هل تنوين أن تستجيبي للظروف مدفوعة بالخوف أم الثقة في الله (١بط ٣ :٥-٦)؟

الفصل الثاني عشر

سبعة مبادئ للجانب الروحي في الجنس

أستطيع أن أقدم ذاتي لك من كل القلب

لأكون ملكًا لك للأبد

في صلاتي أستطيع أن أضع كل مخاوفي بين يديك

تدخل أنت فيها حسب إرادتك

لتكن لا إرادتي بل إرادتك.[1]

بينما كانت كاري تمسح عينيها، كان واضحًا أنها لا تريد أن تتكلم أكثر حتى تهدأ، التفتُ إلى چيم وقلت له:

«چيم، ما هي ردك بالنسبة لمخاوف كاري أنه ليس هناك تغيير حقيقي فيك؟»

«دكتور شومبرج، أنا أدرك هذا، لكن أقول.. يارب ساعدني لكي أتغير! أنا أعلم مدى الخطأ الذي ارتكبته، لكن من الصعب أن تواصل التغيير عندما تكون زوجتك متشككة. أستطيع أن أدرك لماذا تشعر بهذا... حبيبتي، أرجوك أن تثقي بي!» قال هذه الكلمات، وذهب ليلمس يدها، إلا أن كاري لم تستجب لا بالكلام ولا بالحركة.

ذهب چيم وجلس على الكرسي وقال لكاري: «أرجو أن تثقي بي هذه المرة»، ثم نظر إليَّ منتظرًا مني أن أقدم له بعض العون، لكن كانت لدي فكرة أخرى تدور في ذهني.

قلت له: «چيم، عندما تترك هذا المكان بعد بضعة دقائق، لديك متسع من الوقت. بدلاً من أن تذهب هنا أو هناك، اذهب إليها، أنت تحتاج أن تكون رجلاً وتستمع إليها.

استمع إلى شكواها، إلى آلامها، إلى الغضب الذي بداخلها، استوعبها، لا تهرب! إن كانت كاري مستعدة، هل بإمكانك أن تفعل هذا؟»

أجاب چيم بتردد: «نعم، أظن هذا».

قلت له: «تستطيع أن تفعل هذا يا چيم، فبمعونة الرب، تستطيع أن تأخذ دور القيادة في حياتكما الزوجية، هذه هي الفرصة الأولى لكي تمارس ما تعلمته هنا. وضح لها أنك تستطيع أن تكون هذا الرجل القوي الذي تريده كاري. لا تكن جبانًا وتنسحب! إن هذا هو وقت للتوبة الحقيقية».

بدون تفكير ردت كاري وقالت: «إنه سيفعل هذا فقط لأنك طلبت منه ذلك».

قلت لها: «عليك أن تمنحيه الفرصة، وإن كان مخلصًا فكلاكما سيشعر بإخلاصه».

كان الوقت قد انتهى، وفيما هما يغادران المكان، صليت لأجلهما وطلبت من الله أن يعضدهما، لعل هذا الوقت يكون من – أسوأ – وأفضل الأوقات في حياتهما الزوجية.

▬ ▬ ▬ ▬

إنه أمر محزن، أن نجد المسيحيين في عصرنا قد أزالوا الحواجز التي تميزهم عن العالم من حولهم. ففي كثير من المرات يكون تركيزنا لا على التقوى بل على الروحانية الجامدة، أصف الروحانية الجامدة أنها نوع من السعادة دون فرح وسلام، أو تسلية دون شعور بالرضى، وهي نوع من العلاقات تتمركز حول الذات دون هدف.

تزرع فينا القداسة حياة الرضا والقناعة، لا البحث عن السعادة. فالطاعة في حياة الإيمان هي عمل النعمة الذي يجعلنا نقاوم تأثير الخطية في حياتنا وبالأخص الخطية الجنسية. عندما نبحث عن السعادة بمفهومنا، سنصاب بالإعياء، الإحباط ورثاء الذات. علينا أن نصغي لكلمات الرب يسوع: «**كَمَا أَحَبَّنِي الآبُ كَذلِكَ أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا. اُثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي. إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ. كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ**». (يو١٥: ٩–١١) هذا هو الفكر الموحد والملتزم الذي ينتج الفرح والسلام.

لن تظهر ثمار هذه الدعوة فينا إلا إذا كنا نطبق بأمانة كلمة الله في حياتنا، فحينئذ نحيا حياة الرجولة والأنوثة الناضجة. إنه أمر ملزم أن نطبق مبادئ الكتاب المقدس في حياتنا، وإن اختبرنا الفداء الجنسي عندئذ لن نكون «**أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ**». (أف ٥ :١٧)

تربيت في بيت مسيحي وكان أبي راعيًا لإحدى الكنائس، تعلمت أن إرادة الله هي كيفية اتخاذ القرارات الصحيحة: الذهاب إلى المدرسة المناسبة، اختيار العمل الصحيح، الزواج من الشخص الصحيح. إن لم تكن كل اختياراتك صحيحة فأنت خارج نطاق إرادة الله.

عندما كبرت، تغير مفهومي لإرادة الله تمامًا، أعتقد أن الكتاب المقدس يوضح أن المؤمن الحقيقي يصبح ناضجًا روحيًا وجنسيًا واجتماعيًا، لأن الله يعمل في داخله. هذا الشخص يكون مطيعًا لإرادة الله الأخلاقية، بغض النظر عن وضعه الاجتماعي أو المهني أو الجغرافي، وهكذا فاختيارات الحياة المختلفة (مدرسة- عمل - شريك حياة....) وإن كانت هامة لكنها ليست في أهمية أن نحيا حياة الإيمان والقداسة.[٢]

إن الكتاب الذي وصفه الله لمساعدتنا هو الكتاب المقدس. إن كنا نريد أن نتحرك في اتجاه الحياة الجنسية الروحية كرجال ونساء، هناك سبعة مبادئ كتابية أساسية علينا أن نحيا بها. على هذا الأساس سيُبنى الكثير، لكن هذه المبادئ تمثل نقطة البداية الحساسة. إن الفداء الجنسي يقودنا إلى بناء أشمل من خلاله نتمم قول الكتاب «لِتَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلرَّبِّ، فِي كُلِّ رِضىً، مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَنَامِينَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ». (كو ١ :١٠)، هذا أمر رائع! دعونا ندرس معًا هذه المبادئ السبعة التي هي أساس العلاقة الروحية الجنسية الحية.

المبدأ الأول : تغذى باللحم

اَلَّذِي مِنْ جِهَتِهِ الْكَلاَمُ كَثِيرٌ عِنْدَنَا، وَعَسِرُ التَّفْسِيرِ لِنَنْطِقَ بِهِ، إِذْ قَدْ صِرْتُمْ مُتَبَاطِئِي الْمَسَامِعِ. لأَنَّكُمْ إِذْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ لِسَبَبِ طُولِ الزَّمَانِ، تَحْتَاجُونَ أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ مَا هِيَ أَرْكَانُ بَدَاءَةِ أَقْوَالِ اللهِ، وَصِرْتُمْ مُحْتَاجِينَ إِلَى اللَّبَنِ، لاَ إِلَى طَعَامٍ قَوِيٍّ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَنَاوَلُ اللَّبَنَ هُوَ عَدِيمُ الْخِبْرَةِ فِي كَلاَمِ الْبِرِّ لأَنَّهُ طِفْلٌ، وَأَمَّا الطَّعَامُ الْقَوِيُّ فَلِلْبَالِغِينَ، الَّذِينَ بِسَبَبِ التَّمَرُّنِ قَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْحَوَاسُّ مُدَرَّبَةً عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. (عب ٥ :١١-١٤)

نستطيع أن نضع هذا الكلام بطريقة قد تبدو مهينة، لكنها تعبر عن الواقع، هناك

مؤمنـون كثيرون مـا زالوا يعتمدون على الرضاعـة. إن عبارة «مُحْتَاجِينَ إِلَى اللَّبَنِ». (ع١٢) يعبـر عـن مستـوى منخفض لهؤلاء الذيـن لهم فترة في الإيمـان. عندما تكون هنـاك خطايـا في القلـب، علينا أنا وأنـت أن نتناول هـذا الطعام البسيـط وإلا ستكون النتائـج وخيمـة، لأنـه ليس لدينـا «خِبْرَةٍ فِـي كَلاَمِ الْبِرِّ». (ع ١٣). لكـن من الجانب الإيجابـي، يعطينـا الطعام القوي – اللحـم – قوة علـى «التَّمْيِيزِ». (ع ١٤)، في وسط بيئـة مشبَّعـة بالأمـور الجنسية، حيث تحتاج مـن خـلال «الممارسة المستمرة عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ».

إن المبدأ الأول له ثلاثة أهداف:

- أن تكون لك خبرة في كلام البر.
- أن تكون لك قوة للتمييز.
- أن تميز بين الخير والشر.

المبدأ الثاني: تدرَّب على استقبال النعمة

لأَنَّـهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَـةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ، لِجَمِيعِ النَّاسِ، مُعَلِّمَـةً إِيَّانَا أَنْ نُنْكِرَ الْفُجُـورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّـةَ، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِـرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ (تي٢: ١١-١٢)

إن الفـداء الجنسـي هـو عمـل الله الـذي من خلالـه نتدرب بقـوة على النعمـة. كما ذكرنـا مـن قبل، النعمـة ليست أمرًا رخيصًـا، لكنه أمر يكلفك الكثيـر. فمن خلال نعمة الله تتخلـى عـن الحياة التي عشتهـا لنفسك، وتحيـا الحياة التي تتفق مـع مبادئ الله الحـي الحقيقي. حققت نعمة الله التي أظهرت الرحمة لهؤلاء الذين كانوا يعيشون تحت الغضب والدينونة ثلاثة أهداف:

- أن نقطع علاقتنا بالإباحية.
- أن نقطع علاقتنا بالشهوات العالمية.
- أن نحيا حياة التعقل والبر والتقوى.

والمفتاح هنا «منتظرين» كما سنرى بالتفصيل فيما بعد. فهؤلاء الذين لا يعيشون بالصبـر يفعلون ما يحلو لهم، فيصبحـون آلهة لأنفسهم. أما المؤمن الحقيقي له رجاء حي في الله الحقيقي.

المبدأ الثالث : جهز قلبك لتغيير طويل المدى

فَتَأَنَّــوْا أَنْتُمْ وَثَبِّتُوا قُلُوبَكُــمْ، لأَنَّ مَجِيءَ الرَّبِّ قَدِ اقْتَرَبَ. لاَ يَئِنَّ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَيُّهَا الإِخْوَةُ لِئَلاَّ تُدَانُوا. هُوَذَا الدَّيَّانُ وَاقِفٌ قُدَّامَ الْبَابِ. خُذُوا يَا إِخْوَتِي مِثَالاً لاحْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ وَالأَنَــاةِ: الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِاسْمِ الرَّبِّ. هَا نَحْنُ نُطَــوِّبُ الصَّابِرِينَ. قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ أَيُّوبَ وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الرَّبِّ. لأَنَّ الرَّبَّ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَرَؤُوفٌ. (يع ٥ :٨-١١)

إذا كانت الأفكار الشريرة، الزنا، عدم الأمانة، حتى القتل تنبع من الداخل، من قلب الإنسان (مت ١٥ : ١٩)، لذلك يحرضنا كل من بولس ويعقوب أن يكون لنا القلب السليم. يركز الرسول بولس على كل من عمل الله ومسئوليتنا فيقول: «لِكَيْ يُثَبِّتَ قُلُوبَكُمْ بِلاَ لَـوْمٍ فِي الْقَدَاسَةِ، أَمَامَ اللهِ أَبِينَا فِـي مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِ قِدِّيسِيهِ». (١ تس ٣ :١٣). سوف ينمي الله فينا ما هو ضروري للقداسة الجنسية. في ذات الوقت يحرض الرسول بولس أهل تسالونيكي ليحيوا حياة الطهارة الجنسية: «لأَنَّ هذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ. أَنْ تَمْتَنِعُـوا عَنِ الزِّنَا». (١ تس ٤ :٣) لذلك علينا أن نجد راحتنا وأمننا في سلطان الله (انظر رو٨ : ٢٨ – ٣٠)، وأن الخطايا الجنسية لن تسيطر علينا وعندئذ سوف يتمم الله قصده في حياتنا.

لقد فقدنا في أيامنا هذه توقع مجيء الرب يسوع المسيح ثانية، الأمر الذي كان يركز عليه كلا الرسولين.مضى حوالي أكثر من ألفي عام على هذا الكلام، فكيف نقول أن مجيء الرب «على الأبواب»؟ وأجاب بطرس وحاول أن يعيد ترتيب التوقيتات لدينا وقال «أَنَّ يَوْمًا وَاحِـدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَــةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ». (٢ بط ٣ :٨) ونحن نسأل مثل الطفل الذي لا يتمتع بالصبر ونقول: «هل قرب المجيء الثاني؟» إنه لم يمر سوى يومان فقط منذ أن صعد الرب يسوع.إن هذا التأني البسيط له سبب واحد؛ الله يريد «أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ». (٢ بط ٣ :٩)

ربط الرسول بولس بين القلب الثابت وكل من القداسة، الكلام الصالح، والأعمال الصالحة، إلا أن يعقوب قدم أهداف هذا القلب الثابت:

- أن لا يتذمر.
- يكون صبورًا.
- يكون راسخًا.

بـدون القلب الراسخ سوف نعيش في أنـانية مشوشة، نعيش في عدم صبر، لا ننتظر وعـود الله بدفـاعـه عنـا، (انظر يع ٥ :١–٧) نحـاول أن نتحكم في زمـام الأمور بطريقتنا الخاصـة – مـن استخـدام كل وسائـل التكنولوجيـا الحديثـة التي تحسـن من ظروف معيشتنـا، إلـى البحـث عن وسائل للهروب مـن الأزمات ، إلى الزواج مـرة ثانية. إلا أن الطريـق الصحيـح هو أن نبني القلب الراسـخ، وهذه عملية طويلة تستلـزم الصبر الذي يهبه الله.

المبدأ الرابع: مارس إيمانك

وَلِهذَا عَيْنِهِ وَأَنْتُمْ بَاذِلُونَ كُلَّ اجْتِهَادٍ قَدِّمُوا فِي إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً، وَفِي الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَـةً، وَفِي الْمَعْرِفَـةِ تَعَفُّفًا، وَفِي التَّعَفُّفِ صَبْرًا، وَفِـي الصَّبْرِ تَقْوَى، وَفِي التَّقْـوَى مَـوَدَّةً أَخَوِيَّةً، وَفِي الْمَوَدَّةِ الأَخَوِيَّةِ مَحَبَّـةً. لأَنَّ هذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُـرَتْ، تُصَيِّرُكُمْ لاَ مُتَكَاسِلِينَ وَلاَ غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَـا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لأَنَّ الَّـذِي لَيْسَ عِنْدَهُ هذِهِ، هُوَ أَعْمَى قَصِيـرُ الْبَصَرِ، قَدْ نَسِيَ تَطْهِيرَ خَطَايَاهُ السَّالِفَةِ. لِذلِكَ بِالأَكْثَرِ اجْتَهِـدُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْعَلُوا دَعْوَتَكُمْ وَاخْتِيَارَكُمْ ثَـابِتَيْنِ. لأَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذلِكَ، لَنْ تَزِلُّوا أَبَدًا. لأَنَّهُ هكَذَا يُقَدَّمُ لَكُمْ بِسِعَةٍ دُخُولٌ إِلَـى مَلَكُوتِ رَبِّنَـا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الأَبَدِيِّ. (٢ بط ١ :٥–١١)

إن الفـداء الـذي يتغلغـل داخلنا، فـي حياتنـا الجنسية. لقد وهـب لنـا «كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَـاةِ وَالتَّقْـوَى». (٢بط ١ :٣). فمـن خلال الفداء نحـن لا نحتاج أي أمـر آخر لأننا نمتلك «الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَـى وَالثَّمِينَةَ» التـي تسمح لنا أن نكون «شُـرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّـةِ» (ع٤). إن كان هـذا هـو الوضـع، علينا أن نتعامـل بجدية مـع إيمـاننا، وأن نبـذل كُلَّ اجْتِهَـادٍ لكي نمارس هذا الإيمان فتظهر ميزاته ونقدم في أيماننـا «فَضِيلَةً، وَفِي الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً، وَفِي الْمَعْرِفَةِ تَعَفُّفًا، وَفِي التَّعَفُّفِ صَبْرًا، وَفِي الصَّبْرِ تَقْوَى، وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً، وَفِي الْمَوَدَّةِ الأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً». (٢بط ١ :٥–٧). إن أهداف ممارسة الإيمان هي:

- أن أنمو في مظاهر التقوى.
- أن لا أفقد أحد مظاهر التقوى.
- أن أمارس صفات التقوى.

إن الخلاص بالنعمة فقط، وهو مبادرة إلهية. إن هذه الصفات ليست وصفة ناموسية

للحيــاة، لكنهــا مثل ثمر الروح (غل ٥ :٢٢) تظهر تلقائيًا في القلب المجدد. إن الله يعمل، لكـن علينــا نحن مسئولية أن نسلك مثل المسيح، ونتبــع تعليمه. كل مؤمن حقيقي سوف يعبــر بصدق عن حيــاة المسيح في نمو، وهكذا يوم بعد يوم سوف تظهر «هذه الصفــات». إن التحذير مزعج. إن «لم تملك هذه الصفات» أنت «أعمى» روحيًا، ونسيت فداءك. دعونــا نتذكر أنه في التقديس يقدم الله أمامنــا أعلى مستوى من القداسة لكي نجاهد.[٣]

المبدأ الخامس: تخلص من «الأمور الأخرى»

فَأَمِيتُــوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَــعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَــانِ، الأُمُورَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَـــاءِ الْمَعْصِيَـــةِ، الَّذِينَ بَيْنَهُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا سَلَكْتُمْ قَبْــلاً، حِينَ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ فِيهَــا. وَأَمَّــا الآنَ فَاطْرَحُوا عَنْكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا الْــكُلَّ: الْغَضَبَ، السَّخَطَ، الْخُبْثَ، التَّجْدِيفَ، الْكَلاَمَ الْقَبِيحَ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ. لاَ تَكْذِبُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، إِذْ خَلَعْتُمُ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَــعَ أَعْمَالِهِ، وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَــدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ، حَيْثُ لَيْسَ يُونَانِيٌّ وَيَهُودِيٌّ، خِتَانٌ وَغُرْلَةٌ، بَرْبَرِيٌّ سِكِّيثِيٌّ، عَبْدٌ حُرٌّ، بَلِ الْمَسِيحُ الْكُلُّ وَفِي الْكُلِّ.

فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللهِ الْقِدِّيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَــةً، وَطُولَ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُــمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لأَحَــدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا. وَعَلَى جَمِيعِ هذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ. (كو٣: ٥-١٤)

يصحــب التغيير الداخلــي، تغييرًا خارجيًا، وهو التخلي تمامًــا عن الحياة القديمة. فينطبــق علينــا القول: «قُمْتُمْ مَــعَ الْمَسِيحِ، فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ». (كــو ٣ :١)، لذلك فنحن «نهتم بما فوق». (كــو ٣ :٢)، وإلا فنحن معرضون أن نقع فريسة في «هَمُّ هذَا الْعَالَمِ وَغُرُورُ الْغِنَى». (مت ١٣ :٢٢). لعل لهذا السبب يجد الكثيرون لكلمة الله فائدة محدودة. فكلمة الله تفقد قوتها عندما تأتي هذه الأمور «وتخنق الكلمة، فلا يكون هناك ثمر».

عندمــا تشعــر أن علاقتــك الجنسيــة أقل قداسة وأقــل تمجيدًا لله، ابحــث عن الأمور الأخــرى التي قد تؤثر عليــك... أمام هذا المبدأ ونحن نتحول عــن الأمور القديمة، هدفنــا هو:

- أن نخلع الإنسان القديم.
- أن نلبس الجديد.
- أن نميت كل ما هو أرضي.

المبدأ السادس : كن مجتهدًا

لِذلِكَ يَجِبُ أَنْ نَتَنَبَّهَ أَكْثَرَ إِلَى مَا سَمِعْنَا لِئَلاَّ نَفُوتَهُ ..... اُنْظُرُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لاَ يَكُونَ فِي أَحَدِكُمْ قَلْبٌ شِرِّيرٌ بِعَدَمِ إِيمَانٍ فِي الارْتِدَادِ عَنِ اللهِ الْحَيِّ. (عب٢: ١، ٣: ١٢)

من السهل أن نتراخى ونهمل خلاصنا، وتقسي الخطية قولبنا بخداعها (عب٣: ١٣). فنحن نعمل الآن، لكننا سنستريح فيما بعد «فَلْنَجْتَهِدْ أَنْ نَدْخُلَ تِلْكَ الرَّاحَةَ، لِئَلاَّ يَسْقُطَ أَحَدٌ فِي عِبْرَةِ الْعِصْيَانِ هذِهِ عَيْنِهَا». (عب٤: ١١). هذا العصيان الذي حدث مع الأجيال في البرية.

هدف هذا المبدأ:

- أن تتجنب عدم الإيمان.
- أن لا تتقسى.
- أن تثبت حتى النهاية.

المبدأ السابع: عش لأجل الآخر

مُلاَحِظِينَ لِئَلاَّ يَخِيبَ أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ. لِئَلاَّ يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجًا، فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ. لِئَلاَّ يَكُونَ أَحَدٌ زَانِيًا أَوْ مُسْتَبِيحًا كَعِيسُو، الَّذِي لأَجْلِ أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ بَاعَ بَكُورِيَّتَهُ. (عب ١٢: ١٥-١٦)

لا يستطيع أحد منا أن يسير في الرحلة بمفرده. إن حياتنا الروحية الشخصية، وحياة التقوى لا ينبغي أن تعزلنا عن الشركة، حيث تقع علينا مسئولية خطيرة تجاه الآخرين. في الواقع نحن نمارس المبادئ الستة الأولى لأجل الآخرين ولمجد الله، لا لمجرد نمونا الشخصي فحسب.

كل المؤمنين الحقيقيين هم مرسلون لإظهار حقيقة قوة الله في تحريرهم من عبودية الخطية، بما فيها الخطايا الجنسية. علينا أن نساعد بعضنا البعض لنبني

أسوارًا بين مظاهر وممارسات العالم في الأمور الجنسية وتلك التي يتمتع بها أبناء الملكوت. إن الرجولة والأنوثة التي يتمتع بها أبناء الله تثبت أنه باستطاعتنا أن نتحرر من عبودية الخطايا الجنسية والأنانية. ينبغي أن تكون التقوى أعظم من مجرد بركات شخصية، لكنها رسالة رجاء مستندة على النعمة التي لا تخلق نيرًا من قواعد مستحيلة.

إن أهداف هذا المبدأ هي:

- أن نلاحظ أن لا يسقط أحد من نعمة الله.
- أن نلاحظ أن لا يتأصل في أحدنا جذر مرارة يسبب انزعاجًا.
- أن نلاحظ أن لا يكون واحدًا زانيًا.
- أن نلاحظ أن لا يكون أحدًا مستبيحًا كعيسو.

إن الهدف الأخير يربط كل المبادئ السبعة معًا في سلسلة من التحذيرات الجادة. نحن نعرف قصة عيسو، ذلك الشخص الذي باع بكوريته بسبب وجبة طعام ، نحن لا نريد أن نكون أغبياء ونتصرف مثله. عندما لم يجد توم الذي كان يعمل راعيًا شبعه الجنسي مع زوجته، ذهب إلى الإنترنت وهناك وجد امرأة أقام معها علاقة جنسية. لقد نسي ميراثه وبركاته في المسيح، وأراد أن يأخذ ما يريد من امرأة أخرى. عندما أمسك في ذات الفعل، «تاب» مثل عيسو بدموع، الأمر الذي يعني أنه يريد أن يحصل على ما فقده (المركز الأدبي، الاحترام، الدخل المادي، الخدمة المشبعة) لكنه لم يندم بصدق على خطيته. نحن لدينا «مِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ». (١بط ١ :٤)، لذلك لا ينبغي أن نتناول هذه الأمور باستخفاف.

كمؤمنين حقيقيين علينا أن نتلذذ بمعرفة ومحبة الله، فنحن نجد شبعنا وفرحنا وسلامنا عندما «نسلك في المحبة، كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا» (أف٥: ٢)

سوف تجدون ما تبحثون عنه في الحياة وفي علاقتكم الجنسية عندما «تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا. بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ. مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ». (أف ٤ :١-٣).

نحن نفعل هذا ونحن ندرك أننا نعيش في عالم الخطية الجنسية، وندرك أن التزامنا تجاه الله وتجاه الآخرين قد يكون مصحوبًا بالمعاناة والتضحية. لكن عندما نضع حياتنا في دائرة مشيئة الله سندخل إلى فرح سيدنا.

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. مـا هو المبدأ الذي أهملته مـن المبادئ السبعة للجانب الروحي في الحياة الجنسية؟ في أي مجال أنت ما زلت تحتـاج إلى النمو؟

٢. إن هدف الله النهائي لا الفداء الجنسي بل لتحيا «لتكون سببًا لمدح مجده» (أف ١ :١٢-١٣). هل أنت على استعداد لتحيا بهذا الالتزام؟

٣. نحـن لا نجلس على وسـادات النعمـة الناعمـة لا نفعـل شيئًا، لكن ينبغي علينا أن نسلك «كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا» (أف٤: ١). فـي الأسابيع السبعة القادمة، ركز على مبـدأ واحد أسبوعيًا، وأطلب من الله أن يعمل في قلبك.

الفصل الثالث عشر

زواج ومودة

عندما تخمد شعلة الإيمان

يصبح قلبي نجسًا

وتتدفق الرغبات الشريرة

من مستودع الشهوات النجسة

وتظهر الثمار الذابلة من الشجرة الفاسدة

وتملأ الحشائش الضارة حياتي

يارب أنهض الإيمان فيّ ليعمل بقوة

ولتمتلئ روحي بالأمور السماوية

عندئذ تطرد النجاسة خارجًا.[1]

حان وقت مقابلتي التالية مع چيم وكاري. بالأمس رأيتهما من بعيد وهما يسيران ولاحظت أن چيم وضع يده على كتف كاري، بل ولاحظت أنها تلتفت إليه وهي مبتسمة.

عندما دخلت إلى غرفة الانتظار، كانا يجلسان معًا على كنبة واحدة، ممسكين بأيدي بعضهما. تبادلنا التحية وتكلمنا قليلاً عن أحوال الجو، ثم ذهبنا إلى مكتبي. كانا جالسين ممشوقين، وإستطعت أن استشف من خلال لغة أجسادهم أنهما استمدا طاقة جديدة.

بدأت بالسؤال التقليدي الذى يبدأ به أي معالج وقلت: «حسنًا، كيف تسير الأمور؟»

قال چيم وهو يمد يده ليلمس ذراع كاري: «سوف أبدأ. فبعد استماعي إلى أحاديثك وقراءتي أكثر، أصبحتُ الآن مقتنعًا أن مشكلتي تختلف عن ما كنت أظن».

«كيف ؟»

«إن الأمر ليس مجرد سلوك غير منضبط، لكنني أدركت أني أحتاج الرجوع إلي

الدائـرة الروحيــة في علاقــة صحيحة مع الله. أنــا الآن أصلي كثيـرًا، وأعتقد أنه يوجد رجاء لي – ولنا!» ثم نظر إلى كاري وابتسم، ولمس ذراعها مرة أخرى.

ألتفتُ إلى كاري وقلت لها: «أثناء استماعك لحديثه المشجع عن الأمل، ما الذي كان يدور في ذهنك؟»

«بكل صدق أنا مترددة. أنا أريد أن أصدق أن هذا حقيقي. لكنني ما زلت أشعر بالخوف» قالت هذا واستدارت لتلمس ذراع چيم وأكملت: «لكنني مسرورة جدًا لما حدث حتى الآن».

سألتها: «ما هو الأمر الذي يجعلك تشعرين بالسرور؟»

«إنه يستمع ويصغي إليّ. فبالأمس بعدما جلسنا معك، ذهبنا إلى غرفتنا. طلب مني چيم أن أُعبر عمّا في داخلي. وقد فعلت. صرخت في وجهه، وبكيت لمدة ساعتين. لم يغضب ولم يترك الغرفة! كان يستمع بإصغاء، وهنا حدث أجمل ما في الأمر ....» بدأ صوت كاري يتحشرج بينما كانت الدموع تنساب من عينيها. أخذ چيم علبة المناديل الورقية وقدمها لكاري ومرة أخرى لمس ذراعها.

قالت كاري: «أنا متأسفة، فأنا أبكي بسهولة. بعد أن انتهيت من الصراخ في وجهه، تقدم وأمسك بي واحتضنني. لم أكن أعلم على وجه التحديد إن كنت أريده أن يفعل هذا أم لا، لكن عندما فعل هذا شعرت بارتياح. منذ ذلك الوقت نحن نتبادل الأحاديث المفيدة، مع قليل من الصراخ». بعد أن أنهت هذا الحديث، حاولت أن ترسم ابتسامة على وجهها.

قال چيم: «كنت غبيًا. لم أكن أريد أن أفحص ذاتي، وأغيِّر موقفي تجاه كاري. لكن الآن كل شيء تغيَّر».

نظرتُ إلى چيم ولاحظت أنه بدأ يستعيد الثقة في نفسه. أدركت أن الله قد استجاب صلاتي. هذان الاثنان «استوعبا» وهما الآن في طريقهما إلى الفداء الجنسي.

▬ ▬ ▬ ▬

ما الذي تعنيه المودة في العلاقة الزوجية لهؤلاء الذين تمتعوا بالفداء الجنسي؟

إن الأنانية التي تقف خلف كل أنواع الجنس قبل الزواج، العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج، كل أشكال عدم الأمانة، وعلى الأخص تصفح المواقع الإباحية، ستطفو على السطح بعد الزواج وستؤثر على المودة الجنسية. قد يكون الجنس أحد الغرائز

في جسد الإنسان وعقله، إلا أن ممارسة الجنس (ممارسة الحب) ليست غريزة للرجل أو المرأة بعد السقوط. إنه أمر نتعلمه وننمو فيه عبر السنين في الغرف المغلقة التي نمارس فيها المودة الجنسية.

إن ممارسة الجنس (أو كما يسميه البعض ممارسة الحب) ليس تكنيكًا وليس استغلال طرف للآخر. كما أنه لا توجد طريقة مثالية لممارسة الجنس أو العلاقة في الزواج. لهذا هناك الكثير الذي لا نتعلمه والأكثر الذي نتعلمه في حياة كل زوجين. الفداء الجنسي يجدد المودة التي خلقها الله في الإنسان ليستطيع الزوجان أن يستمتعا معًا بحياتهما الزوجية. فالمودة الجنسية ليست هي مودة مزيفة بل مودة صادقة حقيقية. إن محاربة التجارب الجنسية تسير جنبًا إلى جنب مع جهادنا المستمر لنكون عاشقين.

لديَّ بعض التحفظات والتحذيرات.[٢] أدرك أن قراءة هذا الجزء سيقدم تحديًا لبعض الرجال والنساء. فما فعلته من خطايا جنسية أو فعله شريكك طوال السنين قد يبني أسوارًا من الألم أو الخجل أو الشعور بالذنب. قد يستخدم بعض الأزواج الأشرار غير المحبين كلمات الكتاب المقدس استخدامًا خاطئًا ليعطوا أنفسهم الحق أن يستغلوا أجسادهم وأجساد زوجاتهم بطريقة شهوانية خاطئة. لا يوجد في كلمة الله عبارات تقول احصل على كل ما تريد واستخدمه لملذاتك الشخصية.

هذا الكتاب وهذا الفصل على وجه الخصوص لا يحوي علاجًا أو تعليمًا نظريًا أو لاهوتيًا، لكنه مبني على سلطان كلمة الله، وساعات لا نهاية لها من الخوض في خنادق عميقة من الخطايا الجنسية، عدم الإشباع الجنسي، اختلال الوظائف الجنسية بل وضعف التعبير عن المعنى الحقيقي للرجولة والأنوثة. إن عمل الله هو أن يتعامل مع المعركة التي في قلب الإنسان. عندما نضع أمامنا غرض الله من الزواج، فنحن مدعوون لندخل المعركة التي من خلالها سنحتفظ بعلاقة زوجية ومودة جنسية مقدسة، وبلا شك سنختبر كل فرح حقيقي.

الزواج ومجد الله

إن المودة الجنسية الهادفة، وإشباع العلاقات، ليست هي المقاييس الأخلاقية التي وضعها الله للزواج. ففكرة «الزواج الناجح» قد تكون مبررًا للزوجين أن ينسحبا

ويتقوقعـا في عالـم خاص بهما، ويفقـدا الاهتمام بالآخرين، ويركـز كل منهما على شريكـه، لينـال كل منهمـا شبعـه الشخصي. في ظاهـر الأمر يبـدو أن كل واحد يعطي الآخر، لكن في الواقع الشبع الحقيقي لكل منهما فيما يأخذه.

أصبحـت السعادة في العلاقة الزوجية عبارة عن خطة مدروسة بالنسبة لكثير من الأزواج. فقد يفعل الأزواج أي شيء وينفقون أي شيء ليحتفظوا بأحلامهم. إلا أن مثل هذه الخطط لم تجعل كل الأزواج أكثر سعادة، فالذي يحركهم في توهمهم عن السعادة هو مبدأ «للأفضل أو للأسوأ». مثل هذا الأمر قد يقودهم إلى الزواج عدة مرات (علاقات زوجيـة متكررة مدفوعة بأهـداف أنانية). لذلك فمن السهل أن ينهـار مثل هذا الزواج، تحت وطأة الأزمات المالية، موت الطفل، مرض الطفل، فقدان الوظيفة، أو حتى الملل.

تعلمـت من خـلال عملي لآلاف الساعـات في مجـال المشورة الزوجيـة، أن معظم النـاس يعتقـدون أن العلاقات هي الهـدف الأساسي في الزواج. ففـي مثل هذا الزواج، يتوقع أحد الزوجين أو ربما الاثنين معًا أمورًا غير واقعية. قد نكون قد تعدينا المرحلة التـي كانت الحاجـة المادية تجبر أي طرف علـى الاستمرار في العلاقـة الزوجية غير الهادفـة، وأخشى أننـا الآن نتوقع سعادة أعظم في الحيـاة. فبعض العلاقات الزوجية تُشبـه الطفيليات التي تتغذى بعضها علـى بعض، هذا الطفيل الذي لا يعرف إلا الأخذ. التوقعات كبيرة، لكن عدم الرضا أيضًا كبير.

تضع الخطية الذات مكان الخالق. بدون الفداء الجنسي ستأخذ الذات مركز الصدارة من خلال قلب أناني يحيا في هذا العالم الساقط. نحن نُشبع حاجاتنا أولاً، ثم بعد ذلك قـد نلتفت إلى حاجات الآخرين. يعيد الفـداء الجنسي ترتيب أولوياتنا، فنضع الله أولاً، لا ذواتنا، ثم بعد ذلك نضع الشخص الذي نحب (الشريك).

إذا وضعنـا «الجنس والـزواج» أولاً، سينتهي بنـا الأمر لنسأل هذا السـؤال الخطأ: «كيـف أستطيـع أن أشعـر بالحب أكثـر؟» «كيف يمكننـا أن نتواصل بطريقـة أفضل؟» «كيـف نتعامل مع الصراعـات؟» «كيف نمارس الجنس بطريقة أفضـل؟» إلا أن الفداء الجنسي يقودنا لنسأل السؤال الصحيح: «كيف نستطيع أن نخدم الله بطريقة أفضل من خلال زواجنا ومودتنا الجنسية؟» فنحن نستطيع أن نخدم الله بطريقة أفضل من خلال مودة جنسية هادفة، وعلاقة مشبعة لا تحطمها الأنانية.

أعتقـد أن هنـاك علاقــة عميقة بين العمل الهـادف خـارج البيت، والعلاقـات الهـادفـة، والعلاقـة الجنسية الهـادفـة في إطار الزواج. إن لم يكن الله هو محور هذه الأمور الثلاثة، سيكـون هنــاك أمر أو أكثر من هذه الأمور أقل إشبـاعًـا، وأقل تمجيدًا لله. فـالله هو الذي صمـم كل هـذه الأمـور: فـالشبع بـالله، بغض النظر عـن الظروف، يقود إلـى الرضـا في الأمور الأخرى. أمـا الشبع بـالذات يقود إلى عدم رضـا مستمر، وفي النهاية دمار أبدي.

نجـد أنفسنـا أمـام هذا الاختيـار: الجنسـ لإرضـاء الذات أم الجنس لمجد الله. العلاقة لإشبـاع الذات أم لمجد الله. كانـت دعوة الله لآدم أن يعمل في الجنة، ونحن دُعينـا لكي «نعمـل في جنـة» قلوب وأذهـان زوجاتنـا، وأن «نعمل فـي جنـة» قلوب وأذهـان أزواجنـا، ونـأتي بـالثمـار التي تنمو في هـذه الجنة عند قدمـي الرب.

المودة الصادقة

إن المنـاظـر الجنسية في بعض الأفلام ليست هـي المصدر الذي نتعلم منه ممـارسة الجنسـ (ممـارسة الحب). فممـارسـة الحب في الزواج ينبغي أن تكون نشاطًا روحيًا، لا انغمـاسًا في المتعة الشخصية.

عـانت بليندا منذ طفولتها من الإيذاء الجنسي، فقد كان أبوهـا يتلامس معها وهـي طفلة الأمر الذي تطور إلى علاقة جنسية كاملة وهـي في مرحلة المراهقة. في المرحلة الثـانوية كانــت تمـارس الجنس مـع أي شخص. عندمـا بلغت السادسة عشر من عمرهـا حبلت بطفلها الأول. فــي العشريــن من عمرهـا حبلت للمرة الثـانية من شـاب وهو أول من كـان قد وعدهـا بـالـزواج. ظلـت على حـالها تمـارس الجنسـ مـع أي شخص، وفي منتصـف العشرينـات من عمرهــا تقـابلـت مع تروي وأصبحـت حـاملاً للمـرة الثـالثة. لقد اعترف تـروي في جلسـات المشورة أن علاقتهمـا كانت علاقة جسدية فقط، لكنه أصر على أن يتزوج من بليندا.

أتيـا إلى برنـامج المشورة المكثف وكانـا في أواخر العشرينـات من عمرهمـا. قـالا في جلسـة المشـورة الأولى أنهمـا دائمــي الشجـار، وليس لهمـا علاقــات هـادفة معًا، بل في الواقــع كانـا يكرهـان بعضهمـا البعض. كـان وصفهمـا للزواج عبارة عن كـارثة بـالنسبة لــي، فهــو واحد من أسوأ العلاقــات الزوجية التي رأيتهـا. بعد حوالــي ثلاثين دقيقة من وصـف هذا الكابوس، قـالا لــي أن ممـارسة الجنس بـالنسبة لهمـا لا يمثل أي مشكلة، بل بـالعكس همـا يستمتعـان بعلاقة جنسية رائعة!

معظم الأزواج الذين يعيشون في مثل هذا التباعد العاطفي لا يمارسون الجنس. إن تعبير «علاقة جنسية رائعة» هو تعبير نسبي يتراوح بين علاقات جنسية خارج نطاق الزواج إلى مودة جنسية صادقة هادفة في إطار الزواج يمارسها زوجان في السبعين من عمرهما. كان تروي وبليندا يمارسان الجنس مرتين يوميًا، كانا يستمتعان جدًا جسديًا.

في الواقع، كانت علاقتهما الجنسية مدمرة، مودة كاذبة فيها اعترف كل منهما أنه كان يستغل جسد الآخر لنفسه. إن علاقتهما لم تكن إلا ممارسة عادة سرية، فيها تُمتع بليندا نفسها، ويُمتع تروي نفسه. من خلال هذا الأمر كانا يزيدان من إثارتهما الجنسية، وأصبحا أكثر وأكثر يعيشان على الخيال الجامح.

أدركت أنه حدث تقدم عندما جاء تروي في جلسة المشورة التالية بمفرده، واشتكى أن بليندا أصرت على ممارسة الجنس معه وإنها غاضبة جدًا. لم تستمر العلاقة الجنسية بينهما كما كانت من قبل. عندما أتت بليندا في جلسة المشورة التالية عبرت عن غضبها وقالت لي: «لقد أخذت مني الشيء الوحيد الذي أمتلكه في حياتي».

شرحت لها أن هذا كان هدفي، حتى تستطيع أن تكتشف احتياجها للتوبة، وتختبر التغيير الذي يُحدثه الفداء الجنسي وعندئذ تختبر علاقة جديدة ومودة صادقة. بينما كان الرب يتعامل مع قلبها، استجابت، وطلبت أن تتعرف على الرب، وأن يكون الله هو السيد على حياتها، أن تكون في علاقة مودة صادقة مع تروي.

عندما يتورط الرجل أو المرأة في علاقات غرامية، حتى وإن أطلقوا على هذه العلاقة حب، وكان يربطهما معًا بعض العلاقات، فهم مازالوا يستغلون بعضهم البعض، لأنهم تحولوا عن الله وعن الشريك، وحصلوا بأنانية على ما كان ينبغي أن يحصلوا عليه من العلاقة الزوجية. عندما يمارس الخطيبان الجنس هما يفعلان ذات الأمر بغض النظر عن عمق محبتهما الواحد للآخر.

لا تستطيع أن تجد المحبة الهادفة والمودة الصادقة إلا من خلال زواج مبني على قصد الله وعلى أساس الفداء الجنسي.

اليوم، لكي نشبع أنانيتنا، فغالبًا نحن نضع الجنس أولاً، الأمر الذي قد يؤدي إلى

«تبرير» ممارسة الجنس خارج إطار الزواج. ففي العلاقات الزوجية، يضع الرجال في كثير من الأحيان الجنس أولاً، الأمر الذي يجعل الزوجة تشعر وكأنها أداة جنسية. كرد فعل لهذا، نجد أن الزوجة، تضع العلاقات أولاً، مفترضة أن هذا أفضل من أن تضع الجنس أولاً. هذا بدوره يخلق أمرًا رهيبًا، فيه تبرر الزوجة لنفسها الطلاق والزواج مرة أخرى. ثم بعد ذلك نتعجب لماذا يفشل الزواج، ويعتقد الناس أن الطلاق أمر منطقي عندما لا يشعرون بالسعادة. إذا كنا نضع إشباع العلاقات هدفًا أساسيًا في الزواج، عندئذ يصبح الزنا أمر منطقي للقلب المخدوع عندما تكون العلاقات غير مشبعة. عندما لا أجد ما أريده من زوجتي/ زوجي، أستطيع أن أجده مع امرأة/ رجل آخر، إما من خلال الخيال الجامح أو المشاعر أو حتى جسديًا.

أستطيع أن أقول من خلال خبراتي وفهمي لكلمة الله عن الأمور الجنسية، أنه عندما تكون المودة الجنسية تمجد الله، ومبنية على أساس الفداء الجنسي، يستطيع الزوجان أن يتجنبا المشاكل الجنسية أو الكوارث. إن كان الزوجان يستغلان بعضهما البعض قبل الزواج، سواء في العلاقات الغرامية التي تنتهي بالزواج، أو في ممارسة الجنس قبل الزواج، فهنا نجد المعركة القاسية لتأسيس المودة الصادقة، الأمر الذي بالتأكيد لا يمكن أن يتم إلا من خلال الفداء الجنسي.

إن الخبر السار هو أنه – مهما كانت خبراتك الجنسية – هناك أمل! الله يستطيع أن يغيرنا من الداخل، من أعماق حياتنا الجنسية ليظهر هذا خارجيًا من خلال حياة جنسية تمجده. لكن علينا أولاً أن نؤسس الهدف الصحيح للجنس والعلاقات.

الهدف الصحيح للمودة الجنسية

أثناء دراستي في كلية اللاهوت قلت للرب أنه بإمكانه أن يستخدمني بأي طريقة يريدها. لم يكن لديّ صديقة، ولم أكن أضع هذا في مخططي، لكني كنت أدرك أني أحتاج إلى زوجة، لكي لا أكون وحيدًا، ولأجد الإشباع في العلاقات وفي الحياة الجنسية. الأهم هو أن أجد الفتاة التي على استعداد أن تشاركني العمل لمجد الله. كنت أريد مودة، وكنت أريد صداقة. كنت أريد فتاة واحدة، معينة لي.

تقابلت أنا وروزماري في مخيم وكنت في السنة الأولى من دراستي بكلية اللاهوت. كانت علاقتي بها تختلف عن أي علاقة عرفتها من قبل. بينما كانت علاقتنا تنمو،

أدركت أني أحب روزماري، لكننا قضينا ساعات نتحدث معًا عن خدمة الرب، وجدية دعوتنا، وأهمية التضحية دون حدود. في حديثنا عن المستقبل، كنا دون أن ندري نتحرك في اتجاه علاقة زوجية هادفة.

الآن أشعر بمدى سخافتي عندما أتذكر ما حدث مني عندما قلت للفتاة التي كنت أريد أن أتزوجها، لن يكون هناك خاتم ماسي لترتديه يوم الزفاف، لأن مثل هذه الثروة لن يكون لها موقع في المكان الذي سنذهب إليه في المستقبل. خلال سنوات زواجنا، كثيرًا ما كنت أندم على هذا القرار، بالرغم من الأسباب التي كات تبدو منطقية في ذلك الوقت.

عندما كنا نخطط لزفافنا، كنا نؤمن أن زواجنا لن يكون لأنفسنا أو لإشباعنا جنسيًا أو في مجال العلاقات. كنا نريد أن يعرف الجميع أن زواجنا له هدف أسمى، لذلك كتبنا في دعوة الفرح: «تتشرف مدام فيليب لوندمان بدعوتكم لحضور حفل زفاف ابنتها روزماري إلن إلى القس هاري وليم شومبرج عندما يتحدا معًا ومع المسيح لأجل الخدمة».

كنا جادين أن تكون علاقتنا، وحياتنا الجنسية، وخدمتنا، وحياتنا الزوجية هادفة، لذلك لم يكن من الصعب علينا أن نبيع كل هدايا الزفاف، بل كل ما نمتلكه، ونشتري تذكرة ذهاب إلى كابول – أفغانستان – كان الدعم المادي لنا ليس إلا تعهدًا بدفع مبلغ خمسة وسبعين دولارًا أمريكيًا شهريًا. كان هذا في عام ١٩٧٢، عندما كان يقتل الإرهابيون الكفار طبقًا لمعتقداتهم.

عندما أنظر للوراء لرحلة أربعين عامًا من الزواج، أستطيع الآن أن أفهم أن الجنس والعلاقات الهادفة التي تخرج عن إطار الذات، هي الأساس الذي جعل زواجنا يصمد أمام التحديات والمصاعب التي قد تدمر زيجات كثيرة. إن الكتب التي تظن أنها تساعدك في هذا الطريق لن تقدم لك حلاً.

إن الهدف الكتابي للزواج هو دعوة عليا. إن هدف الزواج هو أن تعمل لمجد الله. دعونا نراجع معًا ما جاء في سفر التكوين والأصحاح الثاني «كُلُّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الأَرْضِ، وَكُلُّ عُشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ». ما هو السبب «لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ لَمْ يَكُنْ

قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ». (تك ٢ :٥). كل شخص بما فيهم الله كان يدرك أنه لا يمكن أن تزرع أرضًا دون ماء ودون فلاحّ يعتني بالأرض. لذلك «أَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا». (تك ٢ :١٥) آدم، وقد أصبح الآن في الجنة، كان أمامه عمل ليعمله، بدلاً من أن يتسكع ويستمتع بملذات الجنة.

عندما نضع هذا الأمر أمامنا نستطيع أن نفهم (تك ٢ :١٨). بجانب عمله كفلاح، كان لدى آدم مهمة أخرى، وهي أن يقوم بتسمية كل الحيوانات والطيور. لكن قبل أن يضع الله هذه المهمة على آدم، رأى الله أن آدم في حاجة إلى معين، وهذا معناه عدم قدرة آدم على العمل منفردًا «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ». (تك ٢ :١٨).

كثير من الناس استنتجوا من هذا الجزء الكتابي أن هدف الزواج أساسًا هو لحل مشكلة الوحدة. أرجو أن تفكر بعمق في هذا الأمر. هل كانت الوحدة مشكلة بالنسبة لآدم؟ لا ينبغي أن ننسى أن آدم كان في علاقة مع الله. ففي كلمة الله، نستطيع أن نجد أن هناك طرق عديدة لحل مشكلة الوحدة. أولاً من خلال العلاقة مع الله، ثم العلاقة بالأصدقاء بما فيها الشركة مع المؤمنين. ولأغلبنا من خلال الأسرة والزواج.

المودة الجنسية الحقيقية في الزواج

إن كانت الأفلام الإباحية وكل أنواع الجنس غير الأخلاقي تمنعنا من أن نفهم معنى المودة الجنسية، فنحن نحتاج إلى الفداء الجنسي لنفهم فهمًا صحيحًا ونتغير تغييرًا جذريًا.

لا أتذكر عدد المرات التي سألني فيها الأزواج الذين يعانون من عدم الأمانة الزوجية ، إذا كان من الأفضل لهم أن يتوقفوا عن ممارسة الجنس معًا لفترة معينة. إنه سؤال هام لا ينبغي أن نتعامل معه بسطحية. في هذا الوقت من الممكن أن يُساء استخدام الجنس، الأمر الذي قد يسبب ضررًا بالغًا. لا يمكن لأحد الزوجين أن يبدأ في علاقة جنسية حميمة إذا كان الطرف الآخر غير مستريح لذلك. قد تلبس الزوجة ملابس مثيرة جنسيًا لتلفت نظر زوجها، أو قد يصر الزوج أنه مثار جنسيًا ويضغط على زوجته، بحجة أنه لا يريد أن يمارس العادة السرية أو يذهب ليشبع احتياجاته مع امرأة أخرى. في النهاية كل هذه الأمور عبارة عن مودة كاذبة في إطار الزواج.

أرجو أن تدرك أن هذا الطريق الذي رسمه الله للمودة الحقيقية هو نفس الطريق للشفاء والقداسة. إن عطية الله للجنس لكي تكون مصدرًا للراحة، للمودة، للمتعة، للإثمار بل ولتحفظنا من التجارب الجنسية.

يا له من فهم سطحي ومحزن، عندما يعتبر الخطيبان وهما يقطعان عهود الزواج في ليلة زفافهما أن المقصود هو الحصول على تصريح بممارسة الجنس. للأسف سيفقدا أمرًا حيويًا. لن يروا أن ممارسة العلاقة الحميمة هي جزء من ترتيب الله منذ بداية الخليقة. لكن الأزمة الحقيقية عندما يشعر أحد الشريكين أنه يجب أن يتحمل ممارسة الجنس ولا يدرك أن الله خلق الجنس ليستمتع به الزوجان معًا.

في بحث الرجل أو المرأة عن الشريك، يكون أمام كل منهما عشرات من الاختيارات، لكن ينتهي الأمر بأن يختار كل منهما الآخر. في الواقع الله جمعهما معًا. إن ممارسة الجنس تخلق رابطة قوية بينهما تستمر مدى الحياة. إن هذه الرابطة تزداد عمقًا عندما تدرك أن الله موجود ويرى جمال شبعكم الجنسي. تستمر هذه الرابطة الجنسية إلى أن يفرق بينهما الموت، أو يصبح المرض أو السن عائقًا.

ممارسة الجنس الذي يمجد الله هو أمر نشعر فيه باللذة، النشوة، القوة، الإثارة والوحدة الروحية العميقة. قد نمتنع عن الحميمية الجنسية لفترة وجيزة بسبب الصلاة. إلا أن الصلاة ودراسة الكلمة ليسا أكثر أهمية أو أكثر قداسة من المودة الجنسية.

تبدأ المداعبة بالقبلات، الأحضان أو التلامس. قبل أن تبدأ المداعبة الجسدية الهادفة، ينبغي أن يكون هناك «تلامس» قلبي وفكري بين الزوجين. هناك تعبيرات كثيرة عن مثل هذا التلامس، من أن تقدم لها فنجان القهوة في الصباح، إلى المشاركة بما تكلم به الله إليك في خلوتك. إن الألفة الصحيحة تبدأ من الأساس الصحيح. هذا ينطبق جدًا على المرأة لكنه أيضًا ينطبق على الرجل. بدون هذه البداية الصحيحة تعتبر العلاقة الجنسية استغلالاً واضحًا.

إن كان هناك تباعد في العلاقات بسبب الخيانة الزوجية، فمثل هذا «التلامس» أمر حتمي. لا توجد قوة أعظم من كلمات ذات معنى تُقال من الزوج التائب مصحوبة بأحضان دافئة. إن هذه هي خطة الله وعمله القوي! دعونا نفعل كما فعل المسيح،

وفـي تواضـع بل وفي خضـوع، نعيش الوحدة التـي خلقها فينـا الله لقصده ولمسرة مشيئته.

كثيـر من الأزواج الذيـن يعيشون منفصلين جسديًا أو عاطفيًـا عندما حضروا إلى برنامـج المشـورة المكثف، كانـت الزوجة لا تريد أن تشارك زوجهـا غرفة نوم واحدة، كذلـك الـزوج يتباعد عن زوجته ليتجنـب ألم الرفض.عندما بـدأوا يفهمون أمور كثيرة عـن تدخـل الله وتشجيعه، مثل معنى النمو فـي التقوى، اهتمام الواحـد بالآخر، تقدير لآلام ومخـاوف الآخر. وعندمـا يشاركون الواحد الآخر آلامهـم وآمالهم، كانوا يأتون إلى مكتبي، الأمر الذي كنت أتوقعه، وكان الفرح يملأ قلوبهم ويقولون لي: «هل تعرف مـا الـذي حدث فـي الليلـة الماضية يا دكتـور شومبرج؟» لـم يحتاجـوا أن يخبروني، فالأمـر كان واضحًا علـى وجوههم، من طريقـة نظراتهم لبعضهم البعض، والطريقة التـي تتشابك بهـا أيديهما. لقد عمل الله عمله طبقًا لمقاصـده ولمجده ولمسرته. بحق إنه مشهد عجيب!

عندمـا نُلمس داخليًا، تستجيب أجسادنـا تلقائيًا، حينئذ تصبـح القبلات أكثر من مجـرد تحية عابرة، لكنها تحمـل مشاعر عميقة. لا تصبح اللمسات والأحضان قاصرة علـى غـرف النوم، لكنها تُعتبر مناسبة لكل الأوقـات طالما أنها لا تجعل الطرف الآخر يشعـر بالضيق. لا يجـب أن تكون مجرد مداعبة قبل العلاقـة الجنسية الحميمة، لكنها تعبيـر عن الالتزام الصادق، المشاعر، الحب الذي يملأ الذهن بالرضا والذي يؤكد على أن الزوجين ملكًا لبعضهما البعض بالكامل.

يُعتبـر الجمـاع الجنسي هـو أسمى تعبير عـن الوحدة الكاملة بيـن الزوجين، وهو تعبيـر عـن الفـرح الإلهي الذي فيـه يعطي ويأخـذ كل طرف في تناغـم وحب ووجدان وعاطفـة جياشـة. يـا له من أمـر عجيـب! بالتأكيد كان الله مـدركًا تمامًا تلـك النشوة الغامرة في الإنسان عندما خلقه!

لا أنسـى مطلقًـا، المرة الأولى التي رأيتِ فيها روزماري فـي بداية الفصل الدراسي الأول في عام ١٩٦٧. لقد انجذبت إليها في ذات اللحظة التي رأيتها فيها حتى قبل أن أتعرف عليها. وفي المرة التالية عندما تقابلنا استمتعنا جدًا بوجودنا معًا لدرجة أننا اضطررنا أن نترك المكتبة بسبب الضوضاء الذي تسببنا فيه. كانت هذه مجرد البداية!

يبدو أن هذه اللحظات الأولى التي امتدت إلى أربعين عامًا من العلاقة، كانت تبرهن أنها هي الإنسانة الوحيدة، ولا يوجد أحد سواها أفضل منها. في السنوات الأخيرة، كان يزداد أدركي وتقديري أكثر وأكثر أنها عطية الله لي. ذلك الإله المحب صاحب السلطان، الذي يعرف «أننا سنكون معًا» قبل أن نُولد وقبل أن نُقّبل بعضنا القبلة الأولى، وقبل ليلة زفافنا. لقد كانت خطة الله أن نكون معًا من قبل تأسيس العالم لتحقيق قصده ولمجده في حياتنا، وكذلك لاستمتاعنا وشبعنا.

إن كنت قد اختبرت ما أتكلم عنه، افرح وابتهج. إن كنت متشككًا أو كان قلبك مليء بالغيرة والحسد، أؤكد لك أنك تستطيع أن تستمتع بالمودة الصادقة التي تمجد الله. لست أقصد من هذا أن يكون هدفك أن تستمتع بالشبق المثالي، لكن بالمودة الصادقة الهادفة. لا أقصد أن أتحدث عن الجماع الجنسي! لكن أتكلم عن الفداء الجنسي، بكل ما يحمل من معنى وإشباع كما خططه الله لنا. فالعاطفة العميقة والمودة الصادقة تنبع من الحب، التعاون والالتزام. أما الأنانية والجنسية الغيبية لا تنشئ حبًا أو تعاونًا أو التزامًا. عندما تتعلما أن تلمسا قلب وذهن بعضكما البعض، بغض النظر عن الماضي، ستختبرا الفرح من خلال الفداء الذي يقدمه لنا الله.

التعبير عن المودة الجنسية في الزواج

قال لي ريتش، ذلك الرجل الذي في منتصف الخمسينات من عمره: «كنت دائمًا أعتقد أن ممارسة الجنس ستسبب لي إشباعًا، لكن هذا لم يحدث على الإطلاق. إن زوجتي لا تريد أن تكون ودودة. لم أمارس الجنس معها في آخر خمسة عشر عامًا من الزواج. ففي حياتنا الزوجية التي امتدت لمدة واحد وعشرين عامًا، مارست الجنس معها حوالي عشر مرات. كان هذا يحدث عندما تريد أن تجعلني سعيدًا. كنا نمارس الجنسي بلا حميمية. لذلك كنت أفضل ممارسة العادة السرية، فأنا أعرف كيف أثير نفسي جنسيًا. أستطيع أن أمارس العادة السرية لمدة ساعات، حتى أسقط من الإعياء، الأمر الذي يجعلني أحيانًا لا أستطيع أن أذهب إلى عملي».

تُرى ما هي الخبرات التى يحتاجها مثل هذا الزواج، بل وكثير من الذين يعانون جنسيًا؟

إن كنت محطمًا في علاقاتك الجنسية، الأمر الذي قد يتعدى أكثر من مجرد عدم

وجـود مـودة صادقة، فـالغفـران سيساعدك أن تبـدأ من جديد. عـرَّف قاموس ويبستر الغفـران على أنه: «الصفح عن المذنب، والنظر إليـه ومعاملته كأنه لم يرتكب ذنبًا»[٣]. إن كان الغفران دائمًا مؤلمًا، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالغفران في حالات الخيانة الزوجية. فالغفران هنا معناه بدلاً من أن ترد الإساءة بإساءة، أن تواجهها وأنت مدرك أن الله لن يغفر لك دون أن تمر بألم رهيب وعنيف. فالغفران هو رد النفس.

كمـا ذكرت من قبل، الجسد بمـا يحتويه من جنس هو ملك للرب. فالرب بذل جسده لأجـل أجسادنـا، التي افتداهـا. تعالوا بنا نتأمل ما جاء في (١ كو ٧ :٤): «لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ تَسَلُّـطٌ عَلَى جَسَدِهَا، بَلْ لِلرَّجُلِ. وَكَذلِكَ الرَّجُلُ أَيْضًـا لَيْسَ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهِ، بَلْ لِلْمَرْأَةِ».

إن كان الجسد هو للرب، وإن كان الجسد هو عضو في المسيح، وإن كنا اتحدنا معه كروح واحد، وإن كان الجسد هو هيكل لروح الله، وإذا كان الجسد قد افتدي بثمن عظيم، وإن كان جسـدك ليس ملكًا لـك، وإن كان يجب أن تمجد الله في جسدك، إذًا، فأنت ليس لـك سلطان على جسـدك. زوجتك لها سلطان، وكذلك زوجك لـه سلطان – من الناحية الجنسية– لكن هذا ينطبق فقط إن كنت في المسيح.

إن كنا تحت سلطان المسيح، وتمتعنا بعمل الفداء، فليس لنا سلطان على أجسادنا، وعلينـا أن نلبـي احتياجات الشريك مـن مودة صادقة وحياة جنسيـة مُشبعة: «لِيُوفِ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا الْوَاجِبَ، وَكَذلِكَ الْمَرْأَةُ أَيْضًا الرَّجُلَ». (١ كو ٧ :٣).

ثـم لاحـظ هذه الكلمات الصادمة: «لاَ يَسْلُبْ أَحَدُكُـمُ الآخَرَ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى مُوافَقَةٍ، إِلَـى حِينٍ، لِكَيْ تَتَفَرَّغُوا لِلصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ، ثُـمَّ تَجْتَمِعُوا أَيْضًا مَعًا». (١كو ٧ :٥). إن كنا نحـب الله، ونريـد أن نحب بعضنا البعضـ، أقول أن هذا يبدأ من فراش الزوجية. إن هذه الوصايا، توجه أفكارنا إلى اتجاه معين فيه نراعي حاجة الشريك الجنسية. إن هذا يتطلب اهتمـام كل واحد منا بالآخر بروح العطاء، كخادم محب. إن لسان حال مثل هذا الاتجاه القلبـي يقول للشريك: «ما الذي أستطيع أن أعملـه لأثيرك أكثر.. قبل، أثناء وبعد ممارسة الجنس؟» وأن يكون لديك الاستعداد بكل رقة أن لا تعمل أي شيء لا يرغب الشريك فيه.

عندئـذ نستطيـع أن نفهم ما تعنيه: «لاَ يَسْلُبْ أَحَدُكُمُ الآخَرَ – أي – لا يمنع أحدكم

الآخر عن نفسه» (ع٥). نستطيع أن نطبـق على وجه الخصوص ذلك الاستثناء النادر (أي المنع). فالتوقف عن ممارسة الجنس هو قرار متبادل لا قرار فردي.

أعتقد أن الحديث قد يدور على هذا النمط: «سو.. أريد أن أتوقف عن ممارسة الجنس لمدة أسبوع أو اثنين».

ترد سو بأدب: «أنا متأسفة يا چون، لا أستطيع أن ألبي طلبك الآن».

إذا لا يوجد مانع، إذا وافقت سو على عدم ممارسة الجنس، هذا هو الاستثناء لا القاعدة. هذا يتم لفترة محددة، ولغرض إلهي سامي.

إن المودة الصادقة لمجد الله لها فائدة ثانية، فهي تزودك بآلية خاصة لحمايتك من التجارب الجنسية. إن هذا الأمر لن يكون ذا فائدة إذا كنت تمارس الجنس لهدف الجنس، الأمر الذي يؤدي دائمًا إلى مزيد من الشهوة، وربما إلى ممارسة الجنس خارج إطار الزواج. هذا الأمر لن يحميك من السقوط في خطية الشهوة الجنسية إذا كانت الزوجة تشعر وكأنها أداة جنسية، وبذلك تفقد الرغبة في ممارسة الجنس. هذا الأمر سيكون له قوته وفعاليته إذا كان الزوجان على اتفاق جنسي، روحي، وفي علاقتهما معًا، ويتمتعان بانسجام عاطفي. إن لم تكن قد وصلت إلى هذا المستوى في العلاقة، أشجعك أن تبدأ رحلة المودة الصادقة، لتحصل على هذه الحماية.

هذا هو الجنس الطاهر النقي. هذه هي القداسة الجنسية وهو التعبير عن الفداء الجنسي.إن ممارسة الجنس في الزواج لا ينبغي أن يتحكم فيها أي شريك، إنها مسئولية متبادلة وموافقة متبادلة. لكن كل هذا يكون بلا معنى، إن لم يكن هناك استمتاع ورضا متبادل.

هذا الحب الحقيقي الصادق هو قوي كالموت! «اِجْعَلْنِي كَخَاتِمٍ عَلَى قَلْبِكَ، كَخَاتِمٍ عَلَى سَاعِدِكَ. لأَنَّ الْمَحَبَّةَ قَوِيَّةٌ كَالْمَوْتِ. الْغَيْرَةُ قَاسِيَةٌ كَالْهَاوِيَةِ. لَهِيبُهَا لَهِيبُ نَارِ لَظَى الرَّبِّ». (نش ٨ :٦). كان الخاتم يُعلق على الرقبة ويتدلى ليصل إلى منطقة القلب، أو يُلبس على الساعد. ففي كتابة العقود، أو كتابة عهد الأمانة الزوجية، كان الخاتم يقلب

فـي الطين المكتـوب عليه العهد. إذا استعرنــا هذه الصور وطبقناها علــى عهد الزواج، نستطيع أن نرى أن كل شريك موضوع في قلب الآخر.

المودة في الزواج هي حب مختوم بوعود طاهرة لا رجعة فيها. إن هذه أقوى بكثير من مجـرد كتابة عقـد الزواج الـذي يسمح لك بممارسـة الجنس مع الشريـك. إن العقد المكتـوب عبـارة عن مجرد ورقة. لكن المحبة في علاقة زواج يمجد الله قوية كالموت. (هنا يضع تشبيهًا سلبيًا).

يسيـر في محورين متوازيين المحبة القوية والغيرة القوية. هذا التشبيه يربط غيرة الله بمحبتـه لشعبـه، وهكـذا يشبه المحبة في الـزواج. فمحبة الشريـك لشريكه لا يجب أن يكـون لهـا مُنَافس. عندما يحب الشريـكان بعضهما منذ أن ينجـذب الواحد للآخر، ويعيشا معًا، وتمتلئ حياتهما بالرضا، عندئذ يغمر الفرح قلبيهما.

لا ينبغي أن نستغرب من أن هذه الرغبة للمحبة العميقة والمشاعر المتدفقة لا يمكن أن تتـم إلا مـن خلال الزواج. ليـت مواعيد الله لنا وعهودنا التـي قطعناها بعضنا نحو بعض تجعلنا نحب بهذا المقدار، حتى في وسط الصراعات .

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. هـل وضعت الجنس والعلاقة أولاً؟ هـل تسأل نفسك الأسئلة الخطأ: «كيـف يمكـن أن أشعـر أكثـر بـالحـب؟» «كيـف يمكـن أن نتواصل بطريقـة أفضـل؟» «كيف نتعامل مع الصراعـات؟» «كيف يمكن أن نمارس الجنس بطريقة أفضـل؟» . هل أنت على استعـداد أن تسأل السؤال الصحيح؟

٢. كيف يمكنك أن تخدم الرب بطريقة أفضل من خلال علاقتك الزوجية والمودة الجنسية؟

٣. الـزوج، في حياتك الزوجية، ما هو مدى التزامك بأن تقدم لزوجتك الحب الدافئ العميق والعواطف الجياشة، لأجل مجد الله؟

٤. الزوجة، في حياتك الزوجية، ما هو مدى التزامك بأن تقدمي لزوجك الحب الدافئ العميق والعواطف الجياشة، لأجل مجد الله؟

الفصل الرابع عشر

الفرح بالرب بغض النظر عمّا سيأتي

هناك أمر واحد يستحق اهتمامي
ويشد انتباهي بحماس شديد
هو أن أحقق الغاية العظمى التي من أجلها خُلقت
لأمجِد ذاك الذي أعطاني الحياة
ولأفعل كل الصلاح لرفقائي من بني البشر
صدقوني أن الحياة بلا قيمة
إن لم تكن تتحلى بهذا الغرض السامي
يارب كم هو تافه هذا الفكر البشري!
فأغلب البشر يعيشون لذواتهم
دون أن يهتموا بأن يمجدوك
ودون أن يفعلوا الصلاح للآخرين
فهم يسعون جاهدين ليحصلوا على
الغنى والكرامة ومباهج الحياة
كما لو أن الغنى والجاه واللذة
تستطيع أن تسعد النفس الميتة.
نعم يا لها من أحلام كاذبة مضللة (١)

بعد عملي لمدة ثمانية عشر عامًا في مجال المشورة الكتابية، أستطيع أن أقول أن الله يعمل بطريقة عجيبة وسريعة في قلوب وحياة الناس، بل وفي علاقاتهم الزوجية. لذلك عندما تقابلت مع جيم وكاري في المرة الأخيرة، كان حديثهما يشابه ما سمعته من كثيرين قبلهم.

كانت علامات الرضا بادية على وجهيهما وهما يصفان بدهشة عمل الله في قلبيهما.

بدأ چيم في الحديث وقال: «أستطيع أن أفهم الآن أن هناك عقاب لمن يتجاهل بكبرياء وصايا الله. إنه اختيار الله أن يفديني ويحررني من العبودية التي كنت أحيا فيها لمدة طويلة. لديَّ الآن فهم جديد لنعمته، وأدرك أن الله يغير الكثير فيّ أكثر من مجرد سلوكي».

ابتسمت كاري وقالت: «كان هذا مدهشًا حقًا. فأنا لا أرى فقط تغييرًا في چيم، لكن أرى أيضًا مدى الظلام الذي كان في قلبي. أمامي الكثير لأتعلمه عن الله وعن كيف أكون زوجة صالحة. لم أكن أرى القسوة التي في قلبي، كيف كنت عمياء بهذه الدرجة؟»

بعد أن تشاركا في الأمل الجديد الذي وجداه، بدأ چيم وكاري، كما يفعل الكثير من الأزواج يسألون بعض الأسئلة العملية.

قال چيم وكان يبدو على صوته التحفظ: «سنعود في الغد إلى العالم الحقيقي وهذا يخيفني. لا أستطيع أن أعود إلى ما كنت عليه، أي ما كنت عليه قبل أن أجئ إلى هنا. ماذا نفعل لنستمر في هذا الطريق؟» هزت كاري رأسها بطريقة تعبر عن شغفها لسماع ردي.

(چيم وكاري، الله يعمل في قلبيكما، لا تتساءلا عن وعورة الطريق، الآب سوف يؤدبكم لصالحكم كما قال الكتاب في (عب ١٢ :١٠) «لكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ». تذكروا دائما قول الكتاب: «تَمِّمُوا خَلاَصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ،لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ»).

ثم شرحت لهما أن عليهما أن يأخذا معهما بعض المواد التي تساعدهما في المتابعة، قبل أن يتركا هذا المكان، وشرحت لهما كيف أنه من المهم أن يدرسا هذه الأمور.

(تذكرا تحذير الرب يسوع في مثل الزارع، الناس تستمع للحق لكن «هَمُّ هذَا الْعَالَمِ وَغُرُورُ الْغِنَى يَخْنُقَانِ الْكَلِمَةَ فَيَصِيرُ بِلاَ ثَمَرٍ» ...صلاتي لأجلكما هي أن لا تنسيا أبدًا أن هذا العالم خطير جدًا).

أنهيت اللقاء الأخير بالرد على هذا السؤال: «ما الذي نقوله لأصدقائنا عندما نعود

إلى الكنيسة، وماذا نقول لأولادنا، ولوالدينا؟» كانت إجابتي متفردة لكل زوجين بحسب ظروفهما. ودعنا بعضنا البعض بالأحضان وبدموع الفرح.

تساءلت، هل ستسمح الظروف بأن نلتقي مرة أخرى، فليس لدى أحد فينا أي فكرة عن ما الذي قد يحدث ويجعلنا نلتقي مرة أخرى.

▬ ▬ ▬ ▬

في رأيك ما هو هدف الله بالنسبة لك؟

إن هدف الله الخاص لكل منا هو أمر فريد لكل شخص، لكن هدف الله النهائي هو أن تعتمد عليه وتثق في سلطانه في كل الظروف. يختلف وضعك عن وضعي، وتختلف ظروفي عن ظروفك، لكن علينا جميعًا أن نتقبل إرادة الله بفرح وبشكر وبروح الصلاة «افْرَحُوا كُلَّ حِينٍ. صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ. اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ». (١ تس ٥ :١٦-١٨)

قد يمتلك الرجل أو المرأة القليل الذي يجعله سعيدًا سواء كانوا متزوجين أم لا، إلا أن الفرح مؤسس على إدراكنا لحقيقة نعمة الله. ينبغي أن نستمر مصلين لأننا نعتمد كلية على الله ، اعتمادًا لا ينتهي بغض النظر عن ظروفنا وأحوالنا. لا يوجد شخص يعرف الله المعرفة الحقيقية يعيش دون ألم ، اكتئاب ،إحباط، حيرة، فقد، لكن في ذات الوقت يعيش هؤلاء وهم «.... غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ.... غَيْرَ يَائِسِينَ..... غَيْرَ مَتْرُوكِينَ..... غَيْرَ هَالِكِينَ». (٢كو ٤ :٨-٩). تأتي المشاكل عندما لا نكون على استعداد أن نعترف بضعفنا[٢] في الظروف الصعبة، ونعتمد على معونة الله.

ينبغي أن يتعلم المفديون أن يثقوا في حقيقة الحضور الإلهي في كل مكان وفي كل وقت. هذا الحضور هو أكثر واقعية من مجرد شعورنا «بحضور الله» في النصف ساعة التي نقضيها في العبادة. ينعزل من نطلق عليهم «الثابتون روحيًا» عن العلاقات في العالم الذي حولهم بعلاقاته، ليبعدوا أنفسهم عن كل ما يحدث. إن الرب يسوع ليس هو هذا «الشخص المنعزل» وليس أيضًا «المحب» الذي يملأ الفراغ الذي يشعر به غير المتزوج أو الذي يحيا حياة زوجية تعيسة. على عكس الفكر السائد، إن الرب يسوع لا يريدنا أن نستغل علاقتنا به لننعزل، بل هو الذي يزرع فينا الحياة الروحية الجنسية، من رجولة كاملة وأنوثة كاملة، لمجد اسمه حتى تنتهي حياتنا.

فالحياة ليست أبدًا انعزالاً، فالمعنى الحقيقي «للحياة المسيحية» أننا نستطيع أن نواجه أي شيء بلا تردد لأننا نتمتع بالحياة الأبدية. لا ينبغي أن ينطبق علينا القول: «رَجُلٌ ذُو رَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ».(يع ١ :٨). إن كنا نعيش في حياتنا مركزين على صدق حضور الله وعلى الأمور التي هي من فوق، وندرك تمامًا أننا نعيش في حالة السقوط، ونعترف بفسادنا الداخلي، لذلك فالمشاكل التي تواجهنا لن تدهشنا ولن تجرفنا بعيدًا.

أنا أؤمن أن الأمور التي تحدث لنا في الحياة ، التي هي في إطار مقاصد الله، إما أن تجعلنا أكثر أو أقل قداسة. إن الأمر يعتمد على فهمي الصحيح لشخص الله وعمله الفدائي. فحياة القيامة مع المسيح (أنظر كو ٣ :١-٤) تجعلنا واحدًا معه أو بلغة أخرى نتحد معه في أفكاره ومشيئته الإلهية. لكن لاحظ أنه لأننا خطاة، لذلك فطرق الله تبدو أمامنا وكأنها طرق خاطئة.

في بداية شبابي، كنت أفهم هذه الأمور فهمًا خاطئًا. كنت أعتقد أن المطلوب مني في خدمة الله هو التضحية. الآن أدرك أن المطلوب مني هو أن أتتم إرادة الله، وذلك من خلال معرفتي بإرادته المعلنة لنا. إن استطعنا أن نظل أمناء لله وللآخرين في وسط كل تحديات ومآسي الحياة، هنا نكون قد تممنا إرادة الله. فبالنسبة لأولاد الله، فكل ما يحدث هو في إطار خطة إلهية لحياتك.

من هو الإله الذي تعرفه

كل منا يستطيع أن يكوِّن فكرة عن أي مؤلف، خصوصًا عندما يتناول المشاكل والصراعات في حياتنا. لعلي أظن أن كثيرين افترضوا أني لم اعترك مشاكل الحياة. أفترض أن أغلبنا سوف يرحب بفكرة وجود شخص سار في دروب الحياة السهلة دون أن يتعرض لأية مشاكل كبيرة. لكنني مقتنع أنه يوجد مثل هذا الطريق. من حسن حظنا أننا لا تسير في الحياة وحدنا، لأن الله يسير معنا.

لم يكن لدي هذه الفكرة على الإطلاق. ففي أثناء دراستي في كلية اللاهوت قلت للرب: «تستطيع أن تفعل بي كما تشاء». كان التزامي أني على أتم الاستعداد أن أخدم الله في أي مكان وبأي وسيلة. قرأت عن مرسلين مثل چيم إليوت، چون وبيتي ستام، الذين قتلوا وهم شباب في سبيل خدمة الله. لذلك كنت وأنا أصلي أضع أمامي حقيقة أنه من الممكن أن أموت وأنا شاب.[٣]

استمع الله إلى صلاتي، لكن كان في فكره شيئًا آخر

عندما تقدمت لخطبة روزماري، كنت جادًا جدًا بالنسبة لالتزامي لخدمة الله وعمل أي شيء في سبيل هذا الأمر. كنت أريدها أن تعرف ما الذي سيحدث لها عندما تتزوجني، فقلت لها: «لقد قلت لله أنه يستطيع أن يعمل بي ما يشاء. أسوأ ما كان من الممكن أن يحدث هو أن أموت شابًا صغيرًا، لذلك إن كنت تريدين أن تتزوجي بي هناك احتمالين. إما أن تموتي معي، أو أن تصيري أرملة، هل تقبلين الزواج بي؟»

ردت روزماري على هذا الاقتراح غير الرومانسي بالإيجاب. بعد ثلاث سنوات من الزواج، باعت كل ما تمتلكه لتشتري تذكرة ذهاب فقط لتذهب إلى كابول أفغانستان لتخدم هناك مع (Hippie Trail). كان هذا في عام ١٩٧٢، عندما سافر حوالي مائة ألف شاب أمريكي وأوروبي برًا من اسطنبول إلى الهند ليهربوا من المنطقة الغربية. كانت أفغانستان كما هي الآن مكانًا خطيرًا في تلك الأيام. كان هناك إرهابيون يقتلون الكفار، وانتشر اللصوص وقُطّاع الطرق في الطرق خارج كابول. في الشهر الأول من خدمتنا هناك فقد كل واحد منا حوالي أربعين رطلاً من وزنه نتيجة إصابتنا بنوع من الإسهال.

لم يكن لدينا أي دعم مادي بعد، ولم يكن لدينا مدخرات نصرف منها. لكن الرب كان يعد لنا طعامنا اليومي ويضعه أمامنا على مائدتنا ليسد احتياجنا واحتياج المجموعة التي نخدمها من الهيبيز معنا والتي تعيش معنا في البيت الكبير الذي كنا قد أستأجرناه. لم يحدث أننا احتجنا في يوم من الأيام إلى وجبة طعام واحدة، وكل ما عملناه كان نتيجة قناعة داخلية أنه لا يوجد شيء أكبر من أن نضحي به في خدمة الله.

بعد خمس سنوات عدنا إلى أمريكا، دون أن يكون هناك أي عمل ينتظرنا، ولم يكن معنا أية نقود، وكنا نتوقع وصول طفلنا الثاني. وفي ٣٠ يونيه ١٩٧٣، ولدت روزماري بنت أسميناها چينفر، كانت تعاني من تشوهات خطيرة بالكروموزمات، كان كل عضو في جسمها مشوهًا. ماتت ابنتنا بعد يومين.

في هذه المأساة، كان لدي سؤال واحد : إن كان هناك شخص مستعد أن يعمل كل

شـيء لأجـل الرب، ثـم سمح الله لـه بهذه المـأسـاة والألم، هل الله فعـلاً موجود؟ ذهبت وجلسـت في حديقة تقع مقابل الشارع الذي تقع فيه المستشفى محـاولاً أن أجد إجابة لسؤالـي. فمنذ خمس سنوات كنـت أدرس أحد البرامج اللاهوتية فـي إحدى الجامعات التـي تؤمن بـاللاهوت المتحرر، وقد تعودت على تحدي إيمـاني كل يوم، الأمر الذي في الواقـع ثبَّـت من إيمـاني. بينمـا كنت أتـأمل في هذه الخبرات، وصلت إلى قنـاعة: نعم الله موجود!

إلا أن هذا قـادني إلى السؤال الثـاني: تُرى أي نوع من الآلـهة يكون الله؟. في الأحوال الطبيعيـة، يسبب مثل هذا التشوه الكروموزمـي إجهـاض للجنين في غضون أسبوعين مـن الحمـل، الأمر الذي قد لا تدرك معه المرأة أنهـا حبلي مـن الأسـاس. فحـالة زوجتي هـي حـالـة تتكرر مرة واحدة من بين مليون حـالة ولادة. إذًا لمـاذا نكون نحن «أصحـاب الحـظ» الذي يحدث معنـا هذا الأمـر؟ ألا يستطيع الله أن يمنع المـأساة التي تحدث واحد في المليون؟ هل هو صالح أم لا؟

قررت أني لا أريد مثل هذا الإله، وأنه لا معنى لخدمتي له بعد الآن.

استلـزم الأمـر مني سنوات طويلة فـي صراع مع الله، بل أقـول أن الأمر استلزم من الله سنـوات ليغير قلبي تغييـرًا جذريًا لأستطيع أن أدرك عنـايتـه ومعونته وإمداده في كل شـيء. مـا تعلمته هو مـا كتب عنه أزوالـد تشامبرز عندمـا قـال: «لن نعرف الله بحق إلا بعد أن نواجه أصعب وأحلك مواقف الحياة دون أن تؤثر على فكرنـا تجاه الله».[٤]

لذاك أدركت بيقين تـام من كل قلبي وفكري أن الله صـالح وأنه كلي القوة. أدرك الآن أن الله لـم يمنـع موت ابنتنـا، لكنه فـي ذات الوقت رتب الطبيب المنـاسب في هذه الليلة التـي دخلت فيهـا زوجتي مستشفي سـانت مـاري في ميلواكي. أدرك أن الله هـو المتحكم في الأمور لا الصدف. مـا يبدو أنه حـادث عشوائي، هو بترتيب من الله. كـان هذا الطبيب الشاب مصدر عون وتشجيع لنـا في هذه الأيـام الحـالكة الظلام في حيـاتنـا، لم يكن هذا الطبيب مؤمنًا لكنه كـان ترتيب الله أن يكون هـو المسئول فـي تلك الليلة.!

لكن الأهـم من الكل، إن إمداد الله كـان لخيرنـا، ليشكلنـا لكي نشترك معه في قداسته (انظـر عـب ١٢ :٧-١١). فـي الظـروف الصعبة تبدو إمـدادات الله أمـام أعين المنطق،

حالكة السواد في وسط ظلام الليل الأسود، لكن أمام أعين الإيمان، يبزغ الفجر بضوئه وينفجر النهار ويطلع يومًا جديدًا نستطيع أن نرى فيه مجد الله.

السؤال لك أنت أيضًا: من هو الله الذي تعرفه؟ يعلن الله عن نفسه أنه كلي القوة كلي الصلاح. حتى في كل المحن والتجارب في الحياة الزوجية – التي تعتبر عدم الأمانة أفظعها – هل نحن ندرك الصفات الحقيقية لله، وهل ندرك إرادته لحياتنا؟

كيف يريدنا الله أن نحيا في مثل هذا العالم الساقط؟ أؤمن أن كلمة الله تعطي الإجابة الصحيحة. فهي تقدم الإرشاد الواضح لكل رجل ولكل امرأة عن كيف يعيشون رجولتهم وأنوثتهم لمجد الله. ففي الإطار الشامل للزواج ، يجب على الرجل أن يحب زوجته من خلال تضحيته بذاته لأجلها، بأن يهب نفسه لها كما فعل المسيح. كما أنه يجب على الرجل من خلال تعهداته لزوجته أن يساعدها لتجد الشبع روحيًا، جنسيًا واجتماعيًا في حياتهما الزوجية بل وفي كل الظروف. الزوجة مرتبطة من خلال تعهداتها لزوجها أن تكون وقورة، نقية، تظهر الجمال الذي لا يذبل «جمال روح الوداعة والهدوء» في كل الظروف. وفي كل المشاكل أو الصراعات، عليهم أن يجعلوا طريقة معيشتهم «كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ ....تثْبُتُونَ فِي رُوحٍ وَاحِدٍ، مُجَاهِدِينَ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ لإِيمَانِ الإِنْجِيلِ، غَيْرَ مُخَوَّفِينَ بِشَيْءٍ (مرتعبين في شيء)» (في ١: ٢٧–٢٨)

ليتك تهدئ نفسي المرتعبة
لتثق في حكمتك وإرادتك المقدسة
فأنا لا أستطيع أن أعاين إرادتك
إلا أني أثق أن كلها صالحة،
طالما أنت تتحكم فيها.[٥]

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. ما هو موقفك عند وجود أوقات صعبة؟ هل هو مبني على فكر العالم الذي يفضل الراحة الشخصية والالتزام الأناني كي تعيش سعيدًا؟ أم أنك في كل الظروف سواء كانت مؤلمة أو مسرة، ترى يد الله وخطته؟

٢. هل أنت تطلب فرح الرب في كل الظروف؟

٣. سواء كنت متزوجًا أم لا، هل تكريسك للرب ظاهرًا في حياتك الروحية، الجنسية والاجتماعية؟

الفصل الخامس عشر

الثورة الجنسية القادمة

أستطيع أن أقدم ذاتي لك من كل قلبي

وأكون ملكًا لك للأبد

في صلاتي أستطيع أن أضع كل مخاوفي بين يديك

لتكون أنت المتصرف فيها.

لتكن لا إرادتي بل إرادتك

ساعدني أن تكون حياتي صلاة

وأن لا أكف أبدًا عن الصلاة.[1]

مضى ثمانية عشر شهرًا منذ أن ودعت چيم وكاري ولم أتلقى منهما أية خطابات عبر الإنترنت، أو أي مكالمات تليفونية عن أحوالهما. من خلال صلواتي كنت أتعجب «هل استوعبوا؟»[2]. فجأة، وصلتني رسالة مستعجلة من كاري تطلب مني الاتصال، خشيت أن يكون هناك أمر سيئ قد حدث، فاتصلت بها عبر التليفون المحمول.

قالت: «دكتور شومبرج: أنا محبطة، ابنتنا سوزان لها علاقة غرامية! تلك الابنة التي كانت غاضبة جدًا من چيم. لم أكن أتخيل على الإطلاق أنها من الممكن أن تفعل شيئًا كهذا».

بدأت كاري تشرح لي أن ابنتها كانت أكثر أولادهم الثلاثة التزامًا في حياتها الروحية. لم تكن متمردة على الإطلاق، كان لها نشاط متميز في الكنيسة، تخدم في القوافل الكرازية، بل كانت تشهد للأطفال زملائها في المدرسة، واحتفظت بعذريتها حتى تزوجت.

«أنا أدرك تمامًا ما علمتنا إياه أن الأمر يتعلق لا بالمظهر الخارجي بل بما هو في داخل القلب، لكن هذه هي ابنتي!»

قلت لها: «اخبريني عنها أكثر»

«ابنتي مغرمة بالإنترنت، فأنشأت صفحة لها على موقع جوجل لتستقبل تعليقات الآخرين عن ما تكتبه. تعرفت على هذا الشاب على الإنترنت من خلال تعليق كتبه على الصفحة الخاصة بها. كانت كل الأمور تبدو بريئة حتى أنها أخبرت زوجها ريك عن ما كتبه ذلك الشاب و عن رد فعلها. اكتشفت أن هذا الشاب يعيش في نفس المدينة. تقابلت معه وتناولا معًا القهوة. تحدثا معًا عن أمور الحياة، الله، أولادهما. منذ ثلاثة شهور أصبحا في علاقة جنسية. لا أستطيع أن أصدق أن هذا يحدث معي مرة ثانية – مع شخص يهمني جدًا، ماذا عن أحفادي؟ الآن سوزان ليست متأكدة من مشاعرها إن كانت تريد أن تستمر في زواجها أم لا. هل تستطيع مساعدتي؟ سأدفع أنا وچيم تكاليف برنامج المشورة المكثف إذا ما وافق ريك وسوران أن يحضرا فيه».

هذه ليست المرة الأولى التي أقدم فيها المشورة لذات العائلة. أعتقد أني لو كنت أصغر سنًا، كنت سأقدم المشورة الزوجية لأحفاد من كنت أقدم لهم المشورة. أؤمن أن الوضع يزداد تأزمًا، لذلك فالجميع مطالبون أن يهتموا بمن حولهم.

▬ ▬ ▬ ▬

كنت دائمًا أتساءل ما الذي كان عليه العالم قبل الطوفان حين كان «كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ». إن كنا لم نصل بعد إلى ذلك الوضع، لكننا نستطيع أن نرى ما الذي كان يحدث.

عشت في كلورادو لسنوات عديدة، ورأيت كثيرا منظر قوس قزح المضيء في وسط السماء السوداء الممتلئة بالغيوم. عندما أرى خطايا الجنس البشري، وأرى هذا المنظر في وسط السماء، أتعجب من رحمة الله في عهده لبني البشر. فالله ينظر إلى قوس قزح ويتذكر كلمته ويحفظ عهده. «فَيَكُونُ مَتَى أُنْشِرْ سَحَابًا عَلَى الأَرْضِ، وَتَظْهَرِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ. فَلاَ تَكُونُ أَيْضًا الْمِيَاهُ طُوفَانًا لِتُهْلِكَ كُلَّ ذِي جَسَدٍ». (تك ٩: ١٤ –١٥). أستمتع برؤية قوس قزح في هذا العالم الفاسد الذي نعيش فيه، لأني أدرك أن الله سيحفظ هذا العالم إلى يوم الدينونة الأخير (٢ بط ٣ :٧، ١٣). هذا النظام الذي وضعه الله لن ينتهي قبل الوقت المعين. لكن علينا دور يجب أن نعمله!

في أيامنا الحالية، هل أصبح المؤمنون أقل نقاءًا جنسيًا من تقديرات رعاة الكنائس؟ هناك أشياء كثيرة دفعتني أن أكتب هذا الكتاب، لكن هذا هو الهدف الأول!

لأكثر من ثمانية عشر عامًا في خدمتي بين المؤمنين، تلاقيت مع قادة وأشخاص عاديين متورطين بعمق في خطايا جنسية. وصلت للقناعة أن هناك كثير من المؤمنين لا يعيشون حياة النقاء والطهارة، وأن الرعاة يتجنبون الحديث عن هذه الحقيقة المرعبة. فمواجهة مشكلة الخطية أمر غير شائع وقد يعتبره البعض مهمة شائكة، أما تناول الخطايا الجنسية فهو أمر مرفوض تمامًا. أعتقد أننا نحاول أن نعزل الأمور المتعلقة بالجنس عن حياتنا المسيحية حتى نستطيع أن نعيش بالطريقة التي نريدها.

إن الخطر الحقيقي هو أننا نحاول أن لا نفعِّل الحق (رو ١ :١٨)، ونحن نفعل هذا بطريقتين. أولاً نتجاهل مشكلة الزنا الجنسي في وسطنا حتى تطفو مشكلة من هذا النوع على السطح. ثانيًا، نتجاهل المشكلة الحقيقية وإلقاء اللوم على فعل الخطايا الجنسية إلى النشأة الأسرية، الصورة الذاتية السيئة أو التعرض لصدمة سابقة. يتبنى بعض الرعاة الآن لغة المشورة العالمية في التعامل مع الخطايا الجنسية، بدلاً من أن يقدموا الفكر الكتابي الذي يقود إلى التبكيت الحقيقي، التوبة الحقيقية والحياة الطاهرة. وهكذا بدأ الإحساس بالمسئولية الشخصية يتضاءل.

أتعجب وأنا أستمع لأشخاص من كل أنحاء أمريكا، وهم يتحدثون ويعبرون عن مخاوفهم الأساسية. بدأت فكرة السعادة الشخصية تطغى على المقاييس الكتابية للقداسة. فالناس يريدون راحة على المستوى الشخصي وعلى مستوى العلاقات، ولا يضعون في حساباتهم فكرة التضحية أو الالتزام الذي يستتبعه طهارة جنسية تمجد الله.

إن لم نتعامل بجدية مع الأمور الجنسية، والخطايا الجنسية على وجه الخصوص، نحن نختار الطريق الثاني من أحد طريقين. الطريق الأول هو طريق التوبة. أما الطريق البديل، هو طريق الكبرياء. فالكبرياء هو فعل الإرادة الذاتية وبذلك هو مركز كل خطية في القلب. فالحياة الكنسية والوعظ لا ينبغي أن تُشكل كلمة الله لتناسب حياتنا ورغباتنا، لكن على العكس ينبغي أن تُشكِّل الكلمة قلوبنا، حياتنا، رغباتنا، وكل حياتنا الجنسية.

نحن في حاجة ماسة إلى نوع مختلف من الثورة الجنسية!

يحتـاج كل رجـل وامرأة ينظـر إلى الجنس الآخـر كوسيلة لإشبـاع ملذاته الأنانية أن يرجـع إلـى كلمة الله التي يجد فيهـا الحق. فبدونها لا يمكـن أن نتحرر من عبودية مشاهدة الأفلام الإباحية. فنحن نتعامل مع ما هو أكثر من مجرد أفلام إباحية مدمرة، أو انهيـار الأسر، أو استباحـة الممارسات الجنسية. نحن نتعامل مع عدو داخلنا! وهذه هي ساحة المعركة.

نحـن نعلم الآن أنه إذا أعلنا حرب جديدة على الأفلام الإباحية، لن تجدي. محاولة تغييـر الثقافـة هو محاولة التعامل مع أعراض المرضـ لا مع المرض. فمشاكل الدول السياسية قد تُحل من خلال تغيير الكونجرس أو رئيس الدولة. إلا أن المشاكل الأسرية لا تُحل إلا من خلال محاولة تقوية بناء الأسرة الذي يؤدي في النهاية إلى نوعية حياة أفضـل. نحن نحتـاج في هذا العالم الذي يهتم بالمظهريـة، إلى أكثر من مجرد عملية تجميـل سطحي، بـل إلى تغيير جذري داخلي، فيه تتغيـر مفاهيمنا، أفكارنا، كلماتنا، سلوكنا، علاقاتنا، حياتنا الجنسية وأهم من كل هذا تتغير قلوبنا!.

إذاً ما الذي يجب أن يتغير؟

مـن الواضـح أنه ينبغـي أن يحدث انقـلاب على الثـورة الجنسية التـي حدثت في الستينـات والسبعينـات مـن القرن الماضـي. إذاً ما هو الاختـلاف الحقيقي في الثورة الجنسية الجديدة؟ لا شيء! هذا هو الأمر المطمئن في هذا التغيير المدهش والشامل. فهو لا يحتاج إلى تقنيات جديدة، لكنه أمر قديم، مخطط له من قبل. لهذا السبب تستطيع أن تضحـي بحياتـك، بل أن تبذلها تمامًا، لأجل هذه الثورة. خطة الفداء موضوعة من قبل تأسيس العالم. «... اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْـلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ». (أف ١ :٤).

تغيير السلوك لا ينهي المشكلة! إنه تغيير خارجي، وهو إلى حد ما تغيير ناموسي لا يخلـو مـن الحماقة. يستطيع غير المؤمن أن يغير من سلوكه بنوع من قوة الإرادة، لكن القـوة الحقيقية لها مصـدر واحد. القوة الحقيقية قوة كاملة، قوة دائمة، قوة مصدرها الله. «فَمَـاذَا إِنْ كَانَ اللهُ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ غَضَبَهُ وَيُبَيِّـنَ قُوَّتَهُ، احْتَمَلَ بِأَنَاةٍ كَثِيرَةٍ آنِيَـةَ غَضَبٍ مُهَيَّأَةً لِلْهَلاَكِ. وَلِكَيْ يُبَيِّنَ غِنَى مَجْدِهِ عَلَـى آنِيَةِ رَحْمَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِلْمَجْدِ؟» (رو٩: ٢٢-٢٣) فمنذ الأزل كان في تدبير الله خطة للتغلب النهائي على شر الإنسان المرعب.

علينا أن لا نحيد عن خطة الله! فخطة الله لا تتغير حتى لو انتشرت الخطايا الجنسية المدمرة. لذلك تمسك بهذه الخطة! إننا نؤمن بسلطان الله المطلق على كل أنواع الخطايا. إن في تدبيره أنه في النهاية سيدمر كل أنماط الشر. إن خطته هو أن يبعد غضب الله الآتي عن كل من يؤمن. خطته أن يغفر الخطايا. في تدبيره سيلتقي العدل مع النعمة والنعمة فقط. فالقلب الشرير لن يتغير أبدًا إلا من خلال خطة الله المدعمة بقوته!

لذلك دع هذه الثورة الجنسية تبدأ في قلبك!

نقطة البداية الوحيدة التي تنجح

تبدأ عملية الثورة الجنسية في الداخل بالتوبة. فالتوبة تقبل «الْخَبَرُ..... إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ. إِنْ قُلْنَا إِنَّ لَنَا شَرِكَةً مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَقَّ. وَلكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ». (١يو ١ :٥-٧).

في وسط الأزمة الحالية، حان الوقت «لنسلك في النور» ونعيش روحيًا واجتماعيًا وجنسيًا طبقًا لإرشاد كلمة الله بأن نسلك في الحق. في هذه الثورة الجنسية علينا أن نعرف الحق، لكن ثورة «السير في النور» تستلزم منا أن نعيش في «الحق». لا يوجد طريق آخر يحررنا من عبودية الخطية، خصوصًا عبودية الخطية الجنسية.

القوة الحقيقية تأتي من العتق

إن العبودية الحقيقية ليست هي العبودية الجنسية بل عبودية الموت! الشيطان هو الممسك بقوة الموت. جاء المسيح لكي «يُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ». (عب٢: ١٥). لكن الخبر السار هو أن الله «أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ، وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ، الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا». (كو ١ :١٣-١٤).

لذلك، لنسمح للثورة الجنسية أن تستمر!

عندما يتعلق الأمر بعتقنا من عبودية الخطية علينا أن ندرك ما قاله الكتاب: «كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ، وَلكِنْ أَحْيَاءً للهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ

رَبِّنَا........فَــإِنَّ الْخَطِيَّــةَ لَنْ تَسُودَكُمْ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْــتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ». (رو٦: ١١، ١٤). فبدون الفداء:

- نحن نستحق الموت كعقاب لخطايانا بما في ذلك الخطايا الجنسية.
- نحن نستحق أن نتحمل غضب الله ضد الخطية بما في ذلك الخطايا الجنسية.
- نحن قد انفصلنا عن الله بسبب خطايانا بما في ذلك الخطايا الجنسية.
- نحن عبيد للخطية بما في ذلك خطايانا الجنسية.

نستطيـع أن نـدرك من خلال الإنجيل أننا خطاة، وتحـت عبودية الخطية، بما فيها الخطايـا الجنسيــة. نحن نحتــاج إلى شخص يقدم لنــا الفداء، «ليفتدينــا» من عبودية الخطية.

من خلال الفداء:

- نستطيع أن نثق في المسيح أنه يغفر لنا الخطايا بما في ذلك الخطايا الجنسية.
- دفع الرب يسوع ثمن عقاب خطايانا بما في ذلك الخطايا الجنسية.
- إن مـوت المسيـح وفّى تمامًا متطلبات عـدل الله بالنسبة للخطية بما في ذلك الخطايا الجنسية.
- نحن الآن لسنا مستعبدين للخطية بما في ذلك الخطايا الجنسية.
- نحن الآن روح واحد في المسيح.

لذلك، اسمح للثورة الجنسية أن تبدأ فيك!

القوة الحقيقية قوة فاعلة

تفضـل الآذان فــي هذه الأيـام أن تستمــع إلى الكلام الناعم الـذي يدعوهـم إلى الله، ذلـك الآب الكبير الذي في السماء، حيث يستمتعـون تلقائيًا بالنقاء الجنسي. نعم نحن في الواقع مبررون ببر المسيح وحده، لكن بالنسبة لمسئوليتنا، وطبقًا لقول الكتاب لم نتحـرر بعـد من الضغوط. نعم فلا أحد يريد أن يتعرضـ للضغوط، وبالتأكيد أيضًا أنا لا أريد ذلك.

كان تيـد، مثـل كثير من الشباب غيـر المتزوج الذين تقابلت معهـم للمشورة، شابًا لامعًا، ناجحًا، موهوبًا وحسن المظهر. قال لي أنه كان مؤمنًا، وقد وجد أنه من السهل

جدًا أن يصطاد فتاة يمارس معها الجنس، حتى من بين الفتيات المؤمنات في الكنيسة. كان جنس بلا التزام أو مساءلة. قال لي: «لكي أكون أمينًا، لولا ضغط أمي عليّ لكي أحضر إلى هنا للمشورة، لما كنت حضرت. في الواقع أنا لا أشعر بالضيق مما أفعله. لكن ما يقلقني هو اضطراري أن أخبر زوجة المستقبل بماضي. لكن من الجانب الآخر، لا أظن أني أستطيع أن أتوقف. هل الله يعرف ما الذي يفعله؟»

فعدم ممارسة الجنس حتى الزواج بالنسبة لتيد ولكثيرين كان يعتبر قانونًا قديمًا، وكانت نظرتهم لكلمة الله أنها عبارة عن قائمة من القوانين القاسية. قد ينظرون إلى الله على أنه يقوم بدور القاسي، كونه يطلب قداسة جنسية وفي ذات الوقت يضع فينا رغبات جنسية قوية. أنه ذات التحدي، حيث توجد الخطية، توجد الغواية.

لماذا تحيط بنا الخطية بكل سهولة؟ (عب ١٢ :١) أنا مقتنع بأن الله يعتني بنا تمامًا. فكل الأمور التي يفعلها الله، يرتبها ويسمح بإتمامها بل حتى عندما تمتد يد التأديب إلينا، هي «لخيرنا» (عب ١٢ :١٠).

إن نظرتنا الطفولية لا ترى دائمًا الحق. لذلك نقول لأنفسنا وللآخرين «ما هذا الذي يعمله الله؟» حتى وإن كان الكل لخيرنا، وهذا «الخير» «لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ». (عب١٢: ١٠). لذلك علينا أن نتبع «السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ». (عب ١٢ :١٤). كتب س. أس. لويس عن القداسة: «إن هذه المهمة لن تكتمل في هذه الحياة، لكن الله يريد أن نصل إلى أقصى مدى بقدر الإمكان قبل موتنا. لهذا السبب لا ينبغي أن نستغرب الأوقات الصعبة في حياتنا».[٣] ينبغي أن يكون هناك تطبيق عملي للفداء في حياتنا ينمو كل يوم. هذا عمل الله والإنسان معًا. من خلال هذا الأمر نتحرر أكثر من الخطية لنشابه المسيح. إن هذا الأمر يبدأ عندما تتغير حياتنا.

كان أهل كورنثوس يعانون من الخطايا الجنسية، وكانوا يمارسون الزنا في المعابد. لكن عندما يتغير المؤمن الحقيقي يتم فيه قول الرسول بولس: «وَهكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُمْ. لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا». (١كو٦ :١١).

تبدأ الخطوة الأولى بكسر قوة الخطية، ونتيجة لذلك، يتحرر الشخص من عبودية

ومحبة الخطية. لذلك علينا أن نحسب أنفسنا «أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ». (رو ٦: ١١) وبالتالي ينطبق علينا القول: «وَإِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ صِرْتُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ». (رو ٦: ١٨). إن القوة الحقيقية التي نحصل عليها تساعدنا على أن نتحرر من الخطية فلا ينغمس المؤمن الحقيقي في رثاء الذات ويستسلم ويقول لزوجته «لقد صارعت مع مشاهدتي للأفلام الإباحية لمدة عشرين عامًا ولم أستطع التوقف، وعليك أن تقبلي هذا الأمر حتى أموت». إن الشهوات الجنسية للمؤمن الحقيقي تغيرت من محبة للخطايا الجنسية، إلى كراهية للخطايا الجنسية في نفسه وفي الآخرين.

قبل أن نتقابل مع المسيح كنا هالكين وعبيدًا للخطية. لم يكن لدينا القوة على التغيير من الداخل، لكن كان التغيير خارجيًا. لكن عندما قبلنا الرب يسوع وتغيرت حياتنا، نلنا القوة الحقيقية فأصبحنا أبرارًا! إن هذه هي بداية جديدة، لقوة يمتد عملها طوال حياتنا لتساعدنا لكي نعيش حياة القداسة، الأمر الذي لن يكتمل إلا عند الموت.

إن هذا العمل الممتد قد يستلزم تأديبنا (عب ١٢ : ٥-١١). فالله سيعيننا أن نتمم عمله (في ٢ :١٣)، وسيؤهلنا أن نعمل إرادته (عب ١٣ :٢٠-٢١). إن القوة الحقيقية هي قوة فاعلة، ولها دور حيوي إذا كنا نعتمد على الله. فنحن نقدم ذواتنا لله (رو٦ :١٣)، وعلينا أن نقدم أجسادنا «كَذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ». (رو ١٢ :١). دورنا الفعال هو الطاعة، وعلينا أن نجاهد (عب ١٢ :١٤) وعلينا أن نبذل كل اجتهاد (٢ بط ١: ٥)، وأن نمتنع عن الزنا (١ تس ٤ :٣)، وعلينا أن نطهر أنفسنا (١يو ٣ :٣).[٤]

القوة الحقيقية هي قوتنا معًا

في الثورة الجنسية التالية، سيكون التغيير من خلال قوة الله ومشاركتنا الفعالة- لكننا لن نستطيع أن نحقق هذا وحدنا! هذه الثورة الجديدة لا يمكن أن تحدث من خلال أشخاص يعيشون في انعزال روحي أو اجتماعي. لكن علينا أن نتعاون معًا كجسد المسيح.

من الصعب لأكثرنا في هذه الأيام قبول المسئولية تجاه بعضنا البعض. فنحن نعيش في ثقافة الانعزالية، التي تعلمنا أن نترك الشخص وشأنه، ونعطيه مساحة من الحرية والحركة، ونتركه ليدير شئونه الخاصة بنفسه، ويمارس الحرية بالطريقة التي يراها. فنحن بالتأكيد تعلمنا أن نكون مسئولين عن أنفسنا، لكن لم نتعلم أن نكون

مسئولين عن الآخرين. تعمقت روح الفردية في مجتمعاتنا، الأمر الذي يتمشى مع طبيعتنا، وينبع من قلوبنا الأنانية.

إن مسئوليتنا تجاه بعضنا البعض في الحياة الزوجية وفي الكنيسة لا يجب أن تتعلق بشعورنا بعدم الأمان، أو رغبتنا في التحكم في الآخرين، أو محاولة إخفاء ضعفاتنا بإسقاطها على الآخرين، أو تحقير الآخرين حتى نبدو وكأننا أفضل منهم وبذلك نبني صورتنا الذاتية. فالمؤمن الحقيقي يحاول أن يُخرج الخشبة من عينه أولاً قبل أن يُخرج القذى من عين الآخر. إن الروح التي ينبغي أن نتحلى بها هي روح الخادم الذي يرغب في مساعدة الآخرين «لاَ تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لآخَرِينَ أَيْضًا». (في ٢ :٤). إن هذا هو فكر الخادم.

إن الثورة التكنولوجية التي ساد فيها استخدام التليفون المحمول وشبكة الإنترنت، خلقت نوعًا جديدًا من التواصل، تغلب عليه روح الفردية والاستقلالية. كان الأمر بالنسبة للمؤمنين الأوائل مختلفًا، لأنهم كانوا يركزون على علاقتهم معًا. كانوا يدركون أنهم يحتاجون بعضهم البعض ليس لمجرد العلاقة، بل لإحساسهم القوي بالمسئولية تجاه بعضهم البعض – ليس فقط في نطاق الاحتياجات العامة – بل في احتياجاتهم الروحية العميقة خاصة عندما يقعون في الخطية.

عندما كان يضل أحد المؤمنين، كان يتدخل باقي المؤمنين ليساعدوه لكي يعود إلى حياة القداسة. كان هذا تقليدًا معروفًا تتبناه الكنيسة «أنا والآخر» والذي يعلمنا إياه الكتاب المقدس. فعندما نرى رفيقنا المؤمن – شريك، شقيق، صديق، زميل – يزل سواء بالكلمات أو بالأعمال أو حتى باتجاهه الفكري، كان لزاما على الأخوة أن يذهبوا لينبهوه على الخطية التي وقع فيها «أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ، نَاظِرًا إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضًا. اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ، وَهكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ». (غل٦: ١-٢). للأسف، أهملت الكنائس في هذه الأيام كثير من تعاليم الكتاب. فكما أدركنا من قبل أن عملية التقديس هي عمل الله، لكن علينا أن نجاهد معه في هذا الأمر. «اِتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ». (عب١٢: ١٤) إن الله هو الذي وهب لنا حياة القداسة، وهو يراقب باستمرار هذه الحياة من خلال التأديب (عب ١٢: ٣ -١١). وعلينا أن نعمل أمرين: «نجاهد

في طريق السلام .... والقداسة» (عب١٢: ١٤). أما الأمر الثاني، فهو أن نكون مسئولين عن بعضنا البعض «مُلاَحِظِينَ لِئَلاَّ يَخِيبَ أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ». (عب١٢: ١٥).

كنت أتساءل ما الذي سيكون عليه الوضع عندما تتقدم لعضوية كنيسة محلية، حيث يتقابل الشيوخ مع ذلك الشخص المتقدم للعضوية، ويشرحون أن شركتهم معًا معناها أن يكونوا مسئولين عن بعضهم البعض، وأنهم يلاحظون باستمرار بعضهم بعضًا «لئلا يخيب أحد من نعمة الله». في هذا الإطار سيقدمون ثلاثة أمور ويتوقعون نفس الأمور الثلاثة من كل عضو: سيبدأون بالهدف الحيوي «مُلاَحِظِينَ لِئَلاَّ يَخِيبَ أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ». ثم يتأكدوا من أن «لا يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجًا، فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ. لِئَلاَّ يَكُونَ أَحَدٌ زَانِيًا أَوْ مُسْتَبِيحًا كَعِيسُو، الَّذِي لأَجْلِ أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ بَاعَ بَكُورِيَّتَهُ». (عب ١٢: ١٥-١٦)

هل تريد أن تنضم لمثل هذه الكنيسة؟

ومن هنا تنطلق الثورة الجنسية التالية!

إن الكنيسة التي تمارس مثل هذه المسئولية كأعضاء تجاه بعضهم البعض، سيكون لها دور أكبر من مجرد لجان المحاسبة أو مجموعات الدعم. فعمل مثل هذه اللجان عمل غير كاف على الأقل لسببين. أولاً: أن لجنة المحاسبة ستحاسب طبقًا لمقاييسها الخاصة. لذلك فكل قائمة من «الأسئلة القاسية» ستنتهي بهذين السؤالين «هل أنت تكذب عليّ؟ أما السؤال الثاني «هل أنت تكذب عليّ فلم تقل لي إنك كذبت عليّ؟» ثانيًا: لو افترضنا أن الشخص يقول الصدق، فالسؤال الموجه إليه هو مرتبط بسلوكه، لا بحالة القلب.

ستساهم مجموعات الدعم الروحية، التي تتمتع بالتعليم الصحيح في هذه الثورة الجديدة. أما مجموعات الدعم التي من النادر نراها تتحدى الخطية، أو تشجع على الجهاد لحياة القداسة، سوف تزيد من حجم المشاكل في الحياة الزوجية وفي المجتمع المسيحي.

الثورة للمدى الطويل

في مجتمع تشبع بالخطايا الجنسية، نواجه كل يوم الإغراءات وعاداتنا القديمة تحاول أن تشدنا للوراء، ويل ونواجه إحباطات وإحساس بالمرارة، وقلوب من

السهل أن تنجذب وراء اللذة الوقتية. أمام كل هذه التحديات، كيف يمكن للقلب أن يحارب حتى النهاية؟ إن الذي يشجعنا في مثل هذه الظروف هو أننا نعتمد على شخص واحد، والعمل الذي عمله ذلك الشخص. إنه المسيح الذي هو «رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ» (عب١٢ :٢). دعونا لا ننظر حولنا، لكن «لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ، وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، نَاظِرِينَ إِلَى .... يَسُوعَ». (عب ١٢ :١-٢). إن عينيه دائمًا عليك، لذلك ثبِّت نظرك فيه.

منذ عدة سنوات كنت أقوم بخدمة المشورة لنجم من نجوم كرة القدم الأمريكية الذي ضبط في أحد الخطايا الجنسية. كان قد تم اختياره عدة مرات ليلعب في البطولات العالمية، التي فاز فيها فريقه. أنا أحب مشاهدة هذه اللعبة. شرح لي هذا اللاعب أنه يؤدي دوره في الملعب وكأنه في عرض يتفرج عليه المشاهدون. وفي كل مرة يكون فيها في الملعب، سواء كان لاعبًا أو احتياطيًا، يقوم بحركات استعراضية بجسده أمام المشاهدين. شرحت له أنه عليه أن يتوقف تمامًا عن الخطايا الجنسية، الأمر الذي ينبغي أن يفعله كل شخص، فنحن كلنا نلعب في ملعب أمام مشاهد واحد!

علينا أن نتذكر أنه لا ينبغي أن نخاف من «الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ». (مت ١٠ :٢٨). يخبرنا الرب يسوع أن المشاهد الأوحد يلاحظ أدق التفاصيل، فعصفور واحد لا يسقط دون أن يعرفه الآب، بل هو يعرف عدد شعور رؤوسنا (مت ١٠ :٢٩ -٣٠). الأمر بسيط وواضح، وهو أن الله يرى ويعرف كل شيء.

إن كنا نعرف الله، فهو أيضًا يعرفنا! لذلك أن كنا نعرف من يشاهدونا في هذه الثورة، فلا ينبغي أن نهتم بالمكسب أو بالخسارة لكن الذي يهمنا هو أن نسمع تلك الكلمات «نعمًا أيها العبد الصالح والأمين». عندما ننظر إلى الرب يسوع المسيح، ونرى كل ما تألم به لأجل الخطاة، عندئذ «**لن نكل ونخور في نفوسنا**» (عب ١٢ :٣) لأننا سننظر مجده، سنرى ذلك الشخص الذي يرانا.

دعونا نبدأ الثورة الجنسية التالية

إننا لسنا في حاجة إلى عدد أكبر من المشيرين، أو عدد أكبر من مجموعات المشورة الصغيرة بل لسنا أيضًا في حاجة إلى تقنيات جديدة. إن ما نحتاجه بحق هو

موجـود معنا وبين أيدينا: الكتاب المقدس، كلمـة الله الموحى بها، وأشخاص يبذلون كل الجهـد أن يحيـوا متمميـن مشيئة الله ويمجـدوه. لا يوجد مفتاح سحـري أو طريقة سحرية، لكن سأقدم لكم بعض المفاهيم التي من الممكن أن تكون مرشدًا لنا.

- كل رجل وامرأة وطفل كائن جنسي، هذه الثورة لكل شخص!
- إن وصايا الله هـي صورة لحقيقة الله في مواجهة جنون العالم. الثورة هي الحل!
- فـي مجتمعنا الذي يتسم بثقافة الجنـون الجنسي، الإنـجيل هو أنسب شيء في مواجهة ذلك الجنون.هنا الثورة لها أساس!
- اقتصـار المـودة الجنسية على الزواج هو جزء من السلـوك كما يحق للإنجيل. هنـا نجد أن الثورة لها قصد إلهي!
- فـي الإنجيل نحـن نقف ثابتيـن ونحارب من مركـز سامٍ. هنا الثـورة تضمن الانتصار!
- تعليم الإنجيل عن الأمور الجنسية،هو رسالة خبر سار. هنا الثورة تقدم رجاء حي!
- إن القداسة تتفق مع الحياة الجنسية، بل وتظهر من خلال الحياة الجنسية. هنا نجد أن الثورة لا يمكن أن تفشل!
- أوصـى الله أن يكـون الجنس مقدسـ ليعكس قداسته وأمانتـه. في هذه الثورة يدرك الله ما يفعله!

سأنهـي حديثي بهذا المسمار الأخير. لقد وجدت أن الخاطئ المنغمس في خطاياه الجنسية والممتلئ من كل أنواع النوايا والأفكار الشريرة، غالبًا يكون على استعداد أن يصغي. هذا الأمر لم أجده في هؤلاء الذين يعتمدون على برهم الذاتي.

كتـب س. أسـ. لويس عن «الأخـلاق الجنسية» في كتـاب (Mere Christianity) عبـارة صادمـة وقال: «أسـوا الملذات هـي ملذات روحيـة بحتة: لـذة أن تجعل الناس يخطئـون، لـذة أن تتسلط علـى الآخرين بتعالي، لذة أن تعلق تعليقـات غير مهذبة، لذة أن تكـون الأقوى، لـذة كراهية الآخرين. لهذا السبب الشخص الـذي يتمسك ببره الذاتي ويفعل مثل هذه الأمور ببرود، ويذهب للكنيسة بانتظام هو أقرب للجحيم من العاهرة. لكن بالطبع أنه من الأفضل أن لا تكون مثل أحدهما»

إن التحدي الكبير هو أن نبدأ بأنفسنا!

هل تشترك معي في الثورة الجنسية القادمة؟

إحفظني أن أسير بثبات في اتجاه
مدينة الفرح الأبدي
إلى الفردوس الذي هو ميراثي الحقيقي
عضدني بقوة السماء
حتى لا أرجع للوراء
أو أشتهي شهوات خادعة
تذبل وتضمحل وتختفي
بينما أجاهد بالنعمة في رحلتي للسماء
ساعدني أن أكون بلا أهداف شخصية لي
وأن يمتلئ قلبي بالشوق لك
وبخلاص وخير كل رفقائي.

الطريق إلى الفداء الجنسي

١. هل أنت تجاهد في طريق القداسة؟ إن كنت، ما الذي يحتاج إلى التغيير في حياتك الجنسية، والاجتماعية والروحية؟

٢. في حياتك الزوجية، في أسرتك، في المجموعات الصغيرة، في كنيستك المحلية.. هل أنت على استعداد أن تكون مسئولا تجاه الآخرين؟ ما هي الخطوة الأولى؟ متى ستطبقها؟

٣. هل من الصعب أن ترى برًا ذاتيًا في نفسك، خصوصًا عندما تكون من أنشط الخدام في الكنيسة، وتعتقد أنك أكثر الأزواج أمانة، وتلتفت بسرعة إلى أخطاء الآخرين، وتشعر أنك في مستوى روحي عالي، وتتأذى من أي نقد وتعتقد أنه لا ينطبق عليك . صلِ وقل: «قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اَللهُ، وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي». (مز ٥١ : ١٠)

٤. إن كان الله قد بدأ يعمل بعمق في قلبك، شارك شريكك، صديقك، أو شخصًا في كنيستك بما قرأته في هذا الكتاب. وكنقطة بداية، اعملا معًا لتطبقا المبادئ السبعة للحياة الجنسية الروحية.

ملحق (١)

العادة السرية: نوع من الحميمية الكاذبة

العـــادة السرية هي سلوك مـن خلاله يثير الشخص نفسه جنسيًـا إلى أن يصل إلى مرحلة الشبق. لكي أكون واضحًا، إذا أثارت الزوجة أو الزوج الشريك ليصل إلى مرحلــة الشبــق، لا يعتبر هذا ممارسة العــادة السرية. عندما ندرس موضوع العادة السريــة لنقــرر هل هــي ممارسة جنسية مقبولــة أم لا، علينا أن نســأل أنفسنا بعض الأسئلــة: أولاً: سل نفسك بأمانة، هـل أنت أو الشخص المتورط في هذا الأمر، اخترت طريقــا أخلاقيًا للسلوك الجنســي مؤسسًا على مشاعرك التي تريد أن تشبع شهواتك بـدلاً من أن تؤسسه على أساس سلطان الكتــاب المقدس.. ثـانيًا: فكر هل هذا السلوك يتعارضـ مـع تعليم كلمــة الله عـن الأخلاقيات الجنسيــة... ثالثًا: تأمـل بدقة خطة الله للجنس فــي الزواج. رابعًــا: سل نفسك هل أنت مهتم بتبرير هــذا السلوك أكثر من اهتمامـك بــأن تتمـم إرادة الله في حياتــك.. خامسًا: أرجو أن تدرس الآيات التالية بجدية:

- بَــلِ الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، وَلاَ تَصْنَعُوا تَدْبِيــرًا لِلْجَسَدِ لأَجْلِ الشَّهَوَاتِ. (رو ١٣ :١٤)
- وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْــرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ. (رو ١٢ :٢)
- فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِــ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَــعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ، الأُمُورَ الَّتِي مِــنْ أَجْلِهَا يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ، (كو ٣ :٥-٦)
- أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ كَغُرَبَــاءَ وَنُزَلاَءَ، أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الشَّهَوَاتِ الْجَسَدِيَّةِ الَّتِي تُحَارِبُ النَّفْسَ (١بط ٢ :١١)
- وَلكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ. (غل ٥ :٢٤)

لقــد حثنا الكتــاب قـائلاً: «اسْلُكُوا بِالــرُّوحِ فَلاَ تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ الْجَسَــدِ. لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِــدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ». (غل ٥ : ١٦– ١٧)

يشجعنا دكتور دانيال ر. هيمباش[١] أن نتأمل في خطة الله للجنس، بل وما خلقه الله فينا لأجل هذا الأمر. قال أن ما رسمه الله هو أن تكون ممارسة الجنس «محصورة» مع شخص واحد فقط من الجنس الآخر، الزوج أو الزوجة. لقد وضع الله أن يكون في الزواج «علاقة عميقة» الأمر الذي لا يتوفر في ممارسة العادة السرية، فهي أمر سطحي. صمم الله الجنس أن يكون «مثمرًا»، إلا أن العادة السرية تتعامل مع الجنس كأنه شيء، لا على أنه قدرة على إنشاء نسل أي حياة بشرية. رسم الله الجنس على أن يكون أمر يقدم فيه الإنسان نفسه لشريكه وأن يكون الله مركز هذه العلاقة. إلا أن ممارسة العادة السرية مثل كل علاقة مودة كاذبة، تتركز حول الذات وهدفها إشباع الذات. كان فكر الله بالنسبة للجنس أن يكون كل شريك «مكمِّلاً للآخر، فيتحد الرجل والمرأة ليكونا جسدًا واحدًا، علاقة بين رجل واحد وامرأة واحدة مدى الحياة.

ثم أضاف دكتور هيمباش وقال: «إذا كانت ممارسة العادة السرية تشير إلى الممارسة التي من خلالها يصل الشخص سواء كان رجلاً أو امرأة إلى مرحلة الشبق بدون أن يكون معه أي شريك، لذلك فهناك من أثار رغبته الجنسية سواء كانت ذكرية أو أنثوية. إنها لا تمثل علاقة، لكنها إثارة من جانب واحد». وهكذا تظل ممارسة العادة السرية أمرًا خارج الإطار الكتابي، وعلينا أن نتجنبه لنحيا باستقامة في دائرة المشيئة الإلهية، ونمتنع عن الزنا الجنسي (١ تس ٤ :٣).

لنوجز الحديث، وضح دكتور هيمباش أن العادة السرية هي نوع من الحميمية الكاذبة، وينبغي أن نعتبرها خطية. «فَمَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنًا وَلاَ يَعْمَلُ، فَذلِكَ خَطِيَّةٌ لَهُ». (يع ٤ :١٧) يقدم لنا هنا بعض الأمور الهامة:

- إن الجنس هو علاقة شخصية مع شخص آخر، ولا توجد في ممارسة العادة السرية أية علاقة.
- الجنس ينبغي أن يكون مقتصرًا على علاقة بين رجل واحد وامرأة واحدة، إلا أن ممارسة العادة السرية تحوي أفكار جنسية غير نقية حول أشخاص آخرين.
- العلاقة الجنسية هي علاقة خاصة تعبر عن نوع من المودة والحميمية، أما ممارسة العادة السرية فهي علاقة سطحية متكررة.
- هدف الجنس هو الإثمار، فالعلاقة الجنسية علاقة خلق على المستوى الروحي

أو على مستوى العلاقات أو حتى على مستوى الإنجاب، إلا أن ممارسة العادة السرية تنظر إلى الجنس كأنه أمر يشبع الرغبات.

- يُمارَس الجنس في إطار المحبة الباذِلة ، أما ممارسة العادة السرية فهي للإشباع الشخصي الأناني.
- ممارسة الجنس لها أبعاد كثيرة، أما ممارسة العادة السرية تفصل ما هو جسدي عن أي شيء آخر.
- في ممارسة الجنس نشعر بالوحدة معًا والألفة، الأمر الذي لا يمكن أن يتم من خلال ممارسة العادة السرية.

ملحق (٢)

الوصايا العشر عندما يكون شريك الحياة غير أمين

١. لا تنهمك في أمنيات وردية، توقع الشر. «لاَ تَسْتَغْرِبُوا الْبَلْوَى الْمُحْرِقَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ حَادِثَةٌ، لأَجْلِ امْتِحَانِكُمْ، كَأَنَّهُ أَصَابَكُمْ أَمْرٌ غَرِيبٌ». (١بط ٤ : ١٢)

٢. لا تدير وجهك لتهرب، احتمل الشر. «الْمَحَبَّةُ ...تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ». (١كو ١٣ :٧)

٣. دع قلبك يكون هو المرشد، دع محبتك تكون صادقة، اكره الشر. «اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ». (رو١٢ :٩).

٤. صلِّ طالبًا أن لا تدخل في تجربة. «لاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَة، لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ». (مت٦ :١٣)

٥. لا تنتقم، ابحث عن طرق لتطعم عدوك. «لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:«لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ». (رو ١٢ :١٩-٢٠).

٦. لا تكتم الخطايا الجنسية، وبخها. «وَلاَ تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ الظُّلْمَةِ غَيْرِ الْمُثْمِرَةِ بَلْ بِالْحَرِيِّ وَبِّخُوهَا». (أف ٥ :١١).

٧. اعمل جاهدا لاستعادة العلاقة الزوجية. «إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ». (غل ٦: ١)

٨. تجاوب لهدف داخلك ، ابحث عن طرق لتعمل من خلالها الخير. «لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ». (رو ١٢ :٢١)

٩. إن كنت زوجًا، أحب زوجتك، وابذل نفسك لأجلها وذلك لإتمام مشيئة الله. «أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ». (أف ٥ : ٢٥-٢٦).

١٠. إذا كنتِ زوجة، قدِّمي زوجكِ العاصي إلى الله دون أن تتكلمي كلمة واحدة من خلال روح الوداعة والهدوء «كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لاَ يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ، يُرْبَحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ، مُلاَحِظِينَ سِيرَتَكُنَّ الطَّاهِرَةَ بِخَوْفٍ». (١بط ٣ :١-٢).

ملحق (٣)

ما معنى أن «تستوعب أو تفهم»؟[١]

أتوقع أن محاولات التغلب على الخطايا الجنسية تفشل بالنسبة لكثير من الناس، لأنهم يعتقدون أن تغيير السلوك هو الطريق الأساسي لإنقاذ الزواج من الانهيار، أو إنقاذ المستقبل المهني أو تجنب بعض النتائج السلبية التي من الممكن أن تدمر الأسرة. لكن عندما ندرس هذا الأمر من خلال الفداء الجنسي، يكون السؤال المحوري هو ما الذي يعني بالنسبة لي أن أعيش لمجد الله؟ ما الذي تعنيه كلمة «أفهم أو أستوعب»؟ لا ينبغي أن نسأل: «ما الذي أستطيع أن أعمله؟» لكن «هل أنا فهمت– استوعبت؟» «هل أنا على استعداد أن أفعل الأمور طبقًا لفكر الله لا طبقًا لفكري بغض النظر عن ما قد أواجهه من صعاب أو آلام؟ هل أنا على استعداد أن أمجد الله وأموت عن الذات؟»

إذاً، ما الذي تعنيه «أن تستوعب»؟ أرجو أن تقرأ بعناية الآتي ودعه يتفاعل مع قلبك. من فضلك لا تقرأ وكأنك عند الطبيب لتجري كشفًا شاملاً، أو كأنك تلميذ تجيب على أسئلة الامتحان، لكن اقرأ وأنت تشارك داود كلماته التي قال فيها «اخْتَبِرْنِي يَا اَللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِّي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي. وَانْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ، وَاهْدِنِي طَرِيقًا أَبَدِيًّا». (مز ١٣٩ : ٢٣–٢٤).

«أن تستوعب» هذا معناه:

١. أن أهدم القشرة الخارجية الصلبة التي تجعلني مستقلاً عن الله.
   كل ما عدا ذلك هو خداع روحي.
٢. أن لا تتسلط عليَّ أفكاري من الآن، بل أختار أن يكون ولائي التام للرب يسوع المسيح.
   هذا الذي يصنع مؤمنًا قويًا.
٣. أن أتخلى عن فهمي الخاص عن ذاتي.
   هذا هو التخلي عن حقوقي لنفسي.
٤. أن أنفتح أمام حقيقة قصد الله من خلقي – إنه خلقني لذاته ولمجده.
   هذا معناه أن تكون أولوياتي هي تتميم إرادة الله، لا إشباع احتياجاتي الشخصية.

٥. أن لا أهتم بشيء لكن أضع ثقتي الكاملة في الآب.
الثقة في أن الله سيعمل كل الأمور بطريقة أفضل.
٦. أن أُخضع إرادتي لله، ولا أنساق وراء حجج قوية أو حتى مقنعة.
هذه خطوة إيمان بالله وبكلمته.
٧. أن لا أهتم كثيرًا «بالأمور الأخرى» في الحياة.
أطلبوا أولاً ملكوت الله ومجده.
٨. أن لا أحاول أن أتجنب آلام العلاقات، لكن أن أحب الله والآخرين.
ثق أنه عندما تضيع حياتك أنت تجدها.

البعض لا «يستوعب» .. لماذا؟ لدي قناعة أن الكنيسة هي المكان التي يلتقي فيه الناس بالله، والمكان الذي يُحضر الله فيه خاصته. في الواقع الكنيسة هي بمثابة وحدة رعاية مركزة. هذا التشبيه يصف بدقة الخدمة التي ينبغي أن نقوم بها، وتأثير هذه الخدمة على قلوب وسلوك الناس. بعض الناس سيحيون والبعض الآخر سيموتون روحيًا. من الممكن أن تكون للشركة بين المؤمنين مكانتها العظيمة، لكن هذه الشركة لا ينبغي أن تكون بمثابة رحلة ترفيهية خاصة ونحن ندرك أننا نعمل في وحدة رعاية مركزة، وندرك أيضًا أن هناك من قد تنتهي حياته. لا تستطيع أن تعرف نتيجة العملية الجراحية التي تجريها. أستمر في سؤال نفسي: (لماذا هناك بعض الأشخاص «لا يستوعبون أو يفهمون»)؟ هذا السؤال حيوي. فمثل الجرَّاح الماهر، أنا أتعلم دائمًا. عليَّ أن أنمي مهاراتي دائمًا. ومن فوق يراقبني ذلك الجرَّاح الأعظم، وأنا لا أريد أن يهلك أحد.

بعد ثمانية عشر عامًا من العمل في مجال المشورة الكتابية المكثفة، أود أن أشارككم بإجابة لهذا السؤال مصليًا أن الجميع «يستوعب». أنا أرى أن هناك سببًا جوهريًا يدفع الناس لطلب المعونة بالنسبة للخطايا الجنسية، وهناك نوعين من ردود الأفعال ... فبصفة عامة، كل شخص يأتي عندما يجد نفسه أنه في حاجة مُلِّحة لتغيير سلوكه أو يريد أن ينهي علاقة يكون قد تورط فيها، أو عندما يريد أن ينقذ زواجه من الانهيار...هنا تكمن مشكلة الاستيعاب الأساسية. فنحن غالبًا نركز على مظاهر المشكلة – انحراف السلوك، الألم – لا على جوهرها. إن هذا المنطق الذي نركز عليه ناتج عن خلل في التفكير بل ومتأثر بالتعاليم الغريبة التي بدأت تغزو كنائسنا. هذا بالتالي يجعل كثير من الناس يبذلون قصارى جهدهم، بل ويبذلون حياتهم بهدف

أن يحيـوا «حيـاة سعيدة». لهذا عندما تُكتشـف الفضـائح الأخلاقيـة أو إدمان الأفلام الإباحيـة أو أي خطايـا جنسية، هنا نجد التهديد الذي يهدد الهدف الذي من أجله نحيا وهـو حيـاة مسيحية مثمرة ومشبعـة، وهكذا ندخل في دوامة الألـم. نتيجة لهذا هو أن تعمـل كل مـا في وسعـك لتستعيد الحيـاة المثمرة، ولتعيـد حياة الزواج إلـى مسارهـا الأصلي. لعل هذا الأمر منطقي... لكن هل هو كتـابي؟

تعالوا بنا ندرس ما قاله الكتاب، ودعونا نبدأ من منظور آخر «فَإِنَّ سِيرَتَنَا(وطننا-جنسيتنــا) نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِــي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًــا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيــحُ». (فـي٣ :٢٠ وانظـر أف٢ :١٩) إن عكس هـؤلاء الذيـن تكلـم عنهـم الرسول فـي الجـزء السابق هـم هؤلاء الذين «يَفْتَكِـرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ». (فـي٣ :١٩) إن مفهوم الكتــاب عن الحياة الأبدية يركز على التغيير الداخلي الذي يؤدي إلى الحياة (في٣: ٢١) بـالمبـاينــة مع تغيير مؤقت بـالتأكيد سيقود إلــى الفشل ثم إلى الموت. إن التوبـة ليست تفاعـل عـاطفــي تجاه الخطية. إنهـا أكبـر بكثير من مجرد تغيير فــي السلوك أو العودة مــن طريــق الفساد، إنهـا تغييــر حقيقي في القلب ينتــج عنـه دائمًا حيــاة البر. إن عمل الله الفدائــي يحتـاج إلى شخص يستجيب بطاعة. إن التوبة الحقيقية هي تغيير جذري داخلي يؤدي إلى بداية جديدة. وتحمل التوبة دائمًا ثمارًا واضحة، طالما أننا نسمح لله أن يعمـل فينــا ونحيــا حياتنا «كَمَــا يَحِقُّ لإِنْجِيـلِ الْمَسِيحِ» (فـي ١ :٢٧) متممين خلاصنــا «بِخَوْفٍ وَرِعْــدَةٍ، لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيــدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَــرَّةِ». (فــي٢: ١٢-١٣). فالتوبة ليسـت مجـرد سلوك جديد، لكنهــا تغيير قلبي يـؤدي إلى سلوك جديد. عندما طلب الرب يسوع هذا التغيير الداخلي شرح أنه ليس أمرًا اختياريًـا بـل ملزمًا فقال بكل تأكيد في (لـو ١٣ :٣): «كَلاَّ! أَقُولُ لَكُمْ: بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ.» ثم كرر هذا التحريض في (ع ٥).

إذاً لمــاذا هنــاك أشخاص «يستوعبـون» والبعض الآخر لا يفهمـون؟ أغلب النـاس يـأتـون وهــم في حالــة يأس طالبيــن تغييرًا فــي السلـوك، ربما لينقـذوا زواجهم من الانهيــار، وليتخلصـوا مــن المعانــاة. لكـن كثيـر منهـم لا يتـوب التوبــة الحقيقيـة المصحوبــة بتغيير داخلي في الفكـر والقلب. يتركون المكان بـأمل مزيف مؤسس على مجرد أسف على خطيتهم وتعهد بتغيير في السلوك، ورغبة جديدة في أن يجدوا المودة الحقيقية في علاقتهم الزوجية. هؤلاء الذين كانوا يريدون التغيير الخـارجي يموتون، أمــا الذيــن أدركوا أنهم في حاجــة ماسة إلى تغيير حقيقي داخلــي يحيون. الأول ترك

المكان معتمدًا على مجهوده الشخصي، بينما الثاني ترك المكان معتمدًا على عمل الله المستمر. فهم تمسكوا بالله بخوف ورعدة، وبرغبة صادقة أن يسلكوا «كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا». (أف ٤ :١ وانظر كو ١ :١٠؛ ٢ :٦-٧). إن دعوة الله لنحيا حياة البر الداخلي والخارجي هي دعوة جادة. لذلك يجب أن نجتهد لنحيا الحياة المسيحية في خضوع مستمر لله. السلوك الخارجي لا يؤهلك للخلاص، لكنه يُظهر عمل نعمة الله فيك (في٢: ١٢-١٣).

ملحق (٤)

اختلال الوظائف الجنسية

إذا أردنـا أن نضـع تعريفـا عامًا لاختـلال الوظائـف الجنسية نستطيـع أن نقول أنهـا تشير إلـى عدم القدرة علـى الاستمتاع الكامـل بالعلاقة الجنسيـة. إلا أنها على وجـه الخصوص تعبـر عن أي اختلال يعيـق أي مرحلة من مراحـل العملية الجنسية. هـذه الأمور تجعل من الصعب على الشخصـ أن يستمتع بـالعملية الجنسية أو يمارس الجمـاع. إن كان اختــلال الوظائف الجنسية لا يهدد صحــة الإنسان الجسدية، لكن قد يكـون له تـأثيرًا نفسيًا مدمـرًا، قد يقود صاحبه إلى الاكتئـاب، القلق، وإحساس مدمر بعدم الكفاءة.

تـأخـذ اختلال الوظائف الجنسية أشكالاً متعددة فـي الرجال والنساء. فمن الممكن أن تكون مستمرة مع الشخص طوال حياته، أو قد يصاب بها في أثناء حياته، أو يصاب بهـا مؤقتـا في ظـروف خاصة، أو قد تحـدث بصفة عامــة بغض النظر عـن الظروف.
أعراض الاختلال الجنسي في الرجل يظهر في الأشكال التالية:

- أن يقذف قبل أن تتولد داخله أو داخل شريكته الرغبة لذاك.
- لا يقذف على الإطلاق، أو يتأخر كثيرًا في القذف.
- أن لا يكون لديه القدرة على الانتصاب الكافي لعملية جنسية ممتعة.
- أن يشعر بـألم أثناء عملية الجماع.
- فقد أو قلة الإحساس بـالرغبة الجنسية.

أعراض اختلال الوظائف الجنسية في المرأة يمكن أن نلخصها كالتالي:

- فقد أو قلة الإحساس بـالرغبة الجنسية.
- عدم القدرة على الوصول إلى مرحلة الشبق.
- شعور بـالقلق أو الضيق أثناء الجماع.
- شعور بـالألم أثناء الجماع.
- تقلصات غير إرادية لعضلات المهبل ولعضلات أخرى قبل أو أثناء الجماع.
- جفاف في منطقة المهبل.

أكثر المشاكل الجنسية في الرجال هي:

- اعتلال في الانتصاب: نجد أن هناك خلل في الانعكاسات العصبية التي تؤدي إلى الانتصاب، ويكون هناك عدم قدرة على الانتصاب أو عدم قدرة على الاحتفاظ بالقضيب في حالة انتصاب حتى يتم الجماع.
- سرعة القذف: هنا نجد القذف السريع نتيجة إثارة جنسية بسيطة، قبل عملية الجماع أو بمجرد أن يحدث الجماع قبل أن يصل إلى الرغبة في القذف.
- عجز القذف: عدم القدرة على القذف داخل المهبل بالرغم من وجود انتصاب جيد ومستوى عال من الإثارة الجنسية.
- القذف للخلف: هي حالة تفشل فيها عنق المثانة من الانغلاق الجيد وبالتالي يحدث قذف للسائل المنوي لا إلى الأمام بل للخلف في المثانة.

حتى وقت قريب، كان هناك اعتقادًا أن المرأة أقل من الناحية الجنسية عن الرجل، إلا أن هذا الافتراض قد تغير تمامًا في العقدين الأخيرين، وأصبحت احتياجات المرأة الجنسية توضع في الاعتبار، ومن ضمن حقوقها.

وسأقدم لكم أكثر مشاكل المرأة الجنسية شيوعًا:

- اختلال في عملية الإثارة الجنسية: هنا نجد نوع من الإعاقة لعملية الإثارة الجنسية بصفة عامة. المرأة التي تعاني من هذه المشكلة، تعاني من عدم وجود زيادة الإفرازات المهبلية المصاحبة للإثارة الجنسية، ولا يحدث لديها تمدد في منطقة المهبل، ولا يحدث انقباضات في عضلات الجزء الخارجي من المهبل (الأمور الممهدة للشبق أو ما نسميه الرعشة الجنسية)، وفي مثل هذه الحالات لا تشعر المرأة بإحساس الإثارة الجنسية.
- خلل بالنسبة للشبق الجنسي: قد تثار المرأة جنسيًا لكن لا تصل إلى مرحلة الشبق. فالإثارة التي تصل بها إلى مرحلة الشبق قد تكون أقل مما يتطلبه عمرها أو خبراتها الجنسية أو المثيرات الجنسية التي تستقبلها.
- الانقباض المهبلي: في هذه الحالة تنقبض العضلات التي حول الجزء الأسفل من المهبل بطريقة لا إرادية أثناء محاولة الزوج إدخال القضيب للمهبل، وبالتالي يستحيل الجماع.
- الألم أثناء الجماع: من الممكن أن تحدث هذه الحالة في أي مرحلة عمرية، وقد يظهر الألم في بداية الجماع، أو في أثناء عملية الجماع، أو في مرحلة الشبق،

أو بعـد انتهـاء عمليـة الجماع. وقد يكـون الألم في صورة حرقـان أو نوع من التقلصات، وقد يكون خارجي في منطقة المهبل أو داخلي في منطقة الحوض أو البطن.

ملحق (٥)

نظرة مختلفة حول الطلاق

عندمـــا تقرأ هذه الكلمات أرجـو أن تتذكر أن الهدف الحقيقي للـزواج هو أن تُجسِّد عهـد الله المحـب تجـاه شعبه، علينــا أن لا نبحث في كلمة الله لنستخـرج منها ما يؤيد نظرياتنا أو مطالبنا. أشجعك أن تدرس الكلمة بقلب منفتح.

كثيـر مـن الذين طلبوا مشورتي وكانــوا يفكرون في الطلاق ، كانــوا يعتمدون على مـا جـاء في (مـت ١٩ :٩) كأساس للطـلاق. إذا درسنا بداية من العـدد الثالث، نجد أن الفريسييـن أتـوا وسألوا يسوع عن الطلاق ليجربوه. كان هدفهم أن يورط يسوع نفسه بــأن يسيء تفسير النـاموس وبـالتـالي يخـالف مـا كتبـه موسى. كان سؤالهم: «هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُـلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ لِكُلِّ سَبَبٍ؟». نحن نعتقد أننا نعـرف الإجابة على هذا السؤال كمــا ظن الفريسيون. إلا أنه ينبغـي أن نعرف خطة الله وقصده من الزواج، ونصغي بل ونفكر في رد الرب يسوع: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟، وَقَالَ: مِـنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِـقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا». (مـت١٩ : ٤– ٥). اقتبس الرب يسوع في رده الكلمــات التي كتبها موسى، ثم فسر هذا الجـزء مـن خـلال سلطانه الإلهي وقـال: «إِذًا لَيْسَا بَعْـدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ». (مت ١٩ :٦) فـالزواج ليس مجرد اتفـاق بين رجل وامرأة، لكنــه أعمـق من هــذا بكثير. إنه اتحـاد روحـي عميق، لا تعادله أي علاقــة بشرية، وهو يساوي اتحـادنـا بـالمسيح.

كان رد الـرب يسـوع علـى الفريسيين يعني ببساطـة «لا»، وبمجـرد أن سمعوا هذا الـرد، حـانت أمـامهم الفرصة التي من أجلها سألوا هذا السؤال ليجربوه وقـالوا: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلاَق فَتُطَلَّقُ؟» سؤال عظيم، إلا أن الرب يسوع لم يتردد فـي الإجابـة عليه، وقـال لَهُمْ: «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْـلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُـمْ. وَلكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هكَذَا. وَأَقُــولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا وَتَــزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي». (مت ١٩ : ٨–٩). يعلق چون بيبر على هذه العبـارة التي ذكرهـا يسوع ويقول: «هذا الرد مدهش، فهو يعبر بكلمات أخرى

على أن هناك وصايا في العهد القديم لا تعبر عن إرادة الله في كل الأوقات، لكنها تعبر عـن أفضـل طريقة نتعامل بهـا مع الخطية فـي أشخاص معينين وفـي أوقات معينة. فالطلاق لم يكن من ضمن الوصايا، ولم يوصى به في العهد القديم، لكن سُمح به وتم تنظيمه، مثل تعدد الزوجات، الذي سُمح بها وتم تنظيمها. ومثل بعض أنواع العبودية التـي تـم السماح بها وتنظيمها».[١] الأمر الذي يريد الـرب يسوع أن يوضحه وعلينا أن نتلامسـ معـه بقلوبنـا، هـو أن الطلاق لم يكن الشـيء المثالي في نظـر الله، ولم يكن مـن ضمن خطة الله منـذ البداية، لكن سُمح به، وفـي ذات الوقـت كان مجرد السماح به إشارة إلى المشكلة الرئيسية التي هي أساس كل الخطايا، ألا وهي القسوة التي في قلب الإنسان.

هنا أريد أن أطرح سؤالاً هامًا لنا في هذه الأيام يعبر عن مدى قساوة قلب الإنسان: هل الطلاق يتواكب مع إرادة الله في حياة المؤمنين في عصر الكنيسة؟ لقد أتى المسيح وكلمنـا الله «... فـي ابنـه» (عـب ١ :٢) في «الأيـام الأخيرة»، وما نحيـاه الآن ينبغي أن ينبـع مـن هذه الحقيقة الكبرى لأنه «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِـي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا». (٢كو ٥ :١٧)

تذكر تفسير الرب يسوع لما ورد في (تك ٢ :٢٤) في (مت ١٩ :٦) «إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ». كلمة إنسان معناها الجنس البشـري ككل، لا الرجـال فقط، وما أريد أن أبرزه هـو: أن ما رتبه الله أقوى من تنظيم عملية الزواج، فالله خلق نوعًا من الإتحاد بين المرأة والرجل، وهذه الوحدة الروحية السريـة الساميـة، تُبرز الوحدة العجيبة بيـن الرب يسوع والمؤمنيـن. لهذا فليس من حقنـا أن نكسـر مـا خلقـه الله لغرضه الإلهـي السامـي. أمامنا الآن دعوة مـن السيد لنعيش فـي مستوى سامي، فكما أنـه ليس من حقي أن أتزوج بـأكثـر من امرأة أو أن أستعبـد أي شخص في هذه الأيام، فتعليم الـرب يسوع لم ينقص من هذه المقاييس، لكنـه ارتقـى بها، ودعانا للطاعـة الكاملة، ألم يرفع الرب مـن المقاييس البشرية في (مت ٥ :٢١-٣٨) واعتبر أن الغضب مثل القتل، والشهوة مثل الزنا، بل وقلب موازين العدل التي كانت سائدة في العهد القديم.

يذكر لنا إنجيل مرقس ما دار في اللقاء الخاص بين يسوع وتلاميذه، عندما سألوا عـن تفسيـر لموضوع الطـلاق وكان رده: «مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي عَلَيْهَا.

وَإِنْ طَلَّقَــتِ امْرَأَةٌ زَوْجَـهَا وَتَزَوَّجَتْ بِـآخَرَ تَزْنِي». (مر ١٠ : ١١ –١٢) كـان الرد واضحًا، ويحوي على دعوة لطاعة جديدة وكاملة.

لكـن يبقى السؤال هو هل تعتبـر الخيانـة الزوجية أساسًا للطلاق بناء على ما جاء في (مت ١٩ :٩)؟ «وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَـا وَتَزَوَّجَ بِـأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّـــذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي». تعالوا بنـا نرى التوازي بيـن هذه الكلمـات ومـا ذُكر في (مر ١٠ :١١). أريد أن أقرأ هذه الآية لأقول أن هنـاك أساس للزواج مرة ثـانية في حـالـة الزنـــا. بسبب قسـوة القلب قد يكون اختيـار الكثيرين هو الطلاق. لكن علينـا أن ندقق في قواعـد الزواج مرة أخرى. يدهشني أننـا نستطيـع بسهولـة أن نجد أسسًا للطلاق، أما عن الـزواج مـرة أخـرى فلا أظن أن أحـداً يحـاول أن يجـد أساسًا كتـابيًا لـــه، بل يحـاول أن يبرره على أنه سداد لاحتياجـاتنـا ولسعـادتنـا.

لا أظـن أن هنـاك الكثيريــن في هذه الأيـام يفـهمون الاستثنــاء الوحيد الذي وضعه الـرب يسـوع للزواج مـرة أخرى. في هــذه البرية أسمــع جون بيبر وهـو يصـرخ بـأعلى صوتــه، وينقل لنا تفسيرًا مغـايرًا لهذا الجزء. لقد بـحث في الأصل اليونـاني واستنتج أن تطبيق الزواج مرة ثـانية ينطبق على هـؤلاء الذين كـانوا يخططون للزواج (المخطوبين)، لكـن حدثـت خيـانـة ، فـهنـا نطبــق مبدأ إعـادة الزواج. يضيف بيبــر: «إن القليلين جدًا هـم الذيــن يدركون هذه الفكرة. أنــا أقدمـها لك لتفكر فيها بـجدية».[٢] أقدم ذات التوصية، لا فـــي هــذه الآية فـحسب بل فـي كل موضـوع الطلاق. إن مقـاييس الله في الأمـانـة نستطيع أن نفهمها في ضوء أمـانته الثـابتـة تجاه خطيبته (الكنيسـة، الجسد). بلغة أخرى ، ونـحن ننتظر اتحـادنـا النهـائي بـالمسيح، فلن «يطلقنـا» أبدًا، حتى وإن كنـا غير أمنـاء – وبـالفعل نكون غير أمناء في أوقـات كثيرة. علينـا أن ننتقل إلى مثل هذا المقياس السامي روحيًا في علاقتنـا بـالمسيح، وفي علاقتنـا بشريكنـا في الحياة الزوجية.

اقــرأ (مــت ١٩ :٣–١٤)؛ (مر ١٠ :٢–١٢)؛ (لــو ١٦ :١٨)؛ (رو ٧ :١–١٦)؛ (١كو ٧: ١١–١٣). ثم أقرأ كتـاب جون بيبر.

(The Momentary Mariage and What Jesus Demands from the World)

ملحق (٦)

دعوة للاعتدال (للاحتشام)

لقد وضحت كتابات الرسول بولس إلى الشاب تيموثاوس أن كلمة الله ينبغي أن تؤدي إلى تغيير عملي في حياة المؤمنين الحقيقيين. فالفداء يقودنا إلى التقوى في علاقاتنا وفي حياتنا الجنسية. بالنسبة للرجال نهاهم الرسول بولس عن الغضب والشجار والجدال (١ تي ٢ :٨) الأمر الذي لا يتفق مع التقوى والصلاح. من خبرتي أدرك أن كثير من الرجال لا يحبون أن يواجههم أحد بهذه الوصية. لكن يتحدث الرسول بولس في العدد التاسع إلى النساء ويبدأ حديثه بكلمة «كذلك»، إن كان الرسول يطلب من الرجال عدم الغضب فهو يطلب من النساء الاحتشام. ومثل الرجال أحيانًا لا تستريح المرأة إلى مثل هذا الأمر «كَذلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحِشْمَةِ، مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ، لاَ بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لآلِئَ أَوْ مَلاَبِسَ كَثِيرَةِ الثَّمَنِ، بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللهِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ». (١تي ٢ :٩-١٠)

تقول كارولين ماهاني، وهي امرأة تتحدث إلى امرأة وبالتالي فهي أفضل مني:

> *أوصانا الله في كلمته أن نتبع جمال الاحتشام، وضبط النفس سواء في قلوبنا أو في ملابسنا. إن كنا نريد أن نطبق كلمته بجدية في قلوبنا، فستظهر من خلال ما نرتديه من ملابس. عندما يتعلق الأمر باختيار الملابس، لنشتريها ونرتديها، غالبًا نقف في حيرة وارتباك. لكن علينا أن نسأل أنفسنا أي ملابس تدل على عدم الاحتشام، وقد تكون مغرية، وأي ملابس تدل على القلب المحتشم المنضبط؟[1]*

إن كنا نقول إن مشكلة الرجل هي الشهوة ومشكلة المرأة هي عدم الاحتشام، لكن ينبغي أن نفهم أنه وإن كان الأمران مختلفين من الوجهة الخارجية، إلا أن مشكلة القلب الأساسية تبقى واحدة في الجنسين. بلغة أخرى، إن كان الرجل يميل لأن ينظر نظرة شهوانية للمرأة، فالمرأة تميل أن ينظر إليها الرجل. في الحالتين، الأمر يتطلب

تغييـرًا فــي القلب. إذا حدث هذا التغيير في القلب، عندئذ سيرى الرجل الجمال الحقيقي وتُظهر المرأة الجمال الحقيقي.

علّق چون ماك أرثر على تيموثاوس الأولى وقال:

كيــف يمكن للمــرأة أن تميز هذا الخيط الرفيع بيــن ملابسها اللائقة وتلك الملفتــة للنظر؟ الجواب يبدأ من نوايــا القلب. ينبغي على المرأة أن تمتحن دوافعهــا وأهدافها في طريقة لبسها. هل هي تريــد أن تبرز النعمة وجمال أنوثتهــا؟ هل هــي تريد أن تعلن عن تواضع قلبها فــي عبادتها لله؟ أم هي تريد أن تلفــت الانتباه لنفسها، أو تتباهى بجمالهــا؟ أو الأسوأ من كل هذا تحــاول أن تغري الرجال جنسيًا؟ المرأة التي تركز على إرضاء الله، ستضع في اعتبارها نوعية ملابسها، لأن قلبها سيملي عليها كيف تختار ملابسها بعناية.[٣]

ووضعـت كارولـيـن ماهـاني تحديًا أمام كل امرأة مـن خلال هذه الأسئلة لتفحص دوافعها:

- مـا الذي ستعلنه ملابسي عن قلبي؟
- فــي اختياري لملابسي التي أرتديها اليوم، من الـذي أريد أن ألفت نظره، ومن الذي أشتاق أن يمدحني؟ هل أسعى لإرضاء الله أم إبهار الناس؟
- هـل مـا أرتديه يتفق مع القيـم الكتابية عن الاحتشام، التعفـف، ضبط النفس، والمظهر اللائق الذي يجعل الغير يحترمك، أم أني أرتدي ملابس تتفق مع قيم المجتمع الشريرة؟
- مـن الـذي أحاول أن أتشبه به من خلال ملابســي؟ هل مقاييسي هي كلمة الله أم أحدث خطوط الموضة؟
- هـل سألت بعضـ الأشخاص المشهود لهـم بالتقوى أن يعبـروا عن رأيهم في ملابسي؟
- هـل مظهـري يعبـر عن التزامــي بالإنجيـل أم أن هنــاك تناقض بيـن إقراري بالإيمان، وممارسة التقوى.[٤]

ملاحظات

الفصل الأول: الفداء الجنسي

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions. (Carlisle, PA: Banner of Truth Trust, 1975), 126.

٢. عدم الإشباع الجنسي لا يعني اختلال في الوظائف المتعلقة بالجنس على وجه التحديد، لكن يشمل الإحباط من أمور متعددة، على سبيل المثال: أنماط بدأ العلاقة الجنسية، الجدل حول معدل الممارسة، وما يتخلل هذا من غضب، وعدم رضا. من خبرتي أستطيع أن أقول أن أكثر من ٨٠٪ من الأزواج الذين يحتاجون إلى مشورة يعانون من عدم إشباع جنسي.

٣. انظر الملحق (٤) للوصف.

٤. كثير من الناس في هذه الأيام ليس لديهم اعتراض على ممارسة العادة السرية طالما أنها لا تشمل الشهوة الجامحة، بل يوصي كثير من المشيرين والشباب من رعاة الكنائس الرجال بأن يمارسوا العادة السرية بدلاً من التحرق. وفي محاولاتنا أن نحل مشكلة، نجد أنفسنا تورطنا في مشكلة أخرى. اشتكت معظم الزوجات اللواتي قدمت لهن المشورة من مدى تألمهن الناتج من ممارسة أزواجهن العادة السرية، الأمر الذي يجعلهم يتجنبون المودة. إن تشجيع ممارسة العادة السرية لتجنب التحرق هو أمر مشكوك في فاعليته، حيث يستمر الداء في القلب من أنانية، وتركيز على الشبع الشخصي.... لمزيد من الدراسة أنظر الفصل الثالث وملحق ١.

٥. John Piper, «Sex and the Supremacy of Christ, Part 1,» Desiring God Conference, 24 September 2004, http://www.Desiringgod.org/resourcecelibrary/ConferenceMessages/ByConference/2/ 1657_ Sex_ and_the_ Supremacy_of _Christ_ Part_1/ (accessed May24, 2008).

٦. يقـدم برنامـج المشـورة الكتابي المركّـز للناس أكثر من مجـرد شفاء من الخطايا الجنسية، لكنه يقدم تغييرًا حقيقيًا، فهو يوجه نظر الناس لاستعادة المـودة مع الله ومـع الآخرين لا مجـرد الابتعاد عن الخطايـا الجنسية. هذا البرنامـج مختصـر ومركّـز، يستطيـع الشخـص أن يدرسه فـي وقت وجيز. ويساعـد الشخـص علـى أن يختبـر مستوى عالـي من التكريـس . فهو يتيح فرصـة لخلوة خاصـة فيها ينمو الشخص فـي إدراكه للرب، الـذي يساعده فـي الحصول علـى الرجاء والشفـاء في جو مـن السلام والهـدوء. لقد أثبت هـذا البرنامـج كفاءته مع هـؤلاء الذين يصارعون مع الخطايـا الجنسية أو يعانـون من علاقـات محطمة. لمزيد من المعلومـات، يمكنك زيارة موقعنا: .www.stonegateresources.org

الفصل الثاني: كشف الظلام

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 132.

٢. هنـا نجد تضارب كبير فـي رأي الكنائس. لقد فقدنا الفهـم الكتابي الصحيح بيـن الفـرق بيـن دور الرجـل ودور المرأة. وكنتيجـة لهذا، يعارضـ الكثيرون الـدور القيـادي المميـز للرجل فـي الأسرة وفـي الكنيسة. هذا بـدوره أدى إلى عـدم وضوح الرؤية بـالنسبة للرجل والمرأة عن أدوارهما. لقد تسببت الأنـانية، السلبيـة، عدم المسئولية بل والإيذاءات الجنسية في تشويه تفكيرنا بـخصوص أدوار الرجل والمرأة.

٣. تعكـس طريقة ملابسك هويتك الداخليـة. فمظهرك وملابسك يعبر عن من أنت أمام الآخرين، بل وقد يؤثر في سلوكهم.

٤. الجنس في الإعلانات ليس أمرًا جديدًا. يحاول صنـاع الإعلانات أن يتخطوا حـدود مـا ينبغي أن يظهر وما ينبغـي أن لا يظهر، وهكذا يتعـدون الخط الذي يفصـل بيـن الإعلانـات والمناظـر الإباحية. إن صـورة المرأة فـي الإعلانات هـي صـورة جميلة، مغرية جنسيًـا. وهي بـالطبع ليست فيلـم إباحي بـالمعنى المفهـوم، لكن غالبًا من خلال جمالها الخارجي بـل وعريها تؤثر نفس تـأثير

الأفـلام الإبـاحية ذاتهـا، دون أن يكون هذا هو الغرض. إن مثل هذه الإعلانـات تقدم رسالة للمرأة عن الجمال المزيف: الذي يركز على المظهر الخارجي الأمر الـذي قـد يؤدي إلى قلق بعض النساء في حالة عـدم التمتع بمثل هذا الجمال. يحتـاج كل من الرجـال والنساء، وعلـى وجه الخصوص الأولاد والبنات، أن يدركـوا أن الجمال الحقيقي هو جمال داخلي – يعكس ما بداخل قلب الإنسان وصفاتـه. علـى كل من الكنيسـة والنساء المؤمنـات أن يتعلمن كيف يظهرون الجمال الداخلي الحقيقي.

٥. يمكنك أن تجد التقرير الكامل عن إنتاج المواقع الإباحية على موقع:
www.toptenreviews.com/pornography. Jerry Ropelato,CEO of Top Ten Reviews, state.

هذه الإحصائيات هي أكثر الإحصائيات الدقيقة والكاملة عن انتشار إنتاج الأفلام الإباحية حول العالم.

٦. نفس المرجع السابق.

٧. طبقـا للمعلومـات الموجـودة علـى موقـع: /www.toptenreviews.com pornography إن أكبـر خمسـة دول في إنتاج الأفلام هي الولايات المتحدة الأمريكيـة، البرازيل، هولنـدا، أسبانيا واليابان. بواسطة شركات مثل شركات .Playboy, Wicked Pictures, Your Choice, Soft on Demand

٨. نفس المرجع السابق.
٩. نفس المرجع السابق.
١٠. نفس المرجع السابق.
١١. نفس المرجع السابق.
١٢. نفس المرجع السابق.

١٣. **Sinead Carew, «Porn to Spice Up Cell,» http://www.reuters.com/ article/ technology -News/idUSN3030000720080130?sp=true (accessed November 14, 2008).**

١٤. Stephen Brown, «Executive Summary: Peer-to-Peer Study Results by Palisade Systems,» http://Palisadesys.com/news/releases/view.php?pressreleaseid=33 (accessed November 12, 2008)

١٥. Stephen Bagg, «Craigslist's Dirty Little Secret,» April 5, 2007, http://blog.compete.com/2007 /04 /05/craigslist-popular-categories/ (accessed Augast 15, 2008).

١٦. Daniel, Heimbach. True Sexual Morality: Recovering Biblical Standards for a Culture in Crisis. (Wheaton, IL: Crossway Books, 2004), 345- 48.

الفصل الثالث: صراعات يواجهها المؤمنون

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 124.

٢. Charles R. Swindoll, «An Open Letter Concerning the #1 Secret Problem in Your Church reproduced at http://www.blazinggrace.org/cms/bg/swindoll (accessed August 1, 2008).

٣. Timothy C. Morgan, «Porn's Stranglehold,» Christianity Today, http://www.christianitytoday.com/ct/2008/march/20.7.html (accessed July 16, 2008).

٤. For Further thoughts on this point, see John Piper's book Future Grace (Sisters, OR: Multnomah, 1995), 329- 38.

٥. For Further thoughts on masturbation see appendix 1.

٦. Chris Abraham, «The Psychology of Hooking Up,» http://chrisabraham.com/2006/ 06/ 01/the-psychology-of-hooking-up (accessed May 11, 2008).

٧. Mark Regnerus, Forbidden Fruit: Sex & Religion in the Lives of American Teenagers (New York: Oxford University Press, 2007), 147- 50.

٨. Donna Freitas, Sex & the Soul: Juggling Sexuality, Spirituality, Romance, and Religion on America's College Campuses (New York: Oxford University Press, 2008), 215, 216. Freitas defines «spiritual colleges» as Catholic, nonreligious private, and public colleges and universities where the idea of spiritual lacks structure but maintains a relationship with the divine and may cultivate a sense of higher purpose or meaning in life.

٩. Regnerus, Forbidden Fruit, 124.

الفصل الرابع :هل هذا مرض؟

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 127.

٢. Daniel G. Amen, «Sex on the Brain: Seven Tips to Enhance Your Love Life», Christian Counseling Today 15, no. 4 (2007): 16.

٣. Os Guinness, Personal conversation, May 2, 2006.

٤. Os Guinness and John Sell, eds., No God But God (Chicago: Moody, 1992), 95.

٥. نفس المرجع السابق، ١٠٦.

٦. Edward Welch, Addictions: A Banquet in the Grave. (Phillipsburg, NJ: P&R, 2001), 28.

٧. Mark Laaser, The Secret Sin: Healing the Wounds os Sexual Addiction (Grend Rapids, MI: Zondervan, 1992), 22

الفصل الخامس : لماذا يمثل الجنس قضية كبرى؟

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 143.

٢. يـرى كثيرون من مفسري الكتـاب المقدس أنه وإن كان الزواج هو أمر وقتي، إلا أنه يشير إلى حقيقة أبدية ثابتة: العلاقة بين المسيح والكنيسة. ففي الحياة الأبدية الخالدة، بلا شك ستتوقف الحاجة إلى الإنجاب، لذلك نحن نفترض أن الزواج والجنس لا ضرورة له في الحياة الخالدة.

٣. John Piper, «I Will Not Be Enslaved by Anything,» http://www.desiringgod.org/ResourceLibrary/Sermons/ByDate/1985/ 505_I_Will_Not_Be_Enslaved_by_Anything/ (Accessed June 4, 2008).

٤. John Piper, This Momentary Marriage: A Parable of Permanence (Wheaton, IL: Crossway Books, 2009), 14.

٥. نفس المرجع السابق صفحة ١٥.

٦. نفس المرجع السابق صفحة ١٣١.

الفصل السادس : الرجل الغائب

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 223.

٢. John Piper, This Momentary Marriage: A Parable of Permanence (Wheaton, IL: Crossway Books, 2009), 26.

٣. Joseph Weber, Amy Barrett,Michael Mandel, and Jeff Laderman, «The New Era of Lifestyle Drugs,» BusinessWeek, http://www.businessweek.com/1998/ 19/topstory.htm (accessed November 16, 2008).

٤. «Erectile Dysfunction/Impotence,» Methodist Hospital System, http://www.methodisthealth.com/tmhs/basic.do?channelId=-1079290978&contentId=1073830978&contentType=HEALTHTOPIC_CONTENT_TYPE (accessed November 16, 2008).

٥. إن وصيـــة الله لآدم توضح أنه كـان لديه حرية الاختيـار. وبـالتـالي يتحمل المسئوليــة الأخلاقيــة. إن إعطــاء الوصيــة لآدم قبل خلق حــواء تعني أن «الرجــل» لــه دورًا قيـاديًــا، وأيضًــا عليــه مسئولية الاعتنـاء بـكل الخليقة (تك٢: ١٥).

٦. تـأتي كل من كلمـة «رجل» وكلمـة «أنت» في صيغة المفرد في اللغة العبرية

٧. John E. Hartley, The New International Commentary: Genesis (Peabody, MA: Hendrickson Publishers, 2000), 67 ,68.

٨. إن الله لم يلعن المرأة أو الرجل، إلا أنه عقابهم كان من خلال الألم والمعـانـاة.

الفصل السابع :المرأة المتصلبة

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 181.

٢. لمزيد من المعرفـة حول الذكـورة النـاضجة والأنوثة النـاضجة، والذي اقتبست أنـا منـه كثير من أفكـاري وقنـاعـاتي.

٣. نفس المرجع السابق، صفحة ٢٢٩.

٤. تكــرار الزواج: هو أن تكــون أمينًـا في زواجك الحــالــي طـالمـا أن العلاقة بينكمـــا تــؤدي الأغراضــ التـــي تريدونهـــا. إن لــم يحدث هــذا فسيذهب الشريك إلـى شريك آخر. على سبيل المثـال، لقد قمت بخدمـة مشورة لسيدة فـــي الخمسينـات من عمرهـــا وكـان هذا أثنـاء زواجهـــا لـخامس مرة، ولم تكــن قد ارتكبت الزنـا من قبل، لكــن سألتهـا» هل ستكوني أمينـة فـي هذا الزواج؟»

٥. Oswald Chambers, My Utmost for His Highest (Grand Rapids, MI: Discovery House, 1992), october 5.

الفصل الثامن: المشكلة الحقيقية

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 218.

٢. Sinclair B. Ferguson, The Sermon On The Mount (Carlisle, PA: Banner of Truth Trust, 1987), 87.

٣. نفس المرجع السابق، صفحة ٢١٠.

٤. John Piper, What Jesus Demands From The World (Wheaton, IL:Crossway Books, 2006), 209.

٥. نفس المرجع السابق.

٦. نفس المرجع السابق، صفحة ٢١٠.

٧. John Piper, Future Grace (Sisters, OR: Multnomah Publishers, 1995), 331.

٨. John Calvin, Commentaries on the Epistles of Paul to the Galatians and Ephesians (Grand Rapids, MI: Baker Books, 2005), 317.

٩. Charles H. Spurgeon. The Metropolitan Tabernacle Pulpit, Vol. 29 (Pasadena, TX: Pilgrim Publications, 1973), 363.

١٠. Piper, What Jesus Demands from the World, 207.

١١. Oswald Chambers, My Utmost for His Highest (Grand Rapids, MI: Discovery House, 1992), December 7.

١٢. نحن لا نستطيع أن نغير قلوبنا، تمامًا كما لا يستطيع أن يغير الكوشي جلده (إر ١٣ :٢٣). انظر أيضًا (يو ٦ :٤٤–٤٥)؛ (رو ٩ : ١٦)؛ (١كو ٢ :١٤).

١٣. لمعرفة تفاصيل أكثر عن سلطان الله ومسئولية الإنسان راجع:
Robert A. Peterson, Election and Free Will: God's Gracious Choice and Our Responsibilty (Phillipsburg ,NJ: P & R, 2001), 129.

١٤. نفس المرجع السابق، صفحة ١٤٣.

١٥. Piper, What Jesus Demands from the World, 40. (emphasis added).

الفصل التاسع :التغيير الذي يجلب الحرية

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 167.

٢. Thomas Watson, The Doctrine of Repentance (carlisle, PA: Banner of Truth Trust, 1987), 18 -58.

٣. نفس المرجع السابق، صفحة ٤٢.

٤. نفس المرجع السابق، صفحة ٤٧.

٥. Charles H. Spurgeon. Morning and Evening (Wheaton, IL: Crossway Books, 2003), October 13.

٦. Gregory Laughery, Living Spirituality: Illuminating the Path (Huémoz, Switzerland: Destinée S.A., 2006), 22.

٧. نفس المرجع السابق، صفحة ٢٣.

٨. نفس المرجع السابق، صفحة ٢٤.

٩. Thomas Watson, The Godly Man's Picture (Carlisle, PA: Banner of Truth trust, 1992), 146.

١٠. Oswald Chambers, My Utmost for His Highest (Grand Rapids, MI: Discovery House, 1992), January 30.

١١. Robert A. Peterson, Election and Free Will: God›s Gracious Choice and Our Responsibilty (Phillipsburg ,NJ: P & R, 2001), 131.

١٢. Warson, The Doctrine of Repentance, 77.

١٣. John Owen,The Mortification of Sin (Geanies House, Scotland: Christian Focus Publication, 2002), 92.

الفصل العاشر: الجانب الروحي في الجنس لدى الرجل

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 282.

٢. دراسة موضوع القيادة والخضوع يحتاج إلى مساحة أكبر من مجرد ذكره في فصل من فصول هذا الكتاب، والمراجع التي ستذكر في الملحق ستساعدك كثيرًا في هذا الأمر.

٣. John Piper, «A Vision of Biblical Complementarity: Manhood and Womanhood Defined according to the Bible, «in Recovering Biblical Manhood & Womanhood: A Response to Evangelical Feminism, ed. John Piper and Wayne Grudem (Wheaton, IL: Crossway Books, 1991), 35, emphasis mine.

٤. Piper and Grudem, Recovering Biblical Manhood & Womanhood, 38 -42.

٥. الاستثناء هنا والذي يجب أن تتحمله هو الحالات المرضية أو مشاكل التقدم في السن التي قد تعيق الحميمية الجنسية. فبعض النساء لا يستطعن من

الناحية الفسيولوجية أن يمارسن الجماع، وتستمر حالتهن دون أي تقدم حتى بعد العلاج أو التدخل الجراحي. وبالنسبة للرجال، فمرض السكر قد يؤثر على الجهاز العصبي وبالتالي قد يصابوا بضعف الانتصاب. وقد تعيق الأمراض المزمنة ، أو بعض الأمراض الأخرى أو التقدم في العمر، المودة الجنسية، في هذه الأحوال عليك أن تستشير طبيبك الذي من الممكن أن يقدم لك العون. إن كنت تعاني من هذه الأمور،فالرقة والمحبة مع شريكك تكون هي الطريق البديل للمودة الجنسية.

٦. Bennett, ed., The Valley of Vision, 258- 59.

الفصل الحادي عشر :الجانب الروحي في الجنس لدى المرأة

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 342.

٢. Henri Nouwen, Sabbatical Journey (New York: Crossroad, 1998), 25.

٣. John Piper, This Momentary Marriage: A Parable of Permanence (Wheaton, IL: Crossway Books, 2009), 159.

٤. John Piper, Spectacular Sins: And Their Global Purpose in the Glory of Christ (Wheaton, IL: Crossway Books, 2008), 81.

٥. Vern Sheridan Poythress, «The Church as Family: Why Male Leadership in the Family Requires Male Leadership in the Church,» in Recovering Biblical Manhood & Womanhood: A Response to Evangelical Feminism, ed. John Piper and Wayne Grudem (Wheaton, IL: Crossway Books, 1991), 240.

٦. John Piper, «A Vision of Biblical Complementarity: Manhood and Womanhood Defined according to the Bible, «in Recovering Biblical Manhood & Womanhood: A Response to Evangelical Feminism, 46.

الفصل الثاني عشر :سبعة مبادئ للجانب الروحي في الجنس

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 265.

٢. لدراسة الرأي الكتابي بالتفصيل في هذا الأمر راجع المراجع التي ذكرت في الملحق. راجع أيضًا كتاب
Garry Friesen's book Decision Making and the Will of God (Sisters, OR: Multnomah, 1980).

٣. لا يوجد شخص يستطيع أن يفهم فهمًا كاملاً الكيفية التي يمتزج فيها عمل سلطان الله مع مسئولية الإنسان في حياتنا. نعم هو ينبغي أن يعمل، وإلا لن يكون هناك أمل في أن نحيا حياة طاهرة جنسيًا. لكن علينا أن نختار بإرادتنا طريق الطاعة لله. إن هذه هي خطة الله وإرادته.

الفصل الثالث عشر : زواج ومودة

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 289.

٢. مهما اختبرنا من أمور سببت في تشويه نظرتنا للمودة الجنسية، إلا أنه يوجد شفاء. فالكتاب المقدس له مطلق السلطان على كل أمور حياتنا بما فيها حياتنا الجنسية. فخطة الله للزوجين هي أن تسير الأمور الروحية والجنسية معًا. فالحياة الروحية دون مودة جنسية في الزواج أمر خطير بالنسبة للزوج والزوجة. والمودة الجنسية دون حياة روحية غالبًا تؤدي إلى مودة كاذبة. إن الشهوة الجنسية ليست شر، فالله هو الذي وضعها في كل من الرجل والمرأة. هناك أمور تؤثر على الميل الجنسي مثل الإحساس بالمرارة، وتصيد الأخطاء، والأنانية، لكن من خلال عمل الله في القلب، الذي يتخطى كل التقنيات، يستطيع أن يتعلم كل من الرجل والمرأة أن يستمتعوا باللذة التي يريدها الله في الزواج.
يرتكب كثير من المشيرين خطأ عندما يعالجون المخطئ جنسيًا وحده، نعم قد يكون غرضهم أن يحموا الشريك من ألم أكثر، وبالتالي يضعون الزوجة

خارج الموضوع نهائيًا، أو يتعاملون معها بطريقة مختلفة. إن هذا خطأ فاحش حيث أنه لا يسمح بأن يطفو الدور الجديد القيادي للرجل نتيجة التوبة على السطح. يعلمنا الكتاب في (١كو ٧ :٣-٥) أن هناك مسئوليات متبادلة بين الزوج والزوجة، ويعلمنا أن القيادة لا ينبغي أن يكون بغرض أناني، وإن ظهرت أنانية القيادة في المودة الجنسية، هنا ستنهار المسئوليات المتبادلة وكنتيجة لهذا ستشعر الزوجة أنها أداة جنسية. وينتهي الأمر أن المرأة والمشير يعتقدان أن كل ما يريده الرجل هو ممارسة الجنس، وأن العلاقات لا تعنيه بشيء.

في الواقع هذا ليس صحيحًا. فمع كل زوجين قمت معهم بخدمة المشورة، رأيت أن كل رجل يريد علاقات هادفة لا مجرد ممارسة الجنس مع زوجته. هذا هو الوضع الذي رسم الله عليه الرجل. وإن تصرف الرجل وكأن كل ما يريده هو ممارسة الجنس ، فهو يدرك في قرارة نفسه إنه إنسان أحمق، لكن في ضعفه قد يجعل حماقته تسود.

٣. Noah Webster, Noah Webster's First Edition of an American Dictionary of the Enghish Language ,1828 Edition (San Francisco: Foundation for American Christian Education, 1967).

الفصل الرابع عشر: الفرح بالرب بغض النظر عمّا سيأتي

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 289.

٢. إن التسليم لله لا يعني التواكل. لكنه اقامة علاقة لغرض يتخطى أنانيتنا. إن الغرض هو تمجيد الله وأن تكون أداة يستخدمها الله في حياة آخرين. أن يكون لك هذا الهدف، هذا معناه أنك تهتم اهتمامًا شديدًا بالآخر حتى وأن سبب لك هذا ألمًا.

٣. راجع قصص چيم إليوت، چون وبيتي ستام في كتاب:
Through Gates of Splendor (Tyndale, 1981) by Elizabeth Elliot, and Die Is Gain: The Triumph of John and Betty Stam (Westminster Literature Resources, 2004) by Mrs. Howard Taylor

٤. Oswald Chambers, My Utmost for His Highest (Grand Rapids, MI: Discovery House, 1992), July 29.

٥. Charles H. Spurgeon. Morning and Evening (Wheaton, IL: Crossway Books, 2003), May 22.

الفصل الخامس عشر :الثورة الجنسية القادمة

١. Arthur Bennett, ed., The Valley of Vision: A Collection of Puritan Prayers & Devotions, 265.

٢. For a Definition, see appendix 3.

٣. C. S. Lewis, Mere Christianity (New Yourk: MacMillan, 1943), 174.

٤. راجـع الآيـات الكتابية التالية لتفهم أكثر عن حياة التقوى: (رو ١٢ :١–١٣)؛ (أف ٤ :١٧– ٦ :٢٠)؛ (في ٤ :٤ –٩)؛ (كو ٣ :٥ – ٤ :٦)؛ (١بط ٢ :١١ – ٥ :١١)

٥. Lewis, Mere Christianity, 95.

٦. Bennett, ed., The Valley of Vision, 213.

ملحق (١) العادة السرية : نوع من الحميمية الكاذبة

١. Daniel R Heimbach, True Sexual Morality: Recovering Biblical Standards for a Culture in Crisis. (Wheaton, IL: Crossway Books, 2004), 222- 23.

ملحق (٢) الوصايا العشرة عندما يكون شريك الحياة غير أمين

١. هذه القائمة مؤسسة على ما كتبه جون بيبر:
«Eight Things to Do with Evil» in Spectacular Sins: and Their Global Purpose in the Glory of Christ (Wheaton IL: Crossway Books, 2008), 50.

ملحق (٣): ما معنى أن «تستوعب أو تفهم»؟

١. Harry W. Schaumburg, Brief Intensive Counseling Manual: A Guided Study Program, 2002.

ملحق (٥): نظرة مختلفة حول الطلاق

١. John Piper, This Momentary Marriage: A Parable of Permanence (Wheaton, IL: Crossway Books, 2009), 160.

٢. نفس المرجع السابق، صفحة ١٧٤.

ملحق (٦): دعوة للاعتدال (للاحتشام)

١. C. J. Mahaney, ed., Worldliness: Resisting the Seduction of Fallen World (Wheaton, IL: Crossway Books, 2008), 173.

٢. John MacArthur, 1Timothy, The MacArthur New Testament Commentary (Chicago: Moody ,1995), 80- 81.

٣. C. J. Mahaney, ed., Worldliness, 174.

٤. To read Carolyn Mahaney's complete «Modesty Heart Check,» see Worldliness: Resisting the Seduction of a Fallen World, 173- 76.

شكر وتقدير

استخدم الله أربعة عوامل رئيسية ساعدت في إصدار هذا الكتاب.

أولاً وفوق الكل الرب ذاته. لا أستطيع أن أكتب بدونه. فليس لديّ ما أقوله إن لم يكن قد وضع فيَّ بنعمته الحكمة والمعرفة الروحية. أنا أؤمن أن ما هو جدير بالقراءة في هذا الكتاب هو من ثمر عمل الله في قلبي. لذلك فهو يستحق كل المجد. إن كان هناك شيء قد كُتب يحيد عن إرادته، فهذا نتيجة حماقتي، لذلك أطلب من الرب الرحمة وأتوسل إليك أيها القارئ أن تسامحني. أعطتني دور نشر مودي مهلة ستة أشهر لأكتب هذا الكتاب، لكن أبي السماوي أعطاني أكثر من ستين عامًا لأستعد لكتابته. أنا أؤمن من كل قلبي وفكري أن الله من خلال رحمته يشكّلنا لنتمم قصده ولنمجده هو لا لنمجد ذواتنا. هناك أمور كثيرة تحدث في حياتنا لا نتوقعها. ففي أحلامي العريضة، لم أكن أتخيل ولو للحظة كيف أن محبة الله المؤدبة من الممكن أن تعيد تشكيلي لتحضرني إلى مكان أستطيع فيه أن أكتب وأتكلم في هذا الموضوع الشائك والحساس. لله المجد إلى الأبد.

لكن العامل الثاني هو بروس نيجرين. أدرك أنه كان في نيتي كتابة كتاب آخر، إلا أن الله في سلطانه تجاهل أفكاري ورتب أن يعترض بروس طريقي مقدمًا فكرة أفضل. كان يعتقد أنه يجب أن أكتب كتابًا في ذات موضوع كتابي الأول. بصراحة لم ترق لي فكرته إلى أن جلسنا معًا لنناقش المشروع. لم يكن بروس مؤمنًا بأن هناك حاجة ماسة للكتاب فحسب، لكنه ساعدني في وضع الإطار العام للكتاب، بل وعمل كل الجهد ليسوق الفكرة لدار مودي للنشر. وأخيرًا وضع قدراته الخلاقة، ومواهبه الجميلة في إخراج هذا الكتاب. أنا أقدّر كل الجهد والوقت الذي بذله في مشروع هذا الكتاب. والرب سوف يستمر مستخدمًا إياك في إطار مشيئته في مهمتك القادمة.

ثالثًا، هناك شخص واحد تربطني به مودة خاصة، وقد كان سبب بركة لحياتي. فهي تجعل كل ما أقول أو أعمل أو أكتب له قيمة وهدف سامي. أنا أهدي هذا الكتاب إلى روزماري، زوجتي لمدة أربعين عامًا. إنها صديقتي الحميمة، حبيبتي ومعينتي. فأجد في حبها الرقيق، وأمانتها الدائمة، وتضحياتها التي لا تنتهي، ما يملأ حياتي بالبهجة. كخادمة للرب لم يكن لديها أي فكرة عن مدى بصماتها المؤثرة فيَّ وفي هذا الكتاب. بدونها لم تكن لدي المصداقية أن أكتب عن الحياة الروحية والجنسية.

رابعًـا. هنـاك أسماء لا حصـر لها، ومئـات الوجوه من الرجـال والنسـاء، الذين جلسوا معي في مكتبي، مغلوبين من خطاياهم الجنسية، أو منهارين من جرّاء الألم النـاتج عن الخيانـة الزوجيـة. أتوا إليَّ يبحثون عن الأمل، ونـال الكثيـرون منهم العون. من خلال تصميـم الله الرائـع استخـدم الله هؤلاء في التفاعـل معًا ليساعدوني كثيـرًا في تشكيل حياتـي بل وتفكيري حول الأمـور الروحية والجنسية. فبـدون انفتاحكم معي في أدق أمـور حياتكـم الخاصة، وأسئلتكم المستمرة، وشغفكـم لتعرفوا الله، وسماحكم لي بأن أرى نعمـة الله عاملـة في قلوبكم، مـا كان لديّ إلا القليل لأكتـب. أشكر الخريجين من برنامج المشورة الكتابية المكثف، لأجل كل ما قدموه إليَّ، ولأجل صلواتهم التي جعلت هذا الكتاب يرى النور. ليت كل واحد منكم يستمر في الجهاد.

أود أيضـا أن أشكـر بـول سانتهاوس، لأجل دعمه لي. لـم نكن نعلم إلـى أي شيء سيقودنـا حديثنـا الذي كان على العشاء منذ عدة سنـوات. لقد واجهتنا في بنود كتابة وطباعـة هذا الكتاب صعوبات كثيرة، إلا أنك لعبت دورًا هـامًا في المساعدة على إتمام طبع هذا الكتاب.

أستمتع بالقراءة، ولقد قرأت كتبًا كثيرة في مواضيع متعددة، لذلك أنا متأثر بباقة مـن الكُتّـاب والمفكرين. لكن هنـاك ثلاثة مصادر أثـرّت بقوة في حياتي. لقد ساعدني چـون بيبر فـي التفكير وكانـت كتاباته تؤكـد أفكاري البسيطـة. أما أزوالـد تشامبرز فكانت كتاباته تضع أمامي التحدي كل يوم. أما الأخير فهو عبارة عن قائمة من أخوة محبوبيـن سبقونا إلى المجد، وكنت أفضل قراءة كتاباتهم، لأنها ساعدتني على النمو، وأغلبهم من البيوريتان.

أشكر بريـان بان، بريان كرونيستر، أصدقائي الأعزاء لاستعدادهما لقراءة مسودة هذا الكتاب، وتقديم الملاحظات القيمة.

أشعـر كأني قائد طائرة، عليـه أن يحلق بالطائرة. لكن دون طاقم الطائرة، موظفي البوابات، حاملي الحقائب، مهندسي الطائرة، لا يمكن للطائرة أن تُقلع.

شكر خاص لماديسون ترامل، وكريس ريس لأجل مساعدتهم لي في تجهيز الكتاب للطباعة. شكر لكل موظفي مؤسسة مودي للنشر لأصدار هذا الكتاب

رأيك يهمنا

إذا كان لديك تعليق أو تأثرت بهذا الكتاب، اكتب تعليقك على موقعنا الإلكتروني:

www.ptwegypt.com

أو ارسل لنا E-mail على:
ptw@ptwegypt.com

تشعر بالغضب واليأس...............

- *لقد وعدت زوجتك ألا تتصفح المواقع الإباحية مرة أخرى ـ*
  لكنك ما زلت تفعل ذلك.
- *اعترفت لك ابنتك أن راعي الشباب أرسل لها رسائل جنسية عبر البريد الإلكتروني ـ*
  بعد أن أرسلت له هي رسالة غير مناسبة بالبريد الإلكتروني.
- *اعترفت زوجتك لك بأن لها علاقة غرامية مع رجل آخر ـ*
  وقالت أنها ليست متأكدة إن كانت ستتخلى عن هذا الرجل.

لو أن الخطايا الجنسية لم تخترق أسوار الكنيسة! للأسف، المؤمنون معرضون تمامًا مثل أي شخص للخطايا الجنسية مثل الزنا، الشذوذ الجنسي، الطلاق، مشاهدة الأفلام الإباحية، التخنث، ممارسة الدعارة. لقد رأى مؤلف هذا الكتاب، دكتور "هاري شومبرج" كل هذه الأمور بل وأكثر منها طوال الثلاثين عامًا التي قضاها في خدمة المشورة بين الأزواج المؤمنين ، الرعاة والقادة في الكنائس.

إلا أنه يؤمن بشدة أن هناك طريق للحرية وللنقاء ولرد النفس. الطريق صعب، وأنصاف الحلول لن تجدي. وبرامج الإثني عشر خطوة لعلاج الإدمان، مجموعات المساندة، عهود الالتزام بالحياة الطاهرة، كل هذه الأمور لا تكفي وحدها. لكن إن كنت تسعى بجدية للشفاء الكامل تحت إرشاد الله، فهذا الكتاب رسالة لك .

......لا تستسلم

"لا ينبغي أن تخلو مكتبة أي راعي من مثل هذا الكتاب. إن تناولنا كتاب حياة النقاء الجنسي (بلا دنس) بجدية ، فمن الممكن أن تحدث تغييرات جذرية في سلوك المؤمنين"

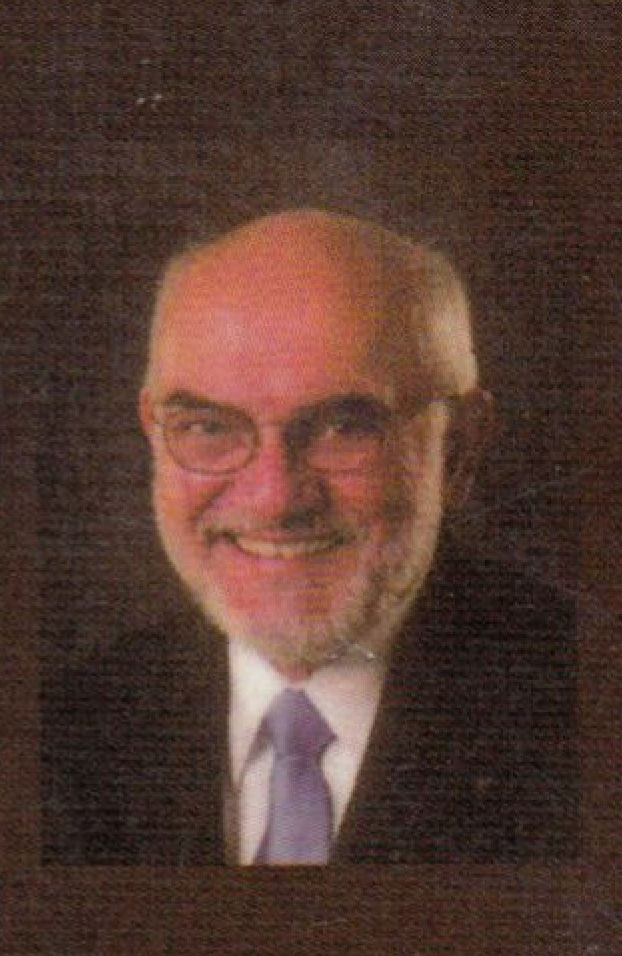
الأسقف چوزيف ل. جارنجتون ، خدمة المصالحة العالمية.

"كتاب حياة النقاء الجنسي (بلا دنس) حيوي، كُتِبَ بطريقة من الممكن أن يستوعبها الناس. أصلي أن يقرأه الكثيرون، ويؤدي إلى التوبة والإيمان وأن تحل بركة الله على الناس وعلى الأسر"

القس چ... (PCA)



هاري شومبرج (MA, MS, DMin LMFT)



مؤلف، واعظ، مشير ،وهو مؤسس ومدير هيئة (...te Resources Inc برنامج المشورة المكثف المتميز فرصًا للتغيير الحقيقي. جذب هذا البر... وخمسمائة من رجال الدين والعلمانيين من كل أنحاء العالم. لمدة ثلاث... "شومبرج" على مساعدة الأشخاص الذين يعانون من الخطايا الجنس... الله ولشركائهم. وهو مؤلف كتاب " False Intimacy: الصراع حو... وهو أول كتاب يتناول هذا الأمر من منظور كتابي.

دكتور "شومبرج" متزوج منذ روزماري من أربعين عامًا وله ابنان.

Prepare The Way
Translators & Publishers